رواية

الباب في المسمار

أحمد حسن العكيلي



للتواصل مع الكاتب
البريد ألاكتروني
ahmed12de@gmail.com

إهداء

الى كـل شـخـص حـمـل روحـه على أكتـافه ..

وتـرك خـلـفـه فـلـذات كـبـدة وكـل مـلـذات الحـــيـاة

ليـدافـع عـن كـل شـبـر في ارض الـوطن ...

وليـسـقـي بـدمـه روح الحـــيــــاة ،،،

مُلخص الرواية ..

غربة خارج وطن..وغربة داخل وطن, مسافات تبعدنا عن أحبتنا وأحبة تبعدنا عنهم قلوبنا حين تتقلص بيننا المسافات!

نزار,شاب عراقى كغيره من الشباب الذين أصبحت الهجرة لهم هى المناص الوحيد لحياة كريمة,الذين أصبح لهم الوطن حملاً والغربة حلماً !

يسافر نزارإلى فرانكفورت, تلك المدينة التى يسمونها (ماين- هاتن) نسبة إلى شبهها الشديد بمدينة مانهاتن- نيويورك, تلك المدينة التى تماثل فى قسوتها مبانيها الشاهقة وزحمة شوارعها.

يقابل نزار كابوساً كان يظنه حلماً وعقبة كان يظنها طريقاً وصخرة كان يحلم بأنها حجراً كريماً.

يرى نزار الأمور على حقيقتها بعد فوات الأوان, حين أصبحت العودة إلى أرض الأهل والأحباب - أرض الوطن حلماً بعد أن كان يظنها كابوساً, يسقط فى فخ الديون والكذب على الأهل برفاهية فقط فى

مخيلتــه , يُــربط فى سلســلة مــن الإرهــاق والعمــل المتواصــل دون جــدوى, يســـــقط فى دوامـــــة مــــن العمــــل الذى لا ينتهـــــى ولا يُجـــــدى . يُـــدرك نـــزار بإســـتحالة الحيـــاة بالعـــار فى مـــاين-هـــاتن أرض الغربـــة, وإســـــــتحالة العـــــودة بالعـــــار إلى بغـــــداد أرض الـــــوطن ! يـــبزغ نجـــماً مـــن ســـماء عشرـــون عامـــاً مضـــت,فرصـــة الى العـــودة الى بغـــداد,الى حضـــن الأم والأب,الى حـــب قـــديم نشـــب أســـد الفـــراق مخالبـــه فى قلبـــه, الى أصـــدقاء وأخـــوة وأحبـــاب كســـت ســـنين الغربـــة الطـــويلـــة ملامحهم بالمجهول.

لكن مع كل فرصة ياتى فخاً وكل حلم يرافقه كابوساً وكل عودة يصاحبها فراق جديد . يعود نزار الى بغداد ليجد شبحاً من الماضى يطارده آخذاً اياه الى خطر لا يمكن النجاة منـــه, وفرصـــة شـــائكة تطالـــب بتضـــحية لارجـــاع الأمـــور الى نصـــابها. حـــين تصـــبح الحقيقـــة كـــنزاً والكـــنز وهـــماً, وحـــين تضـــحى بمـــا كنـــت تقاتـــل من أجله فى سبيل ما كنت تظنه لا قيمة له !

أحمد حسن العكيلي

فهرس الرواية

الفصل الأول

(إغتراب)

1

إنه اليوم الذى يسبق نهاية منتصف الشهر العاشر من العام الرابع عشر بعد الألفين حين دخل ناصر الى شقته في شارع غوته في فرانكفورت حيث يعيش وحيدا فى تلك المدينة التى لا يدعونها ماين-هاتن دون سبب!,أشارت الالكترونات المتسارعة على شاشة تليفونه المحمول الى الساعة الثانية عشرة من منتصف النهار, تثقله حقيبته التي تحتوي على البومات زبائنه وقبل أن يخلع معطفه وقميصه أخبرته معدته بأنه قد نسى أن يجلب وجبة الغداء معه , مما عرض حقيبته المسكينة لتحمل عواقب نسيانه حين رماها بقوة على الأرض! مجرد الفكرة بارتداء ملابسه مرة اخرى وذهابه الى المطعم زاد من ارهاقه,وأحس بشيء من الارتياح حين تذكر كارت احد المطاعم القريبه في محفظته مدون عليه عنوان احد ألأصدقاء, أخرج الكارت بسرعة تعادل سرعة كل خلية جريلين تهاجمه الان وتزيد احساسه بالجوع, واتصل فورا وطلب وجبته المعتادة وجلس يترقب حضور عامل ألدليفري كما يترقب الصائم غروب الشمس. بدأت ألأفكار تغزو مخيلته من جديد هى هى الأفكار التى تفارق ذهنه كما تفارقه أنفاسه,الأفكار التي تطارده كالفريسة حتى فى نومه منذ عشرون عاما. حتى الآن لم يستطيع أمساك طرف الخيط الذي سيوصله الى تحقيق غايته في تلك المدينة القديمة. وبينما هو جالس ونيسه أفكاره متغيبا عما يدور حوله , قرع جرس باب الشقه ليشتت أفكاره كما تشتت مساحات سيارته بخار الماء المتكاثف على زجاجها. نهض ناصر وفتح الباب ليجد عامل الدليفري مألوف الوجه لديه. أخذ الطعام من العامل الذى بدت عليه علامات القلق والترقب - لعله يترقب كم سيحصل علي "اكرامية" هذه المرة ,فكر ناصر- وبينما ادخل يده في جيبه لاخراج محفظة النقود تجرأ عامل الدليفري لفتح حديث مع ناصر:

- سيدى ؟

- مذهولاً: ماذا ؟

- ممكن يا سيدي اطلب منك خدمه ؟

- تفضل.. ماذا تريد ؟

- أنا اسكن بالقرب منك ودائما أود مقابلتك ولكن أتردد . ممكن التقي بك اليوم بعد أن انتهي من العمل ؟

- بخصوص ماذا ؟

- سأخبرك سيدى كل شيء ان وافقت على لقائى

- مممم وفي اي ساعة تنتهي من عملك ؟

- الساعة السادسة.

– جيد.. سأنتظرك الساعة السابعة قبل خروجي

- شكرا جزيلا سيدى. دفع ناصر ثمن الطعام الى عامل الدليفري مع اكرامية تليق بحالة الترقب التى كان يعانى منها وان اتضح انها لم تكن بسبب الاكرامية , دخل الى الشقة متلهفا لإخماد الحيوانات المتقاتلة بداخل معدته و استلقى على فراشه ليأخذ قسط من الراحة .

يبدو أن من قال ان النوم ما هو إلا موت مؤقت اختبر حقا ما شعر به ناصر فى تلك اللحظة التى أفزعه فيها جرس باب شقته معلناً الساعة السابعة مساءا بقدوم عامل الديليفرى.. قام ناصر متثاقلاً كالثمل من الخمروكمن لا يزال نصف نائماً ليجيب الطارق فوجد العامل قد غير ملابسه ومتأنق وكأنه ذاهب الى حفل عيد الميلاد.

- أسف يا سيدي على الإزعاج ولكني حضرت في الموعد الذي حددته لي .

مشيراً الي أحد الكراسي بمنتصف الصالة سامحاً له بالجلوس رد ناصر على إعتذار الشاب متعبا أن: لا عليك.. سوف أغير ملابسي ونبدأ في الحديث

دخل ناصر لتغيير ملابسه بينما كان العامل جالس ينتظره قلقاً حيث مرت الخمس دقائق عليه وكأنها أمد الدهر.. أخيراً عاد ناصر ليسرع العامل واقفاً :

- هيا تفضل إجلس.. ما هي ألخدمه التي استطيع أن أقدمها لك؟

- سيدي.. أنت لديك معارف وأصدقاء كثير هنا في فرانكفورت و أنا أمر في أزمة ماليه ولا استطيع أن أخرج من هذه ألازمه ألا بالعثور على عمل ثاني فلو تكرمت يا سيدي أن تجد لي عمل مع أحد أصدقائك وردية اخرى بالليل .

- أجاب ناصر مستعجباً : وهل ستعمل في الليل والنهار؟! كيف ستتمكن من أن توافق بين العملين سيكون جهد كبير عليك! لماذا كل هذا التعب؟

- أجابه العامل وصوته لا يخلو من نبره حزن عميق: سيدي أنا متورط بديون كثيرة وصاحب المال الذي أقرضني يملك كمبيالات أنا موقع عليها و أذا استمريت اعمل في عمل واحد فلن أستطيع تسديد الدين طوال حياتي .

- وماذا الذي أجبرك على اقتراض المال وأنت تعرف جيدا بأنك لا تستطيع تسديد الدين من أيراد عملك .

- كلا يا سيدي أنا استطيع تسديد المال..أو ظننت ذلك .. ولكن كنت أتوقع بأن المال الذي اقترضته سأسدده على شكل دفعات ولكن صاحب المال وضع فائدة على المبلغ غير منصفه مما جعلني أسدد الفوائد فقط ولا استطيع التمكن من تسديد المبلغ ألأصلي فأنا من حوالي سنتين اعمل وأسدد في الفوائد ألمتراكمة فقط وكأنى اقوم بمسح الماء المتسرب من الصنبور والصنبور لا يفرغ ابداً!

- والمبلغ الذي اقترضته ماذا فعلت به؟ أعلم انه ليس من شأنى ولكن انا لا أعرفك ..فان كنت سأساعدك ..أعتقد بان لى الحق فى ان اصدق بانك تستحق!

- سيدي أنا مصرى اعمل في فرانكفورت منذ خمس سنوات وقبل سنتين اتصل بي أخي الاصغر وكانت عائلتي بحاجة الى المال لأجراء عمليه فى الكبد لأمي.. وعائلتي تعاني من أزمة ماديه.. وأنا كنت كذلك , كما نقول فى مصر"اللي جاى على أد اللى رايح" .. عملي يسد حاجاتي ألشخصيه فقط فاضطررت للبحث عن شخص يقرضني المال من أصدقائي المغتربين..كلنا هنا على باب الله.. فأ رشدني احد الأصدقاء الى السيد مارشال وهو شخص بولندي يسكن في فرانكفورت ذهبت إليه ووافق بان يقرضني المال مقابل فوائد شهريه وشروط جزائية على ألتأخير أعطاني المال ووقعني

على كمبيالات لكي تضمن حقه وأخذ جواز سفري أمانه لديه وافقت مضطرا حين لم أجد بديلاً وحين تدهورت حالت أمى ومن يومها وأنا اعمل وأسدد في الفوائد والشرط الجزائي . ابتسم ناصر حزيناً

- في هذه الحالة أنت سددته ضعف المبلغ الذي اقترضته منه .

- نعم يا سيدي هذا صحيح لقد سددته أضعاف المبلغ والمشكلة بدأ مقدار المبلغ يزداد علي بدل من أن ينقص..حفرة أحاول ردمها فتزداد عمقاً ! شعر ناصر بهذا الإلزام الخلقى فى طبيعتنا الإنسانية..هذا النوع من الإلزام الذى يجبرك علي محاولة إنقاذ الغريق حتى وإن كنت سباح غير ماهر! كما انه احترم اصرار وكرامة هذا العامل على العمل حتى وان كان ضعف نوبته بدلا من ان يستعطى.

- سوف أسعى لك في أيجاد عمل ليلي في اقرب وقت ممكن. .قالها ناصر بنبرة لا تخلو من عطف .

- اترك رقم هاتفك معي وسوف اتصل بك في اقرب وقت.. ولا تخف سوف أبدا من هذه اللحظة في تكليف أصدقائي المقربين.

إن كان للأمل وجه يمكن أن يمثله فقد كان حتما هو وجه العامل فى هذه اللحظة ! شكر عامل الدليفري ناصر متهللاً وترك رقم هاتفه معه وبعد خروجه جلس ناصر يفكر بأرباح السيد مارشال وكيف تمكن من جمع ثروة على أكتاف المغتربين وفجأة أضائت الفكرة عقله كما تضيء الشمس غرفتك المظلمة حين تفتح النافذة فى الصباح..هذا السطوع الذى لا تستطيع مقاومته او استيعاب من أين أتى! تلك الفكرة

التى ظلت هاربة عن أفكاره منذ عشرون عاما كخروف ضل القطيع .. ها هى .. أخيرا حضرت .. أخيرا عاد الخروف الضال للحظيرة..توصل للفكرة الذي سيتمكن بها من الوصول الى بغداد وهو في فرانكفورت ,نهض ناصر مسرعا وتناول هاتفه واتصل فوراً بعامل الدليفري.

- قول لي.. من هم زبائن السيد مارشال؟

- متفاجئا من مباغته السؤال أجاب العامل أن السيد مارشال يتعامل فقط مع المغتربين و أكثر زبائنه من العرب .

- هل يوجد من بين زبائن السيد مارشال عراقيين؟

- نعم يا سيدي يوجد الكثير من العراقيين .

- أين يعمل معاملاته السيد مارشال؟

- السيد مارشال ليس لديه مكان ثابت نحن نتصل به هاتفيا ويحدد لنا أين هو ونذهب له وفي كل يوم يجلس في مكان مختلف .

- أعطني هاتف السيد مارشال أريد ان اتصل به حالاً

أجاب العامل دون أسئلة عن السبب وراء هذا الاصرار على مكالمة السيد مارشال اذ انك لا تستطيع غالباً التحقيق مع من تدين لهم!

- نعم يا سيدي سوف أرسل لك رقم هاتفه في رسالة هاتفيه بعد أنهاء المكالمة .

أرسل العامل رقم السيد مارشال لناصر الذى نظر الى ساعته فوجدها التاسعة ونصف..كيف مرت ساعتان ونصف كاملتان منذ استيقظ؟ غريب كيف تستطيع أفكارنا أن تخطفنا عن واقعنا كما تخطف الذئب القطيع الضال.. فكر قليلا ومن ثم اتصل هاتفياً وبعد لحظات رد السيد مارشال على المكالمة محاطاً بأصوات موسيقى صاخبة تضج من سماعة الهاتف

- مساء الخير يا سيد مارشال .

- مساء الخير ..من معي ؟

- أنا زبون جديد أريد التعامل معك .

- اتصل بي صباحاً فأنا لا أعقد معاملاتي في الليل

مسرعاً كمن يلتقط طفل صغير على وشك السقوط أجابه ناصر متلهفاً قبل أن يغلق الخط :

- كلا يا سيد مارشال أنا زبون من نوع أخر.. يجب عليك أن تقابلني في الحال .

- ماذا تقصد بزبون من نوع أخر .

- جميع الزبائن لديك يقترضون المال منك صحيح؟ أما أنا سوف أعطيك المال .

استغرب السيد مارشال من كلام هذا الغريب المتصل ولكن هو الفضول وحده الذى يجعلنا نفعل أشياء لم نكن نتصور بقبولنا اياها!

ماذا يريد هذا الشخص.. وكيف يتحدث بكل هذه الثقة؟! فكر السيد مارشال والفضول يأكله

- أنا الآن جالس في مطعم بيلكان..أجاب مارشال .

- نعم أنا اعرفه - أجاب ناصر كمن يتوقع هذا الرد - سوف أكون في المطعم بعد نصف ساعة .

أنهى ناصر المكالمة وغير ملابسه مسرعاً وخرج واستقل سيارة أجره وبينما وهو جالس في سيارة الأجره فكرفي السيد مارشال الذي يجلس كل يوم في المطاعم الليليه الفاخره تحوم حوله النساء ويشرب من دماء هؤلاء الشباب علي هيئة مشروبات روحيه. يلهو منتشيا سكراناً وهناك الكثير من المغفلين يعملون مكانه ويقدمون له ألأموال.. فكر في الصفقه ألثمينة النائمة في بغداد.. آآه لو تمت.. سيصبح هذا المارشال بالنسبة له كأحد هؤلاء المغفلين بالنسبة لمارشال!

3

- مطعم بيلكان سيدى..قالها سائق التاكس منتشلاً ناصر من أفكاره.دخل ناصر مطعم بيلكان وبقيت نظراته تتوزع في أرجاء المطعم كطفل ضال.. منبهراً من رُقى هذا المكان تفحص طاولات تعج بالنساء و ألأثرياء والمشروبات ألروحيه..عاد ناصر أخيرا لوعيه وتذكر لما هو هنا فى المقام الأول .. أخرج هاتفه واتصل بالسيد مارشال الذى أخبره بأنه جالس على الطاولة أربعة عشر، إتجه ناصر نحو الطاولة المعنية فوجد رجل يبلغ من العمر خمس وخمسين عاماً تقريباً رشيق طويل ذو شعر أشقر وعينين زرقاء..تعجب ناصر كيف يمكن للأصوات أن تخدعنا ! لم يتصور أبداً أن يكون السيد مارشال بهذه الهيئة!

وجده يمسك في يده سيجاره من النوع الأميركي الفاخر والطاولة أمامه تزدحم بزجاجات المشروبات الكحولية والطعام الفاخر وتجلس بجانبه فتاتين جميلتين أشبه بالعاريات يبدو على الأكثر أنهن بنات ليل ويقف خلفه شخص ضخم طويل يبدو أنه حارسه الشخصي.

- كيف حالك يا سيد مارشال؟ قالها ناصر وهو على وشك الجلوس .

- أنا بخير كما تراني هيا قل لي ما هو النوع الآخر من العمل فلقد ازداد فضولي لمعرفته .

نظر ناصر متفحصاً الموجودين على الطاولة:

- آسف لا استطيع أن أتحدث أمام الموجودين يجب عليك أخلاء ألطاولة فالموضوع شخصي .

أمر السيد مارشال بانصراف ألأشخاص الموجودين ما بينهم الحارس الشخصى باشارة من يده كمن يطرد ذبابة تزعج نومه .

- ها قد أخليت الطاولة وبقينا لوحدنا.. تكلم

- سيد مارشال أنا هنا لتوفير عليك المشقة وسوف أسدد دين شخص أنت تثق بأنه وصل الى مرحله لا يستطيع بها دفع أي شيئ لك .

- ومن هو ذلك الشخص؟

- أنت حدده لي .

- لا افهم ماذا تعني وضح أكثر .

- سيد مارشال أنا بحاجه الى شخص عراقي ومقيم في ألمانيا مده لا تقل عن عشر سنوات ويكون عمره خمس وثلاثين عاما حد أقصى ويتمتع بجسم قوي وصحته جيده وعليه دين لا يستطيع أبداً تسديده و أوضاعة ألماديه متدهورة جدا.شخص اصطدم بالقاع كما يقولون .

- وماذا تريد من هذا الشخص ولماذا كل هذه المواصفات؟

- أريده في موضوع يهمني للغاية.. ولا تخف فانا لا أريده في تجارة المخدرات ولا لتنفيذ جريمة قتل أنا أحتاجه في مهمة من نوع أخر أريده ينفذها لي وسأسدد دينه وأعطيه مكافئه .

- أنا لا يهمني أذا كان تستعمله أو ترسله أو ستقوم بطبخه فى عيد الشكر, ما يهمني فقط قبل أن ينفذ لك ألعمليه هو ان تسدد جميع ديونه .

- أنا موافق.. سوف أعطيك المبلغ قبل أن ينفذ لي ألعمليه .

- اتفقنا.. ولكن أنا الآن ليس لدي بيانات الزبائن البيانات موجودة في مقر شركة ألسياحة التابعة لي , لنلتقي هناك.. سوف أعطيك عنوان مقر شركة السياحة وسوف أنتظرك غدا الساعة العاشرة صباحا لتختار بنفسك الشخص المناسب.

شكر ناصرالسيد مارشال وتفاجأ حين نظر الى العنوان بأنه ايضاَ فى شارع غوته .. نفس الشارع الذي يسكن فيه ولكنه فضل إبقاء هذه المعلومة مخفية عن السيد مارشال. خرج ناصر من المطعم الليلي عائداً بنفس الطريقة التي أتى فيها حيث لا يملك سيارة خاصة به وكم كان مسروراً جداً لأنه توصل أخيرا لفكرته التي كانت شاردة من ذهنه منذ عشرين عاما وحينها تذكر عامل الدليفري الذي فتح عليه باب الفكرة وشعر بأنه مدين له ففكر بأنه يجب أن يساعده في الحال. اتصل حالاً بصديقه المصري الذي يعمل مدير فندق بالقرب من

مـــنزله وخـــبره بوجـــود شـــاب مصرـــي صـــديقه يبحـــث عـــن عمـــل لـــيلي ويجـــب أن يـــوفر له فرصـــة عمـــل في الفنـــدق. وكم كان مسرـــوراً حـــين أخـــبره مـــديربأن لديـــه عمـــل شـــاغر في الفنـــدق وأن يرســـله له العامـــل غـــداً صـــباحا. اتصـــل ناصر فـــورا بعامـــل الدليفـــري و أخـــبره بوجـــود عمـــل لـــيلي في فنـــدق وأعطاه العنوان.

حســـــناً..الآن وقـــد وفيـــت بوعـــدى ..قالهـــا ناصر متحـــدثاً الى نفسه..لنضـــع خطة جيدة تغير للأبد حياتى!

4

عند إشراق تلك التى تدفئنا كل صباح اتجه ناصر الى شركة السياحة والسفر التابعة الى السيد مارشال وبعد بحث قليل في شارع غوته - هذا الشارع المعقد عثر الفهم مثل صاحبه المدعو باسمه - وجد الشركة ووقف يأمل بأن يجد الشخص المناسب بداخلها , توجه نحو الإدارة العامة للشركة متحسبا أن السيد مارشال لابد وانه يجلس في الإدارة ,مما دفعه الى ان يتجه فوراً الى السكرتيرة .

- صباح الخير .

- صباح النور.. تفضل .

- أود أن أقابل السيد مارشال , لدي موعد معه .

- آسفه أنت هنا في المكان الخطأ السيد مارشال ليس المدير ولا يجلس في الإدارة .

- ولكني حسب علمي انه صاحب الشركة .

- هذا صحيح ولكن ليس له علاقة في الأمور الإدارية .

- أذن أين أجده فانا لدي موعد معه في الشركة ؟

- نعم هذا صحيح فهو يجري مقابلاته في الشركة لكنه يجلس في إداره خاصة في الطابق الأعلى.. ستجده هناك..قالتها مشيرة الى السماء!

شكر ناصر السكرتيرة وذهب الى الطابق الأعلى ليبحث عن الإدارة الخاصة بالسيد مارشال وبعد دخوله الإدارة وجد سكرتيرة أخرى أيضاً . - صباح الخير .

- صباح النور.. تفضل ,كيف يمكنني أن أخدمك؟

- لدي موعد مع السيد مارشال .

- ما هو الرقم الخاص بك كي استخرج بياناتك؟

-كلا أنا لست زبون , بل لدي موعد خاص مع السيد مارشال .

- حسناً..ما هو اسمك من فضلك؟

- ناصر .

- تفضل..قالتها بعد أن اطلعت على كشف الأسماء.. إنه في إنتظارك..مشيرة الى باب زجاجي لغرفة مكتب.

دخل ناصر مكتب إدارة السيد مارشال وسلم عليه فأوضح السيد مارشال:

- لقد تأخرت عشرون دقيقه على موعدك .

- هذا صحيح فقد ذهبت الى الإدارة الرئيسية ظننتك هناك .

- أنا لا اشغل تفكيري في أمور الشركة فأنها لا تعني كثيراً لي .

- شركة سياحة وسفر في فرانكفورت لا تعني شي لك ؟!

قالها ناصر متعجباً

نعم , فأنا في عملي في الربا أجد متعه كبيرة حقاً! لا علينا.. لقد وجدت لك الشخص المناسب , شاب من العراق اسمه نزار, عمره واحد وثلاثين عاماً عليه ديون بقيمة

تسعون ألف يورو ..لم يستطيع التسديد ومتعسر لمدة ثلاثة شهور ,أعطيته أنذار أخير ولكنه لم يستجيب.

- ما هي مواصفات هذا الشخص ال" نزار"؟

- نفس المواصفات التي طلبتها تقريبا.

- هل لديك صوره له ؟

- كلا ..قالها مديراً رأسه يميناً ويساراً.. أنا لا اهتم بصور العملاء ولكن ماذا تفعل بصورته سأحدد لك موعد معه ..اجلس معه وانظر له كما يحلو لك .

- لا - رفض ناصر- يجب أن أراه قبل أن أحدد الموعد فأنا أخشى أن يكون يعرفني.. أريد شخصاً لم ألتقي به مسبقا.

صمت السيد مارشال قليلا و نادى على السكرتيرة

- متى زارنا نزار العراقي أخر مره ؟ راجعي السجل.

-لقد زارنا أخر مره في الخامس عشر من أبريل الساعة الحادية عشر صباحا- قالتها بعد مراجعة السجل . - اذهبي الى مهندس الصيانة وأجلبي نسخة هذا التوقيت من تسجيل كاميرات المراقبة .

ظهر نزار على الشاشة بعد إعادة تشغيل كاميرات المراقبة بالتوقيت المضبوط , تمعن ناصر في الصورة فوجد شاب أسمر طويل رشيق ذو شعر أسود قصير..تماماً كما قد نرسم عراقي فى مخيلتك! الأمر المهم انه لم يسبق أن قابله من قبل.

- ما رأيك ؟ قالها مارشال وهو يقوم بالضغط على زر الاغلاق بجهاز التحكم. هذا هو الشخص المطلوب ,متى تحدد لي معاد معه؟

- سأقابله أولاً واحدد لك موعد لكي تشرح له المطلوب منه.. ولكن لا تنسى عليك تسليم المبلغ قبل تنفيذ نزار المهمة.

- نعم هذا أكيد سأدفع لك المبلغ بالكامل..قالها وهو يهم بالوقوف..

- سأذهب ألان فلدي أعمال كثيرة يجب القيام بها...سأنتظر منك مكالمة لكي أقابل نزار .

الفصل الثانى

(حسرة .. وأمل جديد)

1

استطاع الانسان ترويض الأسود ,كما استطاع تدريب النسور كيف تحلق وتتنافس ..استطاع مواجهة أسماك القرش وإخضاع الطبيعة لصالحة ولكن يبدو أن مواجهة الانسان مع نفسه تظل هى نوع المواجهة الوحيد الذى لم يستطع الانسان الإنتصار فيه, مواجهة دائما ما يكون الخاسر الوحيد فيها هو الشخص عندما تراوده تلك الفكرة اللعينة التي أودت بحياة كثير من البشر ,حين يصبح ذاتك عدوك كيف ومن أى جهة تربح؟ هى تلك الفكرة الشاذة حين يقرر الانسان فجأة الهروب من الحياة وترك وصمة العار له ولعائلته فتأثيرنا لا ينتهى بنهايتنا, ونزار أحد هؤلاء الذين كانت الفكرة تراودهم بشكل يومي. ولكن يبدو أن إيمانه بالله وثقته الكبيرة فيه سبحانه وتعالى ويقينه التام أن الله لم ولن ينساه وحتماً سيخرجه من تلك المشكلة الذي وضع نفسه بها منذ سنين أرجح الكفة المنطقية فينا.. تلك الكفة الروحية التى تتمسك بالحياة والايمان وتبقيك طافياً حين تثقل الكفة الأخرى ميزانك وتشده نحو القاع! هكذا كان يفكر نزار كل يوم قبل أن تبدأ صالة الملهى اليلي في انتقاص عددها رويداً رويداً من الزبائن .

وعند خروج آخر زبون من المطعم الليلي الساعة السادسة صباحا ,بدأ نزار ومن معه في العمل بالتنظيف وفي غضون الساعة الثامنة كانوا قد أنهوا عملهم بالكامل ,غير نزار ملابسه وخرج متجهاً إلى محطة الباص الذي يقله إلى محل سكنه , لايدرى لما تعاوده فكرة الانتحار حين يرى هذا الباص ذو اللون الأزرق ؟! هل ترتبط حواسنا بشكل ما؟ هل يبعث اللون الأزرق بداخل نزار تلك الذكريات الحزينة والواقع المرير؟ أم أن لجسمه المنهك من التعب وعيونه الناعسة من قلة النوم لهما الكلمة العليا؟ يفكر إلى

متى يستمر هذا الوضع التعس يطارده.. يسهر الليل ينام قليلاً في النهار والديون تزداد؟ لا يستطيع تسديدها ولا يستطيع العودة إلى بلده ولا يستطيع فعلاً عمل أى شيئ؟! هل فعلا يوماً من الأيام ستتغلب تلك الكفة التى تجذبنا لأسفل وتمحو كل ما هو روحانى وإيمانى ومتعلق بالحياة فينا وينفذ فكرة الإنتحار ويخسر كل شيئ؟؟ هل فعلا سيخسر الآخرة بعد ما خسر الدنيا؟

تلك كانت حياة نزار..مجرد غرق تام فى سلسلة لا متناهية من الافكار السوداء! ولكن قطع تفكيره فجأة رنين هاتفه , نظر إلى شاشة الهاتف ووجد المتصل السيد مارشال ..لم يرد على المكالمة فلا يوجد جواب شافي أو عذر مقنع يقدمه إلى السيد مارشال لعدم تسديد الفوائد المستحقه عليه. استقل نزار الحافلة الزرقاء اللعينة حتى وصل الى موقع سكنه, دخل شقته التى يسكن فيها مع خمسة أخرين..مما يعنى خمسة مشاكل مختلفة وخمسة قصص معاناة أخرى! تختلف المشاكل وتختلف القصص ولكن يبدو ان القاسم المشترك الوحيد بينهم هو عدم إيجاد حلول! نعم لا يوجد من بينهم مشكلته تفوق مشكلة نزار ولكن من منا لا يظن أنه لا توجد مشكلة أكبر من مشكلتة الشخصية؟ ذهب نزار إلى سريره واستلقى وفي غضون لحظات رن هاتفه مره أخرى من السيد مارشال فلم يرد عليه ووضع هاتفه على وضع الصامت.. كيف استطاعت التكنولوجيا أن تجعل أمثال مارشال يتحكمون فيه ويخيفوه حتى فى عدم وجودهم؟ خلد نزار إلى نوم عميق من شدة التعب.

- نزار! -نزار.. استيقظ!

أستيقظ نزار على صوت صديقه حيث لم يتبقى سوى ساعتين على موعد عمله..آآه كيف تبدو ساعة الاستيقاظ بمثل هذا السوء؟! حين نعانى تبدو ساعات النوم هى مهربنا الوحيد من العالم ,لنستيقظ فجأة على كابوس الواقع! نهض نزار مكتئبا بطيئاً متكاسلاً مثل كل يوم غير ملابسه وتناول طعامه واتجه نحو الباب للخروج ,نادى عليه أحد أصدقائه نزار لقد نسيت هاتفك عاد نزار والتقط هاتفه وخرج فنظر الى الهاتف فوجد أن هناك رسالة وارده من السيد مارشال .. لابد أنه سب وشتم وتوبيخ-فكر نزار- وهو يهم بفتح الرسالة ليتفاجىء بأنها مختلفة تماماً عما ظنه!

"كيف حالك يا نزار أنا السيد مارشال لم اتصل بك بشأن تأخرك بتسديد المبلغ لقد وجدت لك عمل مناسب سوف تسدد دينك وتحصل على مكافئه أنا انتظرك في مقر الشركة في الساعة العاشرة صباحا غدا" . تعجب نزار بعد أن قرأ الرسالة ..لابد وأنه فخ ..إعتقد نزار..لكنه تراجع عن الفكرة حيث لا يحتاج السيد مارشال أن ينصب فخ لفأر مثل نزار..تُرى أتنصب الأسود فخاخاً؟فقط تهجم وتفترس وتمزق!وعلم نزار من تجارب سابقة أن السيد مارشال يستطيع أن يجلب أي شخص إلى مكتبه في غضون دقائق حيث يملك مجموعه كبيره من الحراسات الشخصية الشبيهه بالمافيا, ذهب نزار إلى عمله والرسالة هى كل ما يستطيع أن يفكر فيه,وان كان لها جانب مشرق حيث شغلته عن فكرة الانتحار الحمقاء..حين تصبح المصيبة لهواً عن مصائب أكبر!

2

أنهى نزار عمله تماماً وذهب مسرعاً نحو محطة الباص استقل ثلاث باصات مختلفة لكي يصل إلى شارع غوته- لماذا يسمونه غوته بأى حال؟! - تساءل نزار محدثاً نفسه- وبعد وصوله توقف قليلاً أمام مقر الشركة متردداً ولكنه كسر حاجز خوفه ودخل إلى الشركة واتجه نحو المكتب الخاص بالسيد مارشال وبعد وصوله الى السكرتيرة

- صباح الخير لدي موعد مع السيد مارشال .

- صباح النور موعدك الساعة العاشرة بعد عشرون دقيقة - قالت وهى تنظر للحائط خلفه- تفضل

بالجلوس وفي الموعد المحدد ستدخل لتقابله .

إحذر مما تتمنى! – قالها نزار لنفسه حين تذكر أول مره دخل فيها إلى هذا المكان وكيف كان يدعو الله أن يوافق السيد مارشال على طلبه ويعطيه القرض..هذا القرض الذي لا ينتهي كمنبع نهر الفرات .. القرض الذي تبقى فوائده تلاحقك مهما بذلت من جهد!. ليتني لم أسمع عن هذا المارشال اللعين وليته لم يوافق على طلبي .. قالها نزار محدثاً نفسه خافضاً رأسه حتى انتشلته السكرتيرة من أفكاره

- تفضل بالدخول

دخل نزار على السيد مارشال ويديه تأبه تنفيذ أوامر عقله بقرع باب مكتبه

- صباح الخير يا سيدي..قالها والذل واضح في عينيه

- صباح النور.. أعلم انك لا ترد على مكالماتي بسبب تعسرك المادي في تسديد الديون ..لكنك محظوظ فلقد وجدت لك الشخص الذي سوف يسدد جميع ديونك .

- من هذا الشخص ولماذا سيسدد لي ديوني؟

- إنه شخص عراقي اسمه ناصر ويريدك في مهمة خاصة تنفذها له .

- و.... وما هي هذه المهمة الذي يريدني فيها؟ سأل نزار قلقاً

- لا أعلم, ولكنك يجب أن توافق..أخبرنى ما هى الخيارات الأخرى المتاحة لديك؟ لقد نفذ صبري وأنت لم تستطيع التسديد.

- نعم سأوافق على تنفيذ طلباته مهما كانت ..أجاب نزار دون تفكير فيما هو مسلم به .

- هناك أمر أخر لقد أبلغت الرجل انك مدين لي بتسعين ألف يورو و الحقيقة انك مدين لي بخمسين ألف يورو فقط .

- لقد أصبحت خمسين ألف يورو؟!! ما هى الرياضيات التى تستعملها فى حساباتك؟

- يبدو أنك نسيت أن تحسب الشرط الجزائي والفوائد المتراكمة.

- أكمل لا عليك ,سوف أقول للرجل أنا مدين بتسعين ألف يورو.. كيف التقي بهذا الرجل ؟

- في أي ساعة يبدأ عملك؟

- التاسعة مساءً .

- سيكون موعدك معه في الساعة السادسة اليوم في مطعم بيلكان هل تعرفه؟

- نعم أعرفه جيداً فلقد عملت به فتره .

- أذن اذهب ولا تنسى موعدك مع الرجل .

خرج نزار وهو لا يصدق ما حدث هل فعلا سيسدد دينه؟؟!! يقولون أن هناك من الأشياء جيدة جداً كى تكون حقيقية! هل يعود لبلده ويعيش بين أهله وأقاربه ويرى أصحابه كل يوم؟ هل فعلا سيعود إلى العيش في بغداد بعد أحدى عشر سنه من الذل والنكد والغربة؟؟

قاطعت أحلام نزار تلك المهمة الغامضة التى يريد هذا الغريب منه تنفيذها. ترى ما هي تلك المهمة؟ تجارة مخدرات؟ لو أنها تتعلق بتجارة المخدرات لا يحتاج الى شخص لديه ديون كثيرة مثل نزار فهناك كثير من الأشخاص المستعدين للعمل في مثل هذا المجال ..ما خشاه نزار حقاً هو أن تكون متعلقة بجريمة قتل ولكن هناك كثير من أفراد المافيا مستعدين لعمل كل شيئ ؟؟ ظلت الفكرة تليها الفكرة تراود نزار وظل النفي تلو النفي يمحو فكرة وراء فكرة.. ترى ماذا يريد ذلك الشخص المجهول؟

هل فعلا سيفتح له باب يخرج منه من كل تلك المشاكل أم أنه سيفتح له باب ليدخل فى المزيد منها؟ لكن يجب أن أوافق على شروطه- أخبر نزار نفسه بصوت مرتفع- مهما كانت صعبه يجب أن أتخلص من هذا الكابوس الذي يلاحقني ويطاردنى كفريسة منذ إحدى عشر عاما!

وصل نزار الى شقتة المشتركة أخيراً, استلقى على سريره بدون أن يغير ملابسه,إذ لم يكن النوم بملابس العمل أكبر مشاكله الآن! لكن هذه المره ليست مثل كل يوم ,فكل يوم عندما يستلقي على السرير بعدها بلحظات يغط في نوم عميق من التعب ولكن اليوم وإن ظل يشعر بالتعب الشديد لا يستطيع أن ينام! يبدو أن لعقولنا السلطان الأكبر علي أجسادنا! ظل ينتظر الساعة السادسة لكي يعرف مصيره المجهول لقد علق نزار كل آماله على هذا اللقاء كما يتعلق طاقم السفينة المحطمة بأطواق النجاة, وبينما هو يفكر لم يستطيع التغلب على التعب وسيطر عليه النعاس فغط في نوم عميق .

3

يحمينا تعبنا وإرهاقنا غالباً مما لا نستطيع السيطرة عليه حين ننام..حين نصبح تحت رحمة عقولنا المرتابة المترقبة المحملة بالكوابيس لكن هذه المرة ليست مثل كل مرة, فلقد رأى نزار حلم مخيف ومرعب جداً .. رأى داره القديمة الواقعة في بغداد وحيده وكل الدور التي تحيط بها مهدمة ومتحولة إلى خراب ,ونظر فوق دارهم راية ترفرف والغربان تحوم من حول الراية , وكلاب تحوم حول الدار تنبح ,وزجاج المنزل مهشم, سمع صوت بكاء شقيقته الصغرى ندى وصوت أمه تقول يا ليت نزار ههنا لكان ساعدنا ! تقدم نزار بخطى ثقيلة مرتجفة مرتعبة مثل قلبه المرتعب المرتجف لكي ينقذ أمه وأخته..شعر بأن كل ما يحتاج عمله لانقاذهم هو فقط أن يلمسهم! لكنه حين اقترب أخيراً ليلمس يد أمه وأخته تفاجئ بأسلاك شائكة وشيئ يسحبه من الخلف كما الفهد يسحب صغير الغزال ,وبدأ الدار يبتعد شيئاً فشيئاً وصوت بكاء أمه وأخته يعلو متحدياً قوانين الطبيعة والمسافات! يدخل في جوف أذنه صارخا "نزاااار" وهو لا يملك إلا أن يصرخ أمي أمي..وإن كان صوته يبهت ويخفت وصوت أمه يعلو ويخترق كل ذرة من كيانه وخلاياه.

-نزار ..نزاااار .. استيقظ نزاار

نهض نزار مفزوعا والعرق يصب من جبينه وقدميه ترتجفان من الخوف وفمه جاف من العطش ..كان يظن بأنه سيرى أمه توقظه وتحتضنه وتطمئنه ولكن إذا بأحد أصدقائه يوقظه حين رآه يهذى ,نهض ودخل الحمام واغتسل ومشاهد الحلم تلاحقه كومضات متلاحقة من فيلم سينمائى.. وبعد خروجه إتصل فوراً بعائلته ليطمئن عليهم ,غير

ملابسه وخرج دون أن يتناول وجبة الطعام..فكيف يستطيع أن يأكل بعد ما رأى فزعاً وخوفاً يقلص الأمعاء؟.

كان بحاجه الى أن يتمشى قليلا لكي يرتاح من قوة الصدمة التي تعرض لها وكان يتمنى أن يرتمي في أحضان والدته بعد هذا الكابوس المزعج. ظل نزار يتمشى حتى قد اقترب موعده بذاك المجهول, استقل سيارة أجره وذهب إلى مطعم بيلكان الليلي ,كان قد أخبره السيد مارشال برسالة هاتفية بأن الرجل سيجلس على الطاولة رقم أربعة عشر دخل نزار وذهب مباشرةً نحو الطاولة حيث يعرف المكان جيداً وبعد أن وصل وجد رجل يبلغ من العمر خمسين عاماً تقريباً ..بدين.. أقرع أبرص ..يرتدي سلسة ذهبيه ومعصم أسود لا يليقان بسنه.

- نزار.. قالها ناصر ماداً يده ليصافح الرجل المجهول

- ناصر ؟

سلم نزار على ناصر وجلس وبعد تردد غلبه الفضول بدأ نزار الحديث

- لقد بعثني السيد مارشال إليك وأخبرنى انك تريدني في مهمة وستسدد لي كل ديوني

- هذا صحيح أنا مستعد لتسديد ديونك وأعطيك مكافئه خمسون ألف يورو بعد تنفيذ كل ما أطلبه منك.

- وما هيه طلباتك الذي تريدني أن أنفذها لك؟

- اترك العمل الآن..سنعود إليه حتما..اليوم أريد أن أعرف معلومات أكثر عنك, قل هل لديك عائله في بغداد؟ وأين تسكن؟ وما هو عمل عائلتك؟ سأل ناصر بصيغة تحقيق عسكرى أقرب منه إلى تعارف أصدقاء

- نعم بالطبع لدي عائله.. أبي وأمي ولدي أخ أصغر مني خريج جامعه ويعمل في أحد المحلات التجارية في الشورجة ولدي شقيقتين واحدة أكبر مني متزوجة والصغرى في الدراسة الثانوية ,وتعتمد عائلتي على عمل أبي حيث يعمل سائق سيارة أجره ويقع دارنا في بغداد في مدينة الحرية.

– جيد.. قل لي يا نزار ما هو سبب وجودك في ألمانيا؟ وما هو سبب بقائك بعد أن فشلت بكل شيئ هنا؟

- سبب وجودي هو مثل باقي كل الشباب الذي غرر بنا حلم الحياة الوردية في أوربا ,فحلم كل شاب عربي في مرحلة المراهقة أن يترك بلده ويذهب للعمل في أوروبا أو أميركا.. المغتربين الذي يعودون إلى البلد ,يبدأون كلامهم عن بلدان أوروبا وكأنها جنة الله في الأرض وبنك متنقل بدون حراس ولا أبواب, مغارة لصوص وكلنا علي بابا!, سمعت هذا الكلام كثيرا وبدأ الحلم يراودني أن أسافر إلى أوروبا واعمل وأحصل على راتب جيد وأرسل إلى أهلي الأموال لكي أغير من واقع عائلتي, فقررت السفر رغم المعارضة القويه من عائلتي لكني أصريت ورغم أني أنا لا أملك النقود الكافية للسفر إلا أن عائلتي اضطرت أن تبيع بعض الحاجات الخاصة بالعائلة الفائضة عن الحاجة مثل الذهب وبعض الاثاث ليوفروا لي تكاليف السفر, أكملت الإجراءات وسافرت, تنقلت في أوربا من دولة إلى دولة كالرحالة إلى أن استقريت في المانيا ,

عملت في البداية عدة أعمال ولكني لم أجد عمل يمكنني من الإدخار, ولكي أوفي بعهدي إلى عائلتي اضطررت إلى العمل في الملهى الليلي لأن راتبه أفضل من باقي الأعمال و به بعض المخصصات الأضافية مثل البقشيش وغيرها ظللت أقصر على نفسي في المصروف وأرسل بعض المال إلى عائلتي لكي أثبت لهم أني كنت على حق وعندما كانوا يسألونني عن عملي كنت أبالغ لهم في عملي وفي سكني وأن حالتي المادية جيدة والحمد لله,

وبعد ثلاث سنين من العمل الشاق والكذب الشاق أيضاً على عائلتي اتصل بي أخي الأصغر وأخبرنى أنهم بحاجة إلى مبلغ من المال فصاحب الدار سوف يخرجهم منها في وقت قريب وأعطاهم مهله لكي ينقلون أثاثهم إلى دار أخرى , لحسن الحظ وجدوا دار ثانية ولكن لسوء الحظ أيضاً كانت بحاجه إلى ترميم ودفع أيجار سنوي مقدم,

لم أتمكن يوما بأن أقول لهم أني لا أملك أي شيئ ,وسمعت حينها المغتربون يتحدثون عن السيد مارشال حتى أضطررت إلى أن اقترض منه ومن يومها جواز سفري عند السيد مارشال

وأنا أوقع على الصكوك ,وكل شهر أسدد ,ويزيد المبلغ بحجة الفوائد والشرط الجزائي ..هذا هو السبب الذي يمنعني من العوده إلى بغداد..إلى أبى وأمى ..إلى أخوتى وإلى الدار.

سمع ناصر كلام نزار دون أى يبدو عليه تعاطف أو تحامل

- ما رأيك يا نزار أن أسدد دينك وأرسلك إلى بغداد لتنجز مهمة بسيطة وبعدها تصبح حراً طليقاً وتذهب إلى عائلتك ومعك خمسون ألف يورو؟

ابتسم نزار ولم يتمالك نفسه من الفرح كمن ربح اليانصيب..

- مهمة في بغداد؟! هل أتمكن من أن أرى بغداد مره أخرى؟! نعم أنا استطيع على تنفيذ أي مهمة تطلبها مني..قالها نزار دون ذرة واحدة من الشك أو التردد .

- أذن اتفقنا..قالها ناصر بلغة الواثق .

- قل لي يا سيد ناصر ما هي طبيعة تلك المهمة؟

- لا تستعجل يا نزار المكان هنا ليس مناسب للكلام في مثل هذه المواضيع .

- أذن متى ستخبرني بتفاصيل المهمة؟ اعذرنى فالفضول يقتلنى .

- لا تتعجل-قالها ناصر مشيراً براحة يده-غدا سأنتظرك في مكتبة فرانكفورت العامه الساعة التاسعة صباحاً وسنتكلم في جميع التفاصيل .

- حسنا يا سيدي سوف أكون في المكتبة في تمام الساعة التاسعة صباحا .

خرج نزار من المطعم وأستقل سيارة أجرة إلى عمله وعلى غير المعتاد شعر بالسعادة لأول مرة منذ زمن طويل..ذلك الإحساس الممتع الذى يغمر كل خلية من خلايانا.

ظل يترقب يوم الغد ترقب صغار الطيور لأمها عائدة بالحب والطعام, وتمنى لو أن يمر الوقت سريعاً حتى تنكشف الصوره أمامه .

4

مستيقظاً نشطاً متفائلاً على غير المعتاد في تمام الساعة الثامنة خرج نزار مسرعاً نحو محطة الباص وبعد تنقله بين ثلاث باصات حتى وصل إلى شارع غوته والذى أسعفه الوقت ليعرف إنه سمى على إسم أديب ألمانى شهير لم يقرأ له يوماً, لكن هذه المره ليس للذهاب للشركة لتسديد المال كالمعتاد , لكن إلى مكتبة فرانكفورت ليعرف ما هي المهمة التي ستعيد له الأمل في الحياة, دخل نزار إلى المكتبة المهيبة ذات العدد الذى لا يحصى من النوافذ,تُرى كيف يصل لناصر فى وسط لعبة البازل العملاقة هذه؟ لكنه تذكر فجأة أنه حصل على رقمه بالأمس, فأخرج هاتفه واتصل بناصر ليعرف مكانه وبعد أن حدد مكانه بصعوبة ,إتجه إليه ووجده جالس يقرأ فجلس أمامه

- لماذا اخترت هذا المكان الغريب؟ سأل نزار مستنكراً

- هنا كل الأشخاص الجالسين منشغلين في الكتب والمراجع لعمل بحوثهم ولا يهتمون بحديث من حولهم

- قل لي يا ناصر ما هو المطلوب مني وكيف يمكن أن أساعدك؟

- إسمع يا نزار أنا هنا في ألمانيا منذ عام 1994 ولا أستطيع العوده إلى بلدي ,عشرون عاماً لم أزر العراق

- وما الذي يمنعك من زيارة العراق؟

- أنا مطلوب للعدالة .. عليا قضيتان واحده قتل و الثانية سرقه وأنا بريء من كلا التهمتان

- لم أفهم ,ما علاقتي أنا في قضاياك وبما ستحتاجني؟ أجاب نزار دون أن يصدق خطاب البراءة الذى قصه ناصر للتو

- أنت ستثبت براءتي وتعيد الحقوق المسروقة

-كيف سأثبت براءتك في قضيه حدثت منذ عشرون عاماً؟

- سأشرح لك ألآن كل تفاصيل قصتي وكيف وصلت إلى هنا!

حين كان لى من العمر ثمان وعشرون عاماً .. كنت ملتحقاً بالجيش العراقى ,تعرفت على شاب من عمري اسمه فارس وأصبحت علاقتنا قوية جداً وبمرور الأيام وبعد أن أنهينا خدمتنا في الجيش بقيت العلاقة قوية وبمرور السنين عملت أنا مع صاحب محل مجوهرات في بغداد وكان صاحب المحل وإبنه يثقون بي ثقة عمياء وفي يوم من الأيام أعطاني نبراس إبن صاحب المحل جوهرة نادرة وصغيرة الحجم جداً,لم أسمع بجمال مثل جمالها إلا فى قصص على بابا والسندباد وأخبرنى أن أحافظ عليها جيداً وأعطاني مفاتيح السيارة وأعلمنى بأن هناك شخص ينتظرنى أمام فندق الرشيد ,أذهب إليه وأعطيه الجوهرة,وهو يعطينى ظرف موجود عليه ختم المحل.. أعطاني تفاصيل الشخص وإسمه وكيف سأتعرف عليه وعند ركوبي السيارة وضعت العلبة التي تحتوي على ألجوهرة بجانبي واتجهت إلى فندق الرشيد بالسيارة و أذا بي أقابل صديقي فارس يقف على الشارع ليستأجر سيارة أجرة . وقفت له وأخذته معي وفي هذه الأثناء أخبرته عما بداخل العلبه لثقتي العمياء به, وبعد أن وصلنا تركت فارس في السيارة مع الجوهرة ونزلت أبحث عن الرجل الذي ينتظرني.. وبعد أن وجدته وأعطاني الظرف المختوم بختم المحل إتجهنا سويه الى السيارة لأعطيه العلبه وحينها فوجئت أن فارس

غير موجود بالسيارة..رسم عقلي السيناريو المرعب فى مخيلتى بلمح البصر.. نظرت إلى داخل السيارة فلم أجد العلبة كما توقعت.. جن جنوني وركبت السيارة واتجهت بسرعة نحو الطريق العام فوجدت فارس يهرول بسرعة لكي يصل إلى الطريق العام ,ناديت عليه فلم يعير لي إنتباه, فأستمريت في مطاردته حتى تعرض فارس إلى حادث دهس مروع من شاحنة ضخمة, نزلت من السيارة و ركضت نحو فارس واحتضنته وقلت له لماذا فعلت ذلك يا فارس؟ لماذا خنتني وأنا صديقك؟ لم يجبني فارس والدماء كانت تسيل منه بشدة وعلمت بدنو أجله , فقمت بأدخال يدي في جيوبه لكي أخرج الجوهرة ,فأخبرنى بأنفاس سريعة متقطعة كأنفاس المحموم بألا أحاول عبثاً فلن أجدها.. لقد إبتلعت الجوهرة .. أخبرنى بصوت مخلوط بدماء ثقيلة تعوقه عن التحدث بوضوح,أصابني الذهول وأنا أشاهده يفارق الحياة ,نهضت ولم أعرف ماذا أفعل أو كيف أتصرف حينها, هربت ولم أعد لعملى أو عائلتى حتى وجدت طريقة للخروج من العراق بطريقة غير شرعيه وصدر علي حكماً غيابياً بالسجن المؤبد .

- قصه غريبة ! - قالها نزار متعجباً- ولكن لم أفهم ما هو المطلوب مني .

- المطلوب منك يا نزار هو الذهاب إلى بغداد وتعيد الجوهرة .. قالها ناصر وهو يتوقع وقعها الغريب على نزار .

- كيف يمكنني أن أعيد الجوهرة وهي في جوف فارس؟ وفارس يرقد في جوف القبر منذ عشرون عاما؟

- هذا الأمر بسيط جداً لقد أعددت لك كل شيئ, سوف تعيدها بسهولة ,أنا أعيد الجوهرة إلى أصحابها وأنت تعود إلى عائلتك, أعود أنا الى وطني وأنت إلى دارك.. لا

تخف يا نزار الموضوع هو إعادة حقوق لا أكثر , نحن لن نسرق أحداً..ما ستفعله هو خير..لا شر!

- أنا موافق على عمل الخير.. متى سأذهب وأنفذ العملية؟

- أريد منك أن تمارس حياتك هنا بشكل طبيعي وتذهب إلى عملك بشكل منتظم ولكن تبقى على أهبة الإستعداد للسفر, وسوف أتصل بك هذه الأيام بشكل مفاجئ وقبل موعد السفر بخمس ساعات.

إتفق ناصر ونزار على العمليه وذهب كل واحد منهم في إتجاه ..ناصر ذهب لكي يرتب أمور السفر وحل مشاكل نزار.. فيما نزار سيبقى ينتظر مكالمة ناصر بفارغ الصبر!

الفصل الثالث

(بغداد.. من جديد)

1

الساعة الثانية بعد منتصف الليل, يجلس نزار في مطبخ المطعم الليلي الذي يعمل به يتأمل دخان سيجارته التي يأمل أن تنتهي قبل إكمال إعداد الطلب الذي من المفترض أن يقدمه إلى أحد الزبائن أصوات الغناء والموسيقى تضج في جميع أرجاء المطعم جاعلة الأجواء لا تحتمل, يسمع نزار أصوات قرع الأقدام منتجة نغمات عشوائية متفرقة لتعلن هؤلاء يرقصون وهؤلاء يمرحون, ليقطع لجأة مراقبته الغير مجدية لقوم لم ولن يعيره إنتباهاً, صوت الفنانة لميعة توفيق تغنى (يلماشية بليل الهلج) نغمة تليفونه المحمول الذى أخرجه من جيبه مسرعاً لتتغير ملامح وجهه من الحزن إلى الفرح, فالمتصل هو ناصر..الذى لم يعرف منه غير الأخبار الجيدة منذ التقاه و المنقطع عنه لمدة إثنان وعشرون يوماً, عاد ناصر أخيراً, إذن فقد عاد الأمل , عادت أحلام العودة إلى بغداد وإلى الديار.. إلى الأهل وحضن الأم والأب.. إلى رائحة سمك المسكوف.. إلى الكنافة وحلاوة السميد.. ؛لى شمس ودفء بغداد.

تمالك نزار أعصابه بصعوبة ليرد على المكالمة

- أترك كل شيئ الآن واحضر فوراً إلى مطار فرانكفورت.. قالها ناصر دون أن يدع أى مجال للنقاش أو التفاوض .

– حسناً حسناً..أجاب نزار متلهفاً .. ساذهب إلى الشقه لإحضار حقيبتي سوف لا أتأخر

- لا.. لاتذهب إلى الشقه.. إحضر فوراً .

- مسافة الطريق سوف أستأجر سيارة أجرة في الحال .. قالها نزار مصارعاً الزمن .

ترك نزار كل شيئ في يده وإتجه فوراً نحو باب الخروج .

- نزار.. ناداه الشيف غاضباً .. إحمل هذا الطلب وقدمه للزبون على طاولة رقم عشرة

- إذهب وقدمه أنت .. قالها نزار ملوحاً بيده فى عدم إكتراث وهو يهم سريعاً بالخروج تاركاً الشيف فى حالة ذهول تام ! - سوف أسجل عليك مخالفه..قالها بحنق شديد

إكتفي نزار بأن لوح له بيده فى عدم إكتراث تام ليخرج بسرعه من المطعم نحو الشارع .. أشارلأول سيارة أجرة صادفته على الطريق

- مطار فرانكفورت..قالها بألمانية طليقة.

وبينما هو جالس في المقعد الخلفى للفولكس فاجن راودته بعض الأفكار ,تُرى لماذا ناصر أمره أن يتوجه فوراً إلى المطار بدون حقيبة وبدون أن يغير ملابسه حتى؟! لماذا كل هذا الإستعجال؟ ألم يكن ممكناً أن يعطيه خبر مسبق لكي يرتب وضعه؟ وصل نزار إلى المطار والأفكار والتساؤلات لم تفارقه, ليدخل للمرة الأولى إلي مطار فرانكفورت فعندما قدم إلى المانيا دخل في صوره غير شرعية,

ولكن يبدو أن الوضع مختلف الآن.. تفائل نزار.. أخرج الهاتف المحمول من جيبه وإتصل بناصر ليحدد مكانه وسط كل هذا الإزدحام وخصوصاً أن الوقت مساء, وبينما هو يحدثه تقابل معه صدفةً وجهاً لوجه ,

إبتسما وسلما على بعض,لمح نزار ناصر يحمل حقيبة سفر وحقيبة شخصية وكيس كبير, أخذ ناصر نزار إلى حمامات المطار وأعطاه الكيس ليدخل ويغير ملابسه بسرعة, دخل نزار إلى أحد الحمامات وغير ملابسه متعجباً كيف عرف ناصر مقاساته بهذه الدقة؟! لكن هذا ليس بالمهم الآن

قالها نزار مستنكراً إهتمامه بتفاصيل غير مهمة- وبعد خروجه من الحمامات أخذه ناصر إلى مكان منعزل في المطار ليتحدثا . - إسمع يانزار يجب تنفذ الأوامر بالشكل الدقيق ولا تتهاون في أبسط الأمور..قالها ناصر بنبرة حادة غير معتادة .

- أنا جاهز وعلى أهبة الإستعداد.. أجاب نزار بصدق .

- إذن إتصل الآن بعائلتك وأخبرهم بأنك ستذهب إلى رحلة برية لمدة شهر والمكان هناك لا توجد فيه وسائل إتصال حتى لا يقلقوا عليك .

اتصل نزار فوراً وأخبر عائلته بما قال له ناصر وبعد أن أنهى المكالمه سأل ناصر عما يجب فعله الآن

2

- الآن وبعد أن أخبرت عائلتك.. إخرج شريحة شركة الإتصالات الالمانية هذه , إتلفها وإغلق جميع مواقع التواصل الاجتماعي, ولا تجعل هاتفك يتصل بالإنترنت خلال فترة تنفيذ العملية وإحرص على تنفيذ الأوامر بشكل دقيق .

أخرج ناصر شريحه إتصال عراقيه وأعطاها إلى نزار لكي يستبدلها ,أخرج نزار الشريحة القديمة ووضع الشريحة الجديدة وأغلق الإتصال بالإنترنت , ومن ثم أعطى حقيبة السفر إلى نزار.

-هذه الحقيبه موجود فيها جميع احتياجاتك من ملابس وأحذية وعطور وحتى شفرات الحلاقة, أخرج ناصر ما يعلم أن نزار متلهف لإخراجه .

- هذا جواز سفرك الذي كان لدى السيد مارشال, وهذا مبلغ سبعة آلاف دولار وسأحول إليك أي مبلغ تحتاج اليه عن طريق مكاتب تحويل الأموال والحوالات .

- خذها ومزقها.. قالها ناصر حين أخرج من جيبه الكمبيالات التى كانت لدى السيد مارشال

- أنت لم تعد مدين للسيد مارشال... أخبره بوجه مشرق .

فرح نزار كثيراً عند إستلامه الصكوك, فكر كيف اسطاعت مجموعة من الورق أن تجعل حياته جحيماً لايحتمل, تفاجأ بأن مبلغ الصكوك كان تسعون ألف يورو وتوقيع نزار على كل الصكوك وهذا المبلغ غير الحقيقي لأن دين للسيد مارشال بمبلغ خمسين ألف يورو فقط لاغير.

- الصكوك مزورة! قالها نزار دون أن تتفوه بها شفتاه .. مسرعاً أخرج جواز سفره ليدقق إن كان مزوراً أيضاً, لكنه تنفس الصعداء حين وجده جوازه الأصلي ,وتعجب لماذا الجواز أصلي والصكوك مزوره؟! كيف يمكن للسيد مارشال أن يسلم جواز السفر بدون أن يستلم نقوده كامله؟!

- بماذا تفكر يانزار لم يتبقى وقت على الرحلة سوى ساعه ونصف ؟ قاطع ناصر أفكاره المتلاحقة فيما لم يعد له القدرة علي السيطرة عليه .

- هذه تذكرة سفرك, ستغادر من فرانكفورت إلى أبو ظبي , ستمكث في مطار أبو ظبي أربع ساعات وبعدها إلى بغداد, هيا خذ الحقيبة وأكمل إجراءات السفر.. قالها ناصر مساعداً إياه فى حمل حقيبته .. سأتصل بك بعدما تصل إلى بغداد, آه بالمناسبة.. لديك حجز في فندق بغداد في شارع السعدون بإسمك .

هم نزار بالإنصراف دون أن يدرى كيف يكون الوداع اللائق بينهم..صحيح أن معرفتهم لم تتخطى شهر واحد ولكن بينهم الكثير والكثير! أيحتضنه؟ أيكتفى بمجرد سلام اليدين؟ ولكن ناصراً أعفاه من إرهاق التفكير حين قام وحضنه واستودعه السلامة.

- الله يوفقك..قالها ناصر متأثراً .

إتجه نزار يحمل حقيبته نحو مكان تسليم الحقائب وبعد تسليم الحقيبه وإستلامه بطاقة الصعود إلى الطائرة, شعر بخوف شديد أمام ضابط الجوازات خشيةً أن يكون جوازه كما الصكوك- مزوراً! وقف نزار أمام الضابط لحظات بدت كأنها ساعات, ليقوم الضابط بختم الجواز بختم تنفس الصعداء كما شعر نزار.

أقلعت الطائره من مطار فرانكفورت بعد ساعة , ينظر نزار إلى تلك المدينة تتقلص وتنكمش كلما حلقت الطائرة لأعلي لتبدو فى دقائق مجرد مربعات صغيرة عديمة التفاصيل.. كيف يمتلئ هذا المكان الذى يبدو صغيراً بهموم وأحزان تفوق حجمة بملايين الأضعاف؟ تلك المدينة القاسية التى يراها من أعلى لأول مرة والتى أقسم بصدق في نفسه لن يعود إليها ولو ظهر فيها الموعود! أغلق نزار النافذة وأغلق معها آخر لمحات من المدينة التى مكث بها إحدى عشر عاماً.. إحدى عشر عاما من الغربة, من الذل والإرهاق الجسدي والنفسي.. من البعد عن الأحبة.. عن تراب الوطن وعن دفا شمس بغداد!

3

أعاد نزار التفكير في الصكوك وكيف استطاع ناصر أن يحصل على جواز السفر بدون أن يدفع المال.. لكن دون جدوى.. لا طائل الآن من التفكير فيما لن يتوصل إلى جواب مقنع له بأى حال.

ست ساعات وعشرون دقيقه استغرقتها الرحلة, ست ساعات مرت بصورة غامضة غير مُصدقة ظنها نزار حلم آخر من أحلامه ينتهى قريباً حين يراه أحد أصدقاؤه فى الشقة يهذى ويقوم بإيقاظه, هبطت الطائرة بمطار أبو ظبي وقد تحول إلى صالة الإنتظار حيث وجد أناس من جميع أنحاء العالم ينتظرون رحلاتهم وهناك النائمين على الأرض والجالسين على المقاعد والجالسين في المطاعم والكوفيهات, قرر نزار أن يجلس ليلحظ على مرمى بصره مقعد مكون من ثلاث مقاعد متصلة لا يجلس عليه أحد, جلس على أحد المقاعد وأخرج هاتفه لكي يتصفح أحد مواقع التواصل الاجتماعي فتذكر أمر ناصر له بمنعه من إستخدام الإنترنت, بملل ودقائق تمر ببطء شديد انتظر ناصر , وحين نظر إلى ساعته تذكر أن أصدقائه الآن في فرانكفورت لابد وأنهم قلقون عليه, وصاحب العمل هذا الذى لابد وأنه لم يجد تفسيراً لخروجه منفعلاً بشكل غير مبرر دون إذن,

ابتسم نزار وقرر في نفسه أن يتصل بهم ويطمئن عليهم ولكن عندما تنتهي من العملية .مدد رجليه على مقعد من المقاعد الإثنين المتصلين بمقعده وأغمض عينيه لينام قليلاً, وبعد ساعة من النوم الغير مريح, هذا النوم الذى تستيقظ منه مجهداً أكثر مما

كنت قبل أن تنام , استيقظ فوجد رأسه على كتف شخص يجلس بجانبه, رفع رأسه مسرعاً متأسفاً ومعتذراً .

- آسف جدا سيدى.. آسف جدا.. قالها نزار وهو يحاول أن يفتح عينيه اللتان غلبهما النعاس والإرهاق ليجد الجالس بجواره فتاة حسناء بيضاء ذات ملامح عربية جميلة ترتدي فستان أبيض مجسم وحجاب أبيض لايقارن ببياض وجهها المشرق, ذلك الوجه الذى يطغي على بياض فستانها وحجابها كما تطغى الشمس بنورها لتخفى النجوم والقمر عن الأنظار!

- أنا.. أنا أسف لم أكن أقصد.. قالها نزار متلعثماً .

- لا عليك , يظهر عليك التعب الشديد وأنا أقدر وضعك .

- شكراً لكي فعلاً أنا متعب جداً , لم أنم منذ يوم كامل .

- السفر متعب وخصوصاً عندما لا تكون الرحلة مباشرةً إلى البلد المقصود .. أجابت بلطف يليق بوجهها الطفولي .

- بالتاكيد فلو كانت الرحلة مباشرة لكنت الآن في بغداد بدلاً من كل هذا الانتظار هنا.. قالها نزار متزمراً .

- ماهذا هل أنت ذاهب إلى بغداد ؟! سألت بتعجب وفضول

- نعم .. إلى بغداد .

- وأنا أيضا ذاهبة إلى بغداد .

ابتسم نزار ابتسامة خفيفة تخفى كثيراً من السعادة وراءها, عادت المشاعر بداخله من جديد لتبث في داخله روح الأمل بعد أن فقدها من سنين.. منذ سنوات لم يكلم فتاة من بلده ولم يرى ابتسامة بغداد الساحرة .

- هل تسمحي لي أن أدعوكي على وجبة الغداء في مطعم المطار؟سألها نزار والقلق يأكله خشية رفضها

- لا مانع لدي, ولكني لا أستطيع تناول الطعام الآن , سأشرب فنجان من القهوه معك, لا أستطيع أن أرد عزومتك وصراحةً أنا مللت من الجلوس وحيدة فى إنتظار الطائرة وأريد شخصاً أستغله يتكلم معي.. فأنا بطبيعتى اجتماعية أحب الحديث مع الاخرين كثيراً

- إذا كان الاستغلال من هذا النوع فاستغليني كل يوم .. قالها نزار مداعباً

- بالتاكيد سأستغلك ..قالتها ضاحكة,لكنى لم أتعرف على اسمك إلى هذه اللحظه! ما اسمك ومن أين أنت؟

- إسمي نزار من بغداد وأسكن مدينة الحرية .

- أنا اسمي نوال.. أيضا من بغداد وقريبه منك

- أين قريبه منى؟ سأل نزار متحمساً.. هل تسكنين في مدينة الحرية أو في المناطق القريبه عليها؟

- أنا أسكن في حي الجامعة

نهض نزار ونوال متجهين نحو مطعم المطار وعاوده الحنين.. فتذكر زميلته مريم ,زميلة الجامعة حينما كانا يجلسان معا في كافتريا الجامعة يتحدثان لساعات دون ملل..غريب إمتلاكنا القدرة على الحوار والكلام حين نتحدث مع من نحب . ألم يكل لحظة من النظر اليها ؟ ,حلم حياته كان أن يتزوجها لكن ظروفه الماديه هى التى منعتهما من أن يجتمعا في بيت واحد ,والآن بعد كل هذه السنوات.. كيف سيقابل مريم بعد عودته إلى بغداد؟؟ هل تزوجت؟؟هل أصبحت أماً؟هل مازالت ساكنة في نفس المكان؟ حين نفارق أحبائنا لا نتصور ما قد تفعله السنون من تغيير..نظن بأننا سنعود لنجدهم كما تركناهم..ولكن ينتهى غالبا هذا الأمل بالإحباط.. هو متلهف ليرى مريم قبل كل شيئ ,حتى قبل عائلته..كيف يا ترى سيفعل هذا خصوصاً ان كانت متزوجة؟!

قطعت نوال حبل تفكيره وأحزانه حين أشارت أن يجلسا في المطعم المقابل.

جلس مع نوال في مطعم الذي اختارته وبعد ساعة أعلن المطار قرب قيام رحلة بغداد, توجها سوياً إلى الطائرة وكل منهما يجلس في مقعده ينتظر بفارغ الصبر أن يصل إلى بغداد,هذا الحلم الذى لم يعد يفصله عنه الا سرعة هذا الطائر المعدنى ذو الجناحين الكبيرين ,حلم الأرض التى ولد فيها وغاب عنها احدى عشر عاماً,

وبعد رحلة استمرت ساعتين وربع هبطت الطائرة إلى مطار بغداد نزل نزار متلهفاً فلم تعد تفصله عن بغداد غير جدران هذا المطار. دخل المطار الذي لم يسبق وأن زاره فى حياته, وبعد أن أنهى الاجراءات الأمنية متعجلاً, وقف لينتظر ظهور حقيبته, وإذا بنوال تلوح له و تنادي

- نزار.. أريد رقم هاتفك لكي اتصل بك .

- لدي رقم هاتف عراقي ولكن لا أعرف رقمه .

- إذن اعطني عنوان دارك لكي أزورك .

- أنا سوف لا أذهب إلى البيت لدي عمل أقوم به ومن هناك سوف أذهب إلى البيت . أعطني انتي رقم هاتفك وأنا سوف أتصل بك

- أنا ايضا لا أعرف رقم هاتفي .

- إنتظر قليلاً .. قالتها نوال متجهه إلى أحد المسافرين .

ذهبت نوال إلى أحد المسافرين وطلبت منه أن تتصل برقمه .. عرفت الرقم وكررت نفس العملية مع نزار لتعرف رقمه هو الآخر .

-حُلت المشكلة .. قالتها بمرح .

استلموا الحقائب وإستقل كل منهم سيارة أجرة . بقيت عينا نزار تحدقان في شوارع بغداد , الميادين التى لم تعد كالميادين, الشوارع التى لم تعد مثلما يتذكرها .

كان يتمنى لو يتجه إلى دارهم بدلاً.. رائحة وحنين الدار .. الذكريات التى لا تحصى , تحتاج الى سنوات حتى تتصل بالمكان.. والفندق ما هو إلا دار غرباء..يأتى الواحد ليذهب الآخر.

قاطعة فجأة إتصال كان يتوقعه من ناصر

- كيف حالك يانزار الحمد لله على سلامتك .

- الحمد لله لقد وصلت.. أنا الآن في بغداد..أجاب نزار وأذناه لا تصدقان ما تقوله شفتاه

-كم تحتاج من الوقت لكي تبدأ في تنفيذ العملية؟

- انا مستعجل فأنا بحاجة تامة أن أذهب إلى دارنا , مستعد أن أبدأ من الغد.

- كلا يانزار .. أنت متعب وأنا أحتاجك بكامل طاقتك ,إرتاح تماماً غداً وابدأ بعد الغد,أعتقد أنك تتفق معى أن التأخير ليس من مصلحتى؟

- اتفقنا اذن.

- سوف أهاتفك بعد الغد صباحاً حتى لأعطيك أول أوامر المهمة

وصل نزار الفندق واستلم الغرفة ,لم يصدق نفسه انه على بُعد عدة كيلو مترات عن عائلته ولا يستطيع أن يراهم.. يبدو أن ما يفصل بيننا أحيانا ما هو أقوى من المسافات .. ظل جالساً لتلمح عيناه حقيبته, ليتوجه نحوها يفتحها ليجد جميع احتياجاته فيها, لفت إنتباهه حقيبة جلدية صغيرة بين طيات الملابس, أخرجها وفتحها ليجد جهاز صغير يحتوي على شاشة لم يعرف ماهو ذلك الجهاز..

يشبه التليفون المحمول لكنه مربع الشكل ولا يحوى على ما يدل أن بالامكان التحدث منه أو إحداث إتصال .لماذا يضع ناصر هذا الجهاز فى حقيبتة؟ولماذا لم يخبره عنه؟ لم يزد فضوله فأعاده إلى الحقيبة مسرعاً وتوجه إلى السرير ليحتضن بغداد وينسى بها أعوام طويلة مرت من التعب والإرهاق!

الفصل الرابع

(غربة فى الوطن)

1

يواجهنا البعض أحياناً ويقفون في طريق أحلامنا ,يقطعون كل أنسجة أفكارنا بكلماتهم التي يوجهوها إلينا كالرعد المدوي في سماء أنفسنا وكأنهم يبحثون عن شجرة وحيدة فريده في صحراء تملأها الذئاب والعقارب . يوجهون نصائحهم وكلماتهم التي باتت منتشرة في كل مكان وزمان ,يعرفها العاقل والمجنون صغاراً وكباراً, تلك التى لو طبقناها لأصبحت الحياة أجمل وأبسط, لأبتعدنا عن جميع المشاكل التي نبحث لها عن حلول,ولكن من منا لا يرى نفسه على حق؟من منايحب أن تنكشف أقنعتنا ولترى هويتنا الحقيقية على ما بها من ضعف وهوان؟ربما يأخد مجرى حياتنا منحنى أسوأ بفعل هؤلاء الذين ينصحون ولا يفعلون..الذين يركنون نصائحهم على أرففهم ككتاب قديم على رف مكتباتهم.

هكذا بدأت هذه الكلمات تراوده صباحا قبل أن ينهض من فراشة, يتذكر كيف كان قبل احدى عشر عاماً وقبل سفره بيومين جالساً في المقهى بجانبه جاره أبو سليم يوجه له النصح كي لا يسافر,يكلمه عن حب الوطن وقسوة الغربه .

- سوف تسرق سنين عمرك ..أخبره العجوز,ولكن تجاهل نزار كلمات الرجل , إذ كيف يوجه له النصح وابنه سليم فى المانيا يعيش حياة وردية! أين قسوة الغربة وسرقة العمر! كيف ينصحه ألا يفعل ما فعله ابنه؟ أتسمع نصيحة من نجار باب بيته مخلع؟! لابد أنه يظن أنى إن ذهبت إلى هناك سوف أزاحم سليم عمله وأشاركه عيشه؟! كيف يفكر هذه الرجل مختلفاً تماماً هكذا عن زوجته ؟حين تزور زوجته دارنا لا تنفك تتكلم عن حياة ولدها في المانيا,كيف يبعث لهم المال كيف أن لديه شقه وسيارة وعمل

إداري في فندق يدر عليه كثير من الأموال؟ كان التناقض بين كلام الزوج والزوجة كبير جدا,لكن لا يدرى نزار لما صدق كلام الأم ورفض كلام الأب,لعله يخاف من الحسد- فكر نزار, ولكنه اكتشف خيبه تحليله بعد أن قابل سليم في ألمانيا كيف كان حالي أفضل من حاله بالنسبه للعمل والسكن, لكنه كان يكذب على أهله ويرسم لهم أوهاماً بالعيش المرفه الرغد الذى لم يذقه يوماً, وعدت إلى الماضي وراجعت تحليلي فاتضح لي ان الزوج كان يعرف عقبات الدنيا جيداً و اكتشف حقيقة كذب ولده سليم ,أما الزوجه فلا توجد أم تُكذب ولدها,معذورة هى فهو بعيد عنها ومن حقها أن تصدق كل كلمه يخبرها بها, من حقها أيضاً أن تفتخر بأبنها.

قطع نزار تفكيره فيما مضى ولم يعد بالإمكان إرجاعه,نهض من فراشه يردد ليتني صدقت ابو سليم واتخذت نصيحته! ارتدى ملابسه وخرج من الفندق إلى أحد المطاعم الشعبية في شارع الرشيد ليتناول وجبة الإفطار وبعد الإنتهاء لم يستطيع أن يتمالك نفسه ألا يذهب الى مدينته..كيف لا والحاجز الأكبر وهو بعد المسافات قد زال؟كيف لا وقد بات المنزل على بعد قليل من الكيلومترات بدلاً من آلاف الأميال؟ ظل متردداً بين أن يذهب نحو شجونه وذكرياته وبين تنفيذ أوامر ناصر إلى أن اتخذ قراره واستاجر سيارة أجرة إلى مدينة الحرية .

- كيف سيدرى ناصر وهو فى فرانكفورت على كل حال؟- فكر نزار- سآخذ احتيطاتى حتى لا يعرفنى أحد فى مدينة الحرية وتكون المشكلة قد حُلت .

كانت الشوارع مزدحمة حتى وصل إلى ساحة عدن فتفاجئ في التغيرات الهائلة في الساحة

- كيف تحول هذا المكان إلى كل شيئ؟! تعجب نزار.. هل هو سوق؟ مرآب للسيارات؟ تقاطع أم نقطة تفتيش؟!

فبدأ بالسير حتى اخذته قدمه إلى الثانويه التي كان يدرس بها..لجسدنا أحياناً ذاكرة مثل عقولنا.. دخل إلى الثانويه متعجباً من أعداد الطلاب الهائلة التى تحويها هذه المدرسة الصغيرة. ظل نزار ينظر إلى مدرسته التى لم يتغيرمنها شيئ سوى الطلاء, تقدم نحو الممرات والقاعات الدراسيه التى يحوى كل شبر منها على عدد لا نهائى من الذكريات. إتجه نحو مكان تجمع الأساتذة فلم يجد وجه يعرفه ولايعرف أحد من تلاميذ هذه المدرسة.. يبدو أن أصدقاؤه الوحيدين هنا هم بضع جدران لاتتكلم ولا تشعر! تمنى حينها لو يجد أحد أساتذته لكي يتكلم معه حتى لولم يتذكره ,فقط كي لايشعر بالغربة في هذه المدرسه التي قضى أجمل أيام مراهقته فيها. خرج مكبوتاً يريد أن يجلس ويتكلم مع أى شخص,يريد أن يسترجع ذكرياته,هويته,انتمائه,احساسه بالوطن .ظل يسير في شوارع الحريه حتى أوشك أن يصل إلى دارهم , تمالك أعصابه رغم سيطرة الحنين عليه وتراجع لكي لايعرفه أحد ,ذهب إلى مقهى قريب وجلس يتمعن في الوجوه فلم يجد وجهاً مألوفاً سوى رجل طاعن فى السن يجلس على طاوله بمفرده ,كان الدهر قد غير ملامح وجهه ,

رغم ذلك عرفه فى الحال..هناك ملامح لا يستطيع الزمن محوها.. كانت داره قريبة من دار نزار, نهض وتوجه نحوه وجلس إلى جانبه على نفس الطاولة,

ظل الصمت بينهم ونزار يفكر كيف يبدأ الحديث معه إلى أن توصل إلى فكرة .

2

- هل تسمح لي أن اسأل سؤال؟

- تفضل ياولدي , اسأل .

- هل أنت من هذه المدينة؟

- نعم, أنا أسكن هنا منذ أن وُلدت .. هنا مسقط رأسي وهنا تربيت والكل هنا يعرفني.. يبدو انك لست من هنا؟

- نعم انا لست من هنا, ولكن زرت هذا الزقاق كثيرا حيث كنت أزور أحد أصدقائى فى داره

- من هو صديقك؟ فلا بد أنى أعرفه

- صديقي نزار كان معي في أيام الدراسة .

- هل تقصد نزار الذي هاجر إلى أوروبا قبل أعوام؟

- نعم هو فعلا.. لقد سمعت أنه هاجر .

- نعم أنا أعرفه وأعرف عائلته, انه يسكن في المانيا ولديه هناك عمل محترم جداً ولديه شقه فاخرة وسيارة حديثة ويرسل إلى عائلته جميع مصاريفهم

- كيف عرفت كل هذه التفاصيل عنه؟! سأل نزار متعجباً

- ألم أقل لك اني هنا أعرف كل شيئ ,لكن عائلة نزار لا تتكلم عن هذه الأمور فأنهم يخافون من الحسد.. قالها الرجل كأنه العارف ببواطن الأمور .

- عن أي حسد يخافون وأنا أموت هناك في اليوم مئة مره؟ قالها نزار مبتسماً فى داخلة , وبعد أن أنهى حديثه مع الرجل العجوزخرج من المقهى وفضل أن يسير في شوارع الحرية, لكي يكتشف التغييرات الكبيرة التي حدثت فيها..

نتغير نحن البشر حتى لا يعرفنا من يرونا, لماذا نتعجب إذن من تغير شوارعنا؟ وبينما هو يفكر كيف يظن الناس المغتربين وحياتهم ومعيشتهم, وجد أن قدماه أوصلتاه الى الشارع حيث دار زميلته وحبيبته مريم, لم يتمالك أعصابه..

غريب تأثير الأماكن فى نفوسنا,تذكر كيف كان يأتي هنا يقف بالساعات كي تفتح الباب ويراها في أيام العطلات, فلم يمر يوما ولم يرى حبيبته, بالنسبة له كان اليوم الذى لا يرى فيه مريم هو يوم غير محسوب.. بهذه البساطة, لم يعشق غيرها حتى بعد تركه العراق. توقف نزار أمام الدار ولكن شعر بالوضع غير طبيعي من ناحية المارة فالوضع اختلف الآن من الناحية الأمنية وهو بإعتباره غريب ولا يعرفه أحد تقدم نحو الدار وطرق الباب .

كان يأمل أن حبيبته مريم هي التي تفتح الباب,حتى وان فتح شخص آخر الباب- فكر نزار- سوف يسألهم على أى عنوان عشوائى ليرد عنه الشبهات, ما هي إلا لحظات حتى فتح الباب وخرج رجل غريب لم يشاهده من قبل .

بعد السلام سأله عن أصحاب البيت فأخبره الرجل انه يسكن هنا منذ خمس سنين وأصحاب البيت القدماء تركوه ولا يعرف عنهم شئ . تلاشت أحلام نزار كما تلاشي الشمس ظلمة الليل, كان كل أمله أن يرى مريم بمقدار ماكان مشتاق إلى عائلته, كيف لا يرى مريم وهو في بغداد؟ كان فقط يريد أن يسمع أخبارها هل تزوجت أم لا؟ كيف تعيش؟ وأين تعيش؟ ..

غريب كيف تجعل السنون أحلامنا بسيطة.. وكيف تدرك بعد فوات الأوان قيمة أحلامنا البسيطة هذه.. هل من المعقول أن يكمل حياته بدون أن يعرف أين مريم وما الذي حل بها؟ لكنه تذكر بأن مريم كان لها صديقة معيدة في نفس الجامعه التي كانوا يدرسون فيها سوياً.

فأسرع واستأجر سيارة أجره إلى الجامعة داعياً ربه بأن صديقة مريم التي لايعرف اسمها لازالت موجودة في الجامعة ,وبعد أن وصل إلى الجامعة اتجه مباشرةً إلى الإستعلامات .

- أحتاج إلى وثيقة تخرج لغرض التعيين من فضلك .

- اذهب إلى الجناح الإدراى.. رد موظف الإستقبال .

ما أن ذهب إلى الجناح الإداري حتى تذكر اسم صديقة مريم - ريييييم.. قالها بصوت مرتفع ملىء بالحماس , دخل إلى أحد الموظفين وسأله هل توجد هنا معيدة اسمها ريم؟ صمت الموظف قليلاً

- كلا, لا توجد.. تحطمت آمال نزار فريم كانت هى الورقة الأخيرة بالنسبة له للوصول لمريم,وبينما يهم بالخروج محطم الآمال

- ربما تقصد دكتورة ريم؟ سأله الموظف متشككاً..

- ربما تكون قد أصبحت دكتورة فقد مرت أحد عشر عاماً.. فكر نزار فى نفسه .

- نعم دكتورة ريم .. أجاب آملاً أن يكون على حق .

- تجدها في غرفتها الخاصة في الجناح المقابل..رد الموظف مشيراً بيده .

ذهب نزار مسرعاً , توقف عند بابها آملا بأن تكون هي, طرق الباب واذا بصوت يرد من الداخل

- تفضل بالدخول .

فتح الباب ودخل فوجدها, هى تلك الفتاة الجميله ذات الملامح الفاتنة , قد غير الزمن من ملامحها قليلاً وجعلها ترتدي نظارات طبية,لكنها مازالت فاتنة كما كانت.لاحظ نزار أنها ترتدي خاتم زواج في يدها اليسرى ,ظل محدقاً في ملامحها حتى تيقن أنها ريم .

- كيف حالك يادكتورة ريم ؟ قالها بفرح شديد حاول كبته على قدر المستطاع .

- الحمد لله .

- هل عرفتيني؟

- كلا.. لم أعرفك.. ولكني أتذكر أني رأيتك قبلاً .

- أنا نزار زميل مريم .. صديقتك .

ظلت ريم صامتة ولاحظ نزار ترددها كأنما لا تعرف بما تجيب.. مستغربة ربما تقول في داخلها ماهو السبب الذي جاء به إلى هنا بعد إختفاء لأعوام طويلة

- سامحك الله يانزار على الذي فعلته بمريم.. قالتها بعد صمت طويل كمن يزن كلماته قبل التفوه بها

تعجب نزار من أسلوب الدكتورة ريم ولماذا تخاطبه بهذه النبرة القاسية ما الذي يا ترى جرى لمريم من بعده؟

- وما الذي فعلته بمريم؟ قالها وكأنه لايريد حقاً سماع الإجابة

- لقد تدمرت حياة مريم بعد أن تركتها وهاجرت.. هل هذا جزاء حبها لك؟

- لقد أقلقتني.. ماذا حل بمريم؟

- لقد مرت مريم بظروف جداً صعبة من بعدك ,لم تتمكن من نسيانك ,ولم تتزوج لأنها لم تستطع نسيانك ,وقد تعرض والدها إلى حادث مروري وتوفي ,بقيت تعيش مع أمها بدون معيل حتى اضطرت أن تبيع دارهم لتعيش فى دار أخرى أصغر وأحقر.. وأنت حتى لاتكلف نفسك وتسأل.. وأنت تنعم في حياة وردية في أوروبا وهي تتعذب هنا وتفكر بك..أخرجت ريم كلماتها كالرصاص فى وجه نزار .

- هل كل هذا مر على مريم دون أن لا اعلم ؟-قالها نزار والحزن يعتصره- كنت أتوقع أنها نستني وأكملت حياتها بشكل طبيعي .

- أنت الذي نسيتها وأكملت حياتك بشكل طبيعي .

- أرجوكي أنا أريد أن أراها لأعوضها عن كل الأيام الصعبه التي عاشتها من دوني .

- أرجوك .. قالتها كرجل المرور يخبرك أن تتوقف عن التحرك.. مريم لا تتحمل أن تمر بصدمة أخرى, هى تحاول أن تنساك فلا تقلب عليها المواجع أرجوك.. قالتها متوسلة .

- كلا ..أنا صادق هذه المرة ومستعد أن أعمل كل شيئ من أجلها وحتى سابقاً كنت صادقا معها ولكن ظروفي لم تكن لتسمح لي ..حتى الآن ظروفي لا تسمح ,لكنى مستعد أن أعمل أى شيئ من أجلها.

- ولماذا ظروفك الآن تسمح لك؟ ماذا كنت تفعل كل تلك السنين في أوروبا ؟

- أنا لم أقصد هذا.. أرجوكي يجب أن أرى مريم في أقرب وقت ممكن

- حسناً. .أجابت ريم بعدصمت وتفكير طويل.اليوم من المفترض أن أذهب إلى دار مريم لزيارتها,لكني سوف أتصل بها وأغير الموعد إلى مكان آخر حتى تستطيع أن تسنح لك الفرصه وتكلمها .

- أشكرك جزيلاً.. قالها بفرح .. سوف ألتقي بها اليوم و مستعد اليوم أن أخطبها

ظهرت علامات السعادة على وجه الدكتورة ريم بعد أن سمعت تلك الكلمات من نزار, اتصلت فوراً بمريم ودعتها إلى وجبة عشاء في أحد المطاعم .

فرح نزار فرحتان, الأولى لأنه وجد من يوصله لمريم, والثانية أنها مازالت غير متزوجة ومازالت تفكر به.

- أشكرك يا دكتورة ريم.. أشكرك جزيلاً.. قالها وهو يخرج مسرعاً ليشتري بعض الملابس الجديدة من أجل مقابلته مع محبوبته مريم ,عاد إلى الفندق بعد أن جهز كل شيئ ينتظر إتصال من الدكتورة ريم وإذا بالهاتف يرن .

- نعم يادكتورة ريم أنا جاهز..قالها سريعاً جداً دون أن يعطى لنفسه الفرصة حتى لكى يلمح رقم المتصل .

- آسفه يانزار..قالت معتذرة.. لن تقابل مريم اليوم فقد اتصلت لتعلمنى بتدهور الحالة الصحية لوالدتها ,وقد ذهبت معها إلى المستشفى.وغداً لديها موعد مع الطبيب المختص في علاج والدتها لذا أجلنا الموعد إلى بعد الغد.. هل أنت موافق على هذا؟

- لكن يادكتورة..قالها بصوت متكسر.. أنا متلهف لرؤية مريم ..لا أستطيع أن أنتظر يومين كاملين .

- ما هذا يانزار؟ قالت مستنكرة.. لقد تحملت أن تتركها أكثر من عشرة أعوام والآن لاتتحمل أن تنتظر يومين؟

نزلت كلمات الدكتورة ريم على نزار كالصاعقه.

خلع ملابسه وجلس يفكر كيف تمكنت أن أترك هذه الإنسانة الضعيفة كل هذه المدة؟؟ تركتها تواجه صعوبة الحياة بمفردها بعد أن وعدتها ألا أتخلى عنها أبداً؟ لكني تخليت عنها ,وعدتها ألا أتاخر عليها ,لكني هناك لم أنسها قط ,بل نسيت حتى نفسي وعائلتي! ما أصعب تلك الأيام التي مرت علي في فرانكفورت! هل سوف تتم المهمة

التى أوكلها إلى ناصر على خير وتعود الأمور إلى مجراها ؟ لم ينه الفكرة حتى وردت مكالمة من ناصر .

أهلاً ياناصر كيف حالك .

- الحمد لله ..اسمع يانزار سوف أرسل لك عنوان بيت أم فارس في رسالة, كى تذهب وتخبرها بأنك صديق فارس وكنت خارج العراق وتريد أن تزور قبره, حاول أن تعرف يرقد في أي مقبرة وعنوان قبرة لكي أوافيك ببقية التفاصيل .

- نعم ارسل لى عنوانها, أنا جاهز..قالها باصرار.. حاول أن توافيني في تفاصيل العمليه بأسرع وقت ممكن .

لم تمر دقائق من إنهاء المكالمة حتى وصلت الرسالة تحمل تفاصيل عنوان أم فارس , تبين أنها تسكن في مدينة الإسكان في بغداد. ظل جالساً غير مطمئن ليوم غد ,كيف سيقنع أم فارس بأنه صديق ولدها؟ وفي هذه الأثناء إتصلت نوال به

- نوال.. كيف حالك؟

- الحمد لله.. كيف تنساني ولا تتصل بي منذ ليلة البارحة؟قالتها بمعاتبة ومرح .

- كنت أود الاتصال بك لكني ظننتك مشغولة مع عائلتك .

- كلا يانزار..إتصل بي في أي وقت فأنا أعيش وحيده .

- هل فعلاً تعيشين وحيدة في المنزل؟ سألها متعجباً .

- نعم صدقني.. إن كنت لا تصدق تعال الآن إلى المنزل لترى بنفسك .

تعجب نزار من رد فعلها, كيف تدعو شاباً غريبٌ تعرفت عليه قبل يوم واحد إلى بيتها؟ وماذا تريد منه في هذا الوقت المتأخر .

- نعم أنا أصدقك , لكني لم أكن أعلم بأنك تعيشين بمفردك .

- ماذا أفعل لك؟ إنك لم تسألني كثيراً لتتعرف علي جيداً.. على كل حال أريد أن أراك غداً .

- غداً لدي عمل مهم جداً.. عندما أنتهي منه سوف أتصل بك ونحدد موعد .

أنهى نزار المكالمة وعلامات الإستغراب ترتسم على وجهه , يفكر فيما يدور في ذهن نوال, وماذا تريد منه هذه الفتاة المتهورة؟ كيف تسكن وحدها في منزل وأين كانت مسافرة؟ وما هو العمل الذي تقوم به زاد فضوله لكن لم تزده الأسئلة المتراكمة فى رأسه غير فضول ليعرف ما تخفيه له نوال!

الفصل الخامس

(فارس .. بعد عشرون عاماً)

1

إستيقظ نزار الساعة الثامنة صباحاً ,أصوات برق ورعد تهز أركان غرفته وأصوات هدير المطر يتدفق بقوة خارج النافذة, شعر كأن المكان يتأرجح به كسيارة على طريق غير مبلط, نهض وإتجه نحو الشرفة وبعد إزاحة الستار, نظر إلى جو غائم وأمطار تتدفق بغزارة والشوارع شبه خاليه من السيارات والبشر, مازال يفكر في مهمة اليوم .. مقابلة أم فارس.. فضل أن يعود إلى فراشه ويكمل نومه ,لكنه تذكر ناصر الذي ينتظر منه جواب في أسرع وقت ممكن,هو يريد أيضاً أن ينتهي من هذا الكابوس, أعاد النظر إلى الخارج فوجد أن الجو لايساعد على الخروج , ظل متردداً بين البقاء في الفندق وبين الخروج لينجز جزء من العمل الذي جاء من أجله. أحس بالجوع فقرر أن ينزل إلى صالة الفندق الرئيسية التى وجدها خالية من الزبائن إلا موظف الإستعلامات يتصفح هاتفه, قرر الذهاب إلى أحد المطاعم القريبة ليتناول وجبة الإفطار وإذا بموظف الاستعلامات يناديه .

- إلى أين ذاهب ياسيدي؟

- إلى أحد المطاعم لأتناول وجبة الإفطار .

- استرح سيدى في الصالة فالمطر غزير جداً بالخارج , سأتصل بأحد المطاعم القريبة وهم يحضرون لك الطعام.. قالها وهو يهم بالإتصال .

- جيد لقد وفرت علي بعض العناء, قالها متنفساً الصعداء, قل لي لماذا الشوارع فارغه هكذا؟ هل بسبب المطر أم هناك سبب آخر؟

- لقد تسببت الأمطار الغزيرة في غرق بعض الشوارع مما جعل الحكومة تعلن اليوم عطلة رسمية بسبب الأمطار وفي مثل هكذا يوم أمطار وعطلة معظم الناس تفضل عدم الخروج من منازلهم .

دخل في هذه الأثناء عامل المطعم بيده ما طلبه عامل الريسبشن, قام بوضعه في عدة أكياس كي لايبتل بماء المطر, كانت ملابسه رطبه ,يبدو انه لم يكترث بإحضار شمسية تقيه المطر. أخذ نزار الطعام وأعطى ثمنه للعامل وجلس يتناول وجبة الإفطار ,وإذا بهاتفه يرن.. بالطبع كما توقع.. إنه ناصر.. تعجب نزار من وقت المكالمة ,فالوقت مبكر وناصر يعلم توقيت بغداد .

- صباح الخير سيد ناصر .

- صباح النور يانزار كيف حالك؟

- الحمد لله بخير .

- اسمع يانزار أنا أعلم أن اليوم الطقس غير مناسب للخروج ولابد وأنك تفضل أن تبقى في الفندق , لكن التأخير لايخدمك ولايخدمني,كما أنك ستزور إمرأة كبيرة في السن فبالتأكيد ستجدها بالمنزل .

- حسنا لا تقلق, كنت سأذهب على كل حال, فالمطر لايعيق طريقي .

بعد هذه المكالمة, تيقن نزار أن ناصر لديه أيادي قويه في بغداد وهناك سر خطير لم يخبره إياه, لكن لو كان لناصر أيادي خفية في بغداد لماذا انتظر كل تلك السنين ولم يطلب منهم تنفيذ عمليته؟

هل من المعقول أن يثق بغريب مثل نزار ولايوجد لديه شخص واحد هنا يثق به؟ لم يدع نزار هذه الأفكار تعكر عليه فطوره, أكمل فطوره وخرج من الفندق بعد أن استعار مظله من موظف الاستعلامات لتحمي ملابسه من الأمطار.

إستاجر سيارة أجرة إلى مدينة الإسكان حيث عنوان أم فارس, وبعد الوصول إلى العنوان نزل يبحث على الدار المقصودة وسط شوارع خالية من البشر ,كانت الأمطار على وشك أن تضيع ملامح الشارع من كثرة المياه حيث بدت كأنها كتاب خلط الماء أحباره فصار بلا ملامح, لا يقرأ ولا يميز,ظل نزار يبحث لمدة ساعة كاملة وسط صفحات الشوارع التى فسدت أحبارها ونظامها, من شارع إلى شارع ومن زقاق إلى زقاق , إلى أن وصل إلى الدار بعد أن إبتلت ملابسه وغاصت قدماه فى الوحل. وقف متردداً كيف سيقنع أم فارس بأنه صديق إبنها الذى لم يراه فى حياته؟ تجرأ وطرق الباب وبعد عدة محاولات سمع خطوات أقدام قادمه لفتح الباب, تحضر نزار وتمالك أعصابه حتى فتح الباب..

2

تفاجأ نزار برجل بدين رغم أن ناصر كان قد أخبره بأن أم فارس تسكن لوحدها.

- تفضل..ماذا تريد؟ قالها الرجل البدين بملامح بارده لا تعكس ما بداخله .

- أنا هنا لمقابلة أم فارس.. قالها نزار مرتبكاً .

- أم فارس؟ سأل الرجل متعجباً قاطباً حاجبيه.. أنت متوهم لا يوجد شخص هنا بهذا الإسم .

- ولكني متأكد من العنوان.. رد نزار مدافعاً.. وهذا كان منزل صديقي فارس .

- سيدي الكريم أنا أسكن في هذا الدار منذ عشرين عاماً.. قالها الرجل والحنق بدأ يتسرب اليه كما يتسرب الماء من صنبور معطل .

- هل اشتريت هذا الدار من أم فارس؟

- كلا انا مستأجر الدار, ولا أعرف من صاحب الدار لأني استأجرته من سمسارعقارات وأتواصل في دفع الإيجار معه, فقط إذهب واستفسر منه قد يكون الشخص الذي تسال عليه هو من يتواصل معه .. قالها البدين مشيراً لنزار بالذهاب .

شكره نزار واتصل بناصر يخبره بالتفاصيل فأمره ناصر أن يجد طريقه لمعرفة عنوانها الجديد.

اتجه نزار نحو محل صاحب العقار وبعد أن وصل إليه وجد المحل مغلق والمطر يتدفق.. بالطبع من سيفتح محل فى ظل هذا الطقس؟ - استنتج نزار فى نفسه- أخرج هاتفه

ليتصل بناصر يطلب منه تأجيل المهمة إلى الغد .لكنه لمح رقم هاتف صاحب المحل على ورقه ملصوقه على زجاج المحل, اتصل نزار بصعوبة على الرقم الذى تهدل وتشوه بفعل المطر وبعد لحظات رد صاحب المحل .

- نعم من معي ؟

- انا زبون أريد مقابلتك ؟

- أنا اليوم في المنزل ولا أستطيع الذهاب إلى العمل أجل الموضوع على غد.. قالها بحنق كأنه لا يصدق كيف يطلب هذا المغفل مقابلته فى مثل هذا الطقس .

- انا لا أريد منك شيئاً, أريد فقط أن ترشدني إلى عنوان أم فارس فأنا قادم من مكان بعيد وأريد مقابلتها بموضوع مهم, وبعد أن إستفسرت عنها أخبرونى انك الذي ترسل مبلغ إيجار دارها .

- واضح من كلامك إنك لاتعرفها أو لم تزورها منذ وقت طويل..قالها متأكداً .

- كلا أنا أعرفها ولكن أنا كنت مقيم في خارج العراق, أنا صديق ولدها المرحوم فارس
- اسمعني جيدا, أم فارس لا تقبل أن أعطي عنوانها لغريب ,لكن سوف أتصل بها وأخبرها , إن قبلت أن تقابلك سوف اتصل بك وأخبرك.. إنتظرني سوف أرد إليك الخبر بعد قليل.

وقف نزار تحت مظلة محل العقار ليحمي نفسه من ماء المطر آملاً أن توافق أم فارس على مقابلته, لكن تبين لنزار أن هذه المرأة غير سهلة بالمرة وقد تكشفه بسهوله.

لكن لحسن حظ نزار, إتصل صاحب محل العقار بعد دقائق ليخبره أم فارس وافقت على مقابلته .

- أبقى واقف في مكانك وسوف أبعث لك سيارة تقلك إلى دارها, لن تستطيع الذهاب إليه في مثل هذا الجو.

انتظر نزار ما حسبه عشرة دقائق وظنه عشرة ساعات إلى أن وصلت أمامه سيارة تبدو بقدم أرض العراق .

- السلام عليكم..قالها السائق.. هل أنت من تريد أن تقابل أم فارس؟

- نعم هو أنا..قالها نزار مقترباً من باب السيارة هرباً من الماء الذى لا يتوقف تدفقه من السماء.

- هل أنت تعرف أم فارس؟ سأل نزار .

- كلا.. أنا لا أعرفها ,لكني أذهب إليها كل شهر لأعطيها إيجار المنزل وترسلني إلى السوق لكي أتبضع لها بعض احتياجاتها المنزليه, هي لا تستطيع الخروج من المنزل بحكم سنها , وأنا أقوم بتلك الأمور مقابل راتب شهري بسيط , لكن قول لي.. قالها ناظراً بإتجاة نزار.. أنت أول شخص يبحث عنها ويريد زيارتها منذ سنين.. هل أنت قريبها؟

- كلا أنا صديق ولدها المرحوم فارس.. قالها نزار متوتراً .

- ذكرتني بفارس الله يرحمه..قالها رافعاً يديه نحو السماء تاركاً مقود السيارة وجاعلاً قلب نزار يهبط الي ركبتيه خوفاً من حادثة فى مثل هذا الطقس.. أم فارس لا تخرج

من دارها منذ سنين..أكمل حديثه.. تخرج فقط لزيارة قبر ولدها, كانت سابقاً تزوره كل أسبوع ولكن الآن وقد صارت كما يقولون عجوز كبيرة تزوره كل شهر مرة واحدة وأحياناً كل شهرين مرة .

- هل أنت من يأخذها لزيارة قبر ولدها فارس؟

- نعم بألتاكيد فأنا السائق المفضل بالنسبه لها .

صمت نزار قليلاً وفكر في داخله أن يرشده هذا الشخص إلى قبر فارس دون أن يضطر لمقابلة تلك العجوز التي من المحتمل أن تكشفه بكل سهولة. لكن كان هناك دافع خفى لا يعرف تفسيره يدفعه بأن يقابل تلك العجوز.. شعور غريب يحثه أن يذهب إليها ويتكلم معها لم يعرف لماذا لم يفاتح السائق في الموضوع شيئ ما في داخله قد منعه ويقول له يجب أن تقابل تلك العجوز, كما أن رجوعه فى قرار مقابلة العجوز الآن قد يثير الشكوك حوله. ما هى إلا دقائق وتوقف السائق أمام باب أحد المنازل

- سجل رقم هاتفي عندك قد لايتوقف المطر وتحتاجني. قالها السائق .

سجل نزار رقمه وأعطاه الأجرة ,نزل من السيارة ووقف أمام باب الدار وطرقه وشعر بأن طرقات قلبه تدوى أكثر من طرقات الباب, لحظات وسمع صوت خطوات ثلاث أرجل بطيئه تتجه نحو الباب ,فُتح الباب ليتفاجأ بعجوز كبيرة في السن قد حنى الزمن ظهرها تمسك بيدها عصا لتساعدها على الوقوف وقد رسم الحزن على وجهها الكثير.

- تفضل إلى الداخل فلا أستطيع أن أطيل الوقوف..قالتها بصوت أنحله الزمن. دخل نزار إلى منزل عتم أنواره مطفأه, استنتج أن التيار الكهربائي مقطوع بسبب الأمطار

الغزيرة, جلس وشعر بدفئ المكان حيث كان أمامه مدفأه نفطيه قديمة أعادت اليه ذكريات أيام الطفولة حين كان يلهو بجوار المدفأة مع إخوته وأولاد عمومته.

- لقد اتصل بي صاحب محل العقار وقال لي انك تريد أن تقابلني, هل تعرفني؟ سامحنى فأنا لاأستطيع معرفتك فقد تلاشت لدى الوجوه بسبب كبر السن.. قالت العجوز معتزره.

فكر نزار قبل أن يجيبها.. إبنها فارس من عمر ناصر وناصر يكبرنى بأعوام.. فكر محذراً نفسه من الخطأ .

- أخي الكبير كان صديق فارس وأنا لا أعلم ما الذي جرى لفارس فقد كنت خارج العراق لمدة سنين وكان فارس يلاطفني ويمزح معى وأنا كنت أحبه جداً .

- من هو أخوك؟ سألت العجوز غير مهتمة بخطاب نزار المزيف .

- أخي هو أحمد.. أجاب متلكئاً .

- والله ياولدي أنا لا اتذكر أى من أصدقاء فارس ,بعد الحادثه لم يسأل عليه أحد لا من قريب ولا من بعيد.. أنت أول شخص يزورني بعد وفاة فارس .

- ماهو سبب هذه المقاطعة من الكل؟ سأل مدعياً التعجب .

- سبب تلك المقاطعه أنهم يعتبرون فارس خائن للأمانة وأنا مصره على براءته وأعلم أخلاق ولدي جيداً .

- ولو فرضنا أن فارس خائن , ماهو ذنبك أنت؟

- ذنبي انى أمه.. أنا التى أعرفه جيداً وأدافع عن براءته, كل الأقارب قاطعوني وشبه تبرأوا مني بحجة أن إبني سارق. لم يتبرأوا عني بصوره رسمية لأنهم يفكرون بأنى أمتلك منزلين وينتظرون موتي يوم بعد يوم لكي يقسمون الغنيمه بينهم.. تحدثت العجوز مطأطأة الرأس بقوة سنوات من الإجحاف والظلم والحزن .

3

صُدم نزار من كلام أم فارس تعجب كيف لشخص وحيد أمه ومتمكن مادياً يقدم على مثل هذا العمل الذي أخبره عنه ناصر. فجأة قطعت تفكيره أم فارس .

- ليتني لم أوافق على عمله مع صاحب محل المجوهرات .

صُدم نزار من هذه الكلمات فقد أخبره ناصر أنه هو الذي يعمل مع صاحب محل المجوهرات ليس فارس.

- لماذا تقولين هكذا يا أمى؟ قالها بنبرة لا تخلو من شفقة .

- فارس لم يكن محتاج للعمل ,فنحن لدينا ما يكفينا وراتب أبو فارس يفيض. لكن فارس لسمعته الطيبه ولكثرة مديح الناس فيه, عرض عليه صاحب محل المجوهرات أن يعمل معه وقال لي يا أمي أنا أريد أن أعمل فالعمل شرف وأنا لم يعد يصح أن أبقى بدون عمل .

- وماذا كان يعمل فارس قبل أن يعمل مع صاحب المحل؟

- كان هذا البيت قبل أن أسكن فيه خاص بفارس وكانت لديه مكتبة في الطابق العلوي يجلس بها ويقرأ الكتب ويدون في مفكراته فأنه يحب مطالعة الكتب .

- وهل مازالت المكتبة موجودة؟

- نعم انها موجودة لكني لم أدخلها منذ خمسة أعوام فأنت كما تعلم لا أستطيع صعود السلم الآن .

- هل تأذني لي أن أرى مكتبة فارس؟

- نعم بكل تأكيد اصعد إلى الطابق العلوي تجدها مقابل السلم .

صعد نزار ببطء حاملاً بيده هاتفه ليضيء السلم حتى وصل إلى المكتبة, فتح الباب لتفاجئة رائحة التراب المتراكم كما لو أن قام باكتشاف مقبرة أحد الملوك,غطى أنفه بمنديل ورقى و دخل ليجد ميز كلاسيكي صغير وعليه مصباح مكتبي ورفوف عليها كتب مغطاة بالغبار وصور دينيه على الجدران ,إتجه نحو الكتب فوجد أغلبها دينيه وقصص وروايات جديه, توجه نحو المكتب وفتحه فوجد ألبوم صور أخرجه ووجه إنارة الهاتف نحوه وبدأ يقلب في صفحاته ليجد به صور كثيرة منذ طفولة فارس إلى شبابه مع كثير من الأصدقاء ,لكنه لاحظ عدم وجود صورة تجمع فارس بناصر. جلس في مكتبة فارس والحيرة تملأ عقله فلم يجد حلاً إلا أن ناصر لابد وأنه يكذب عليه ,لابد أن لديه خطة أخرى معه ,بدأ يتيقن بأن فارس برئ! نهض ونزل من السلم ليجلس مره أخرى مع أم فارس ويكمل حديثه معها .

- هل تعرفين جميع أصدقاء فارس يا أم فارس؟

- أنا أعرفهم ولكني لا أتذكرهم جميعاً.. قالت كأنها معتذرة .

- هل تعرفين ناصر صديق فارس ؟

- نعم, أعرف هذا الإسم ولكنه لم يكن صديق ولدي.. قالتها بعد طول تفكير .

- ولكني أتذكر بأن فارس كان له صديق إسمه ناصر .

- هذا صحيح تعرف عليه عندما كانا في الجيش ولكن ناصر لم يكن مثلاً للصديق الجيد وقد استدان مبلغ من النقود من ولدي أكثر من مرة ولم يرجعه حتى أمرت فارس بأن يتجنبه ,الحقيقة أني لم أكن أحبه وكان دائما يتسبب لفارس في المشاكل .

- وهل زارك ناصر بعد وفاة فارس؟

- كلا لم يزرني أحد, لقد ظلمني الجميع وظلموا فارس حتى بعد موته فلم يحققوا رغبة أبيه ولا رغبتي بدفنه في مقبرتنا بجوار قبر أبيه, لقد دفنوه هنا في بغداد وقالوا لي أنه ليس من الضروري أن يقطعوا كل هذه المسافة الطويله ليدفنوا خائن للأمانة بجوار أبيه..قالتها دون أن تتغلب على دموعها .

أثر كلام العجوز في نزار وأدمعت عيناه لكنه تمالك نفسه . فوجئت أم فارس بدموع نزار واستغربت كثيراً فهى لم تر شخصاً حزين على فارس منذ عشرين سنة مثل هذا الغريب الجالس أمامها .

- إسمع ياولدي.. منذ أن علمت أن ولدي فارس قد فارق الحياة لم أجداً شخص يسمع همومي الا الله سبحانه وتعالى .

- إن الله خير السامعين ياحجة فلا تيئسي ابداً من رحمة الله.. الله موجود .

- نعم ياولدي ونعم بالله, أنا لم أيأس أبداً ولم أنقطع عن الدعاء ولو طرفة عين. وأعلم أني قبل أن أموت سوف تظهر براءة ولدي فارس وكنت أتمنى دائما أن يأتي الشخص المناسب ويسمعني, واليوم ولأول مره شعرت بشعور غريب عندما إتصل بي صاحب محل العقار وقال لي هناك شخص يريد أن يقابلك, لقد انتابني شعور بأن الله سبحانه

وتعالى أرسلك لتكشف الستار عن حادثة فارس وفعلاً عندما سألتني عن فارس لم اتفاجأ بل كنت متوقعه ولهذا السبب أدخلتك.

صُدم نزار بكلام أم فارس كيف عرفت إنه كان يقصد السؤال عن فارس وعن تفاصيل حياته؟ وتذكرعندما عرف أن سائق سيارة الأجرة يعرف عنوان القبر كيف إنه لم يتفاوض معه, بل دفعه شعور غامض بداخله ليقابل أم فارس. هل فعلاً كان توجيه إلهي أم لدى هذه المرأة حاسة سادسة أم ماذا؟ جُن جنون نزار كمن شاهد تواً عرضاً سحرياً لم يستوعبه عقله .

- أنا فعلاً كنت قادم إلى هنا لكي أعرف تفاصيل أكثر عن فارس لأنني سمعت أن فارس سارق وأنا أعرفه فقد كان إنسان جيد, لكن قولي لى ما هو الدافع الذي جعلك تتيقنين أنني سوف أظهر براءة فارس وأنت لاتعرفيني؟

- لو قلت لك ياولدي سوف تظننى مجنونة!

- العفو ياحجة, أنا أثق بكلامك ورجاحة عقلك .

- اسمع ياولدي أنا دائماً أرى في منامي أحلام حقيقية وعندي إمكانية التمييز بين الأحلام الحقيقية والأحلام العابرة, لقد مررت في حياتي بعدة أحداث وكان لي علم أنها ستحدث, أنا أعتبرها هبة من الله سبحانه لأني إمرأة مؤمنة . من هذة الأحداث إستشهاد زوجي أبو فارس في الحرب العراقية الإيرانية سنة 1981 ,لقد حلمت قبل يوم من إستشهاده بأني كنت واقفة أنا وزوجي وفارس وفجأة هبت علينا رياح مغبرة وبعد أن زالت وهدأت العاصفة ووضحت الرؤية, نظرت إلى والد فارس فوجدت

ملابسه ممزقة وأنا وفارس لم يصبنا أي مكروه, نهضت من النوم مفزوعة وعلمت أن والد فارس سوف يصيبه مكروه وفي نفس اليوم وصلني خبر إستشهاده. وقبل حادثة فارس بيوم حلمت نفس الحلم ولكن كنت واقفة أنا وفارس وحدنا وهبت علينا الرياح ومزقت ملابس فارس ولم يصبني أي مكروه وفعلاً في نفس اليوم اختفى فارس و دخلت الشرطة إلى المنزل القديم وفتشوا البيت , كانوا يبحثون على جوهرة يقولون بأن فارس قد سرقها فعلمت من يومها بأنني أحلم أحلام حقيقية. وبالأمس بعد أن أكملت صلاة الفجر ونمت حلمت بأنني واقفه عند قبر فارس فى الظلام وكان على القبرغباركثيف, حاولت أن ازيحة فلم أتمكن, فجأة بدأ المطر يهطل بشدة وظهرشخص عند بداية نزول المطر وتقدم نحو القبر وأزاح الغبار,فهدأ المطر وأنارت السماء وتغير شكل القبر وأصبح يشع نوراً ,نهضت من النوم فسمعت صوت المطر في الخارج فتيقنت أن هناك شخص سيكشف الستار عن حادثة فارس وفعلاً في نفس اليوم إتصل بي صاحب محل العقار وأخبرني أن هناك شخص يبحث عني - لا اعرف ماذا أخبرك يا أمى.. قالها نزار متأثراً.. أنا فعلا أود معرفة الحقيقه ولكنى لا أعرف تفاصيل كثيرة عن الحادثة .

- إسمع ياولدي.. أنا سأساعدك في البحث عن الحقيقة, أعلم أنى إمرأة كبيرة ولدي ما يكفيني من المال ,لدي دارين في بغداد إذا مت سوف يرثني أشخاص لاأحبهم ولا هم يحبوني اذ تمكنت من كشف الحقيقة وأعدت السمعة الجيده إلى أسرتنا سوف أهب لك الدارين قبل مماتي .

- ماهذا ياحاجة؟ رد نزار مستنكراً..اذا تمكنت من كشف الحقيقه لن أكشفها لكي تعطيني المال, إنها مسألة مبدأ وأنا مكلف به.

- إسمع ياولدي, الدارين المفروض أنهما تكونان إرث فارس , وفارس الآن تحت التراب , لكن سمعته ملوثه وكل إنسان تهمه سمعته إن كان على قيد الحياة أو فارقها, فلو تمكنت من إستعادة سمعة إبنى وإراحته فى مرقدة تحت التراب, فإن إرث فارس لا أحد يستحقه غيرك .أرجوك ساعدني وسأكون ممتنة لك.. ترجته والدموع تملأ عيناها .

صمت نزار يفكر في الإرادة الإلهية التي جعلته يقابل أم فارس وتكشف له الستار وتزيل الغمام من أمام عينيه.

- قولي لي ياحجة هل وجدوا الجوهرة بعد الحادثة؟

- كلا ياولدي لم يجدوها أبداً, قالوا بأن فارس قد خبأ الجوهرة في مكان وعند هروبه تعرض للحادث . - لماذا شكوا بأن فارس قد سرق الجوهرة؟ لماذا لم يشكوا أن فارس قد سُرقت منه الجوهرة؟

- لقد تعبت أقول هذا يا إبنى , لكن لم يسمعني أحد لأن صاحب محل المجوهرات قد أرسل فارس يسلمها في فندق الرشيد وفارس تعرض للحادث خارج بغداد .

- هل قلتي تعرض للحادث خارج بغداد؟ كيف؟ سأل نزار متعجباً .

- نعم , المشكلة بأن فارس وجدوه مدهوس على الطريق الرئيسي لمحافظة صلاح الدين والسيارة وجدوها في مرأب فندق الرشيد! هناك لغز في الموضوع كما هو واضح, لكنهم أصروا بأن فارس أراد أن يعمل تمويه للشرطة .

- وهل وجدوا فارس مدهوساً فى نفس اليوم؟

- كلا , وجدوه بعد يومين من إختفاء الجوهرة .

لم يستطيع نزار أن يبوح لأم فارس بما يعرفه بأن الجوهرة في بطن فارس! فقد تأكد نزار من براءة فارس بنسبة مائة في المائة, هناك أشياء لا تحتاج إلى دليل ملموس لنثق من صحتها,لكن كيف يصل الى قصة الحادثة الحقيقية؟ إلى من يلجأ لمعرفة ما دار هناك فى تلك الساعة؟

إتصل ناصر بنزار ففضل ألا يرد .

- كيف أستطيع أن التقي بك؟ سأل أم فارس .

- في أي وقت ,خذ رقم هاتفي وإتصل بي ,أنا جاهزة لأي استفسار على مدار الساعة .- إذن أريد أن أذهب معك نزور قبر فارس .

- نعم بكل تأكيد, إتصل بي في أي وقت وسأكون جاهزة .

- إذن أستاذن أنا الآن.. قالها وهو يهم بالوقوف , لقد تأخرت فلدي موعد مهم ,تأكدي تماماً سوف أكشف للكل الحقيقة في أقرب وقت ممكن .

- وتأكد ياولدي أنا سأفى بوعدي لك مهما كانت النتائج.

4

خرج نزار من دار أم فارس يمشي تحت المطر بدون أن يهتم بفتح المظلة, يفكر بالعرضان المغريان أمامه, الأول خمسون ألف يورو مع إنسان كذاب ومخادع لا يدرى كيف علم بمكان الجوهرة ويريده أن يعبث بجثة شخص برئ ويخون تلك المرأة التي فتحت له بيتها وآمنت به وعلقت كل آمالها عليه, والثاني هو أن يعيد سمعة شخص برئ وآمال إمرأة عجوز تقوم بالعد التنازلي لتلتقي بولدها فى دار الآخرة مقابل دارين! يا الهي ماهذا الذي أنا فيه الآن؟ فكر نزار وعقله يدور كأنما نزل تواً من أرجوحة, لقد تحولت من شخص متسكع في المطاعم الليلية ينتظر بقشيش من الزبائن بعد أن أخدمهم الى شخص أمامه عرضين كلاهما قد يغيران حياتي للأبد ,لكن أمامي شخصان وهذا هو المهم, إن أرضيت ناصر سوف أمحي كل أحلام تلك المرأة العجوز وإن أرضيت أم فارس وكشفت الحقيقة سوف أخون من أنقذني من الضياع وأدين له بوجودى هنا فى وطنى.

لم يكمل نزار سلسلة أفكاره حتى رن هاتفه آخذً إياه من تفكيره العميق ليجد أن ملابسه قد ابتلت بشكل كلي فرد على الهاتف وبالطبع كان المتصل ناصر .

- نعم ياسيد ناصر, لم أستطع الإجابة منذ قليل فكنت أتكلم مع أحد الاشخاص .

- لا يهم..أخبرني ماذا فعلت؟ هل قابلت أم فارس؟

- كلا , لم اقابلها لكن تعرفت على شخص يعرف مكان المقبرة وقبر فارس,هو السائق الخاص بأم فارس .

- جيد.. لكن لماذا لم تقابلها؟

- لقد سألت عنها , وجميع الناس والسائق الخاص بها يقولون أنها كبرت أصبحت عجوزة خرفة فقدت عقلها ولا تستطيع أن تأخذ منها كلام مفيد .

- حسناً هذا جيد.

أنهى المكالمة مع ناصر متعجباً من نفسه ومن تصرفه, لماذا لم يقل لناصر أنه قد قابل أم فارس؟ ماذا حدث له بعد أن قابل تلك العجوز؟ هل سحرته؟ هل أعادته إلى صوابه وأصبح يفرق ما بين الحق والباطل؟

لقد بدأت أسير في الطريق الذي تريده مني العجوز وتركت طريق ناصر..فكر نزار.. ولكن ألم يخبرنى ناصر بأن المسألة هى إعادة حقوق؟ والآن وقد رأيت أن إعادة الحقوق إلى أصحابها هو أن تظهر براءة فارس,أليس ما يرضيه سبحانه وتعالي هو أن أسير فى هذا الطريق؟

إتصلت نوال ورد متردداً على المكالمة .

- نعم يانوال كيف حالك ؟

- الحمد لله لقد انتظرت منذ الصباح مكالمتك كما وعدتنى, ألم تقل أنك ستتصل بى فور بعد أن تنتهي من عملك؟

- هذا صحيح ,لكنى تأخرت وأنت تعرفين كيف أن الجو غير مناسب اليوم للخروج والتنزة .

- أنا لم أطلب منك أن نخرج.. أنا أنتظرك في منزلي .

- ماذا تقولين؟سأل نزار بصوت لا يخلو من عصبية وتعجب.. في منزلك؟ ألم تقولي أنك تعيشين وحدك؟

- إسمع يانزار, لقد أعددت الطعام لشخصين, أنا في إنتظارك ويجب عليك أن تحضر إلى منزلي, سأرسل لك العنوان كاملاً..

أنهت نوال المكالمة دون أن تدع له أى مجال للمناقشة أو الرد ,أرسلت العنوان فى رسالة إلى نزار الذى ظل متردداً لكنه اتجه للشارع الرئيسي واستأجر سيارة أجره وقرر الذهاب إلى نوال في دارها .

ظلت نوال منذ رأته تفكر كيف تستدرجه إلى خطتها ,كيف تجعله كالخاتم في أصبعها لينفذ مخططاتها اللعينة التى أتت إلى بغداد خصيصاً من أجلها, كيف ستقنعه يتردد إلى منزلها لتحقيق مبتغاها؟ ماهي الطريقه التي تجعل بها نزار متلهفاً اليها؟ وما هو الباب الذي ستدخل منه إلى نزار؟ هل ستصارحه وتضعه أمام الامر الواقع؟ ماهي ياترى نقطة ضعفه وكيف ستعرفها؟ ظلت تحسبها يمنةً ويساراً إلى أن سمعت تليفونها المحمول يرن بأتصال من نزار .

- أنا آسف يانوال, لم أستطيع أن أدخل إلى منزلك وانتي تعيشين بمفردك, أريد أن أعرف لماذا تصرين أن نتقابل في المنزل لماذا لانتقابل خارج المنزل؟

- لماذا تفكر هكذا يانزار؟ أنت إنسان متعلم ومثقف وقد عشت في أوربا سنين عديدة, لماذا هذا الطبع الشرقي المتمسك به؟

- أنا فعلاً عشت سنين طويلة في أوروبا , لكن لم أستطع أن أغير طبعى.

- أنا فقط دعوتك على العشاء وأريد أن أحدثك في موضوع هام بالنسبة لى, لا تدع فكرك يذهب بعيداً .

- لماذا لا نتقابل إذاً فى أى مكان خارج منزلك؟

- أنت تعرف يانزار الجو اليوم ممطر وأغلب الأماكن مغلقة, أرجوك أن تاتي إلى منزلي وستعرف أن نواياى سليمة. أين أنت الآن هل وصلت قريباً من المنزل؟

- أنا فعلاً قد وصلت قريباً من منزلك لكن .....

- لكن ماذا يانزار؟..قالتها مقاطعة بحدة.. أنت رجل وأنا إمرأة, أليس من المفترض أن أكون أنا الخائفه لا أنت ؟

- أنا الآن في الشارع الذي تسكنين فيه.. أجاب متغاضياً عن الإهانة الخلفية فيما قالته.. لكن لا أعرف المنزل الذي تسكنين انتي فيه .

- إنتظرني دقائق إذن وسأخرج لك .

5

نهضت نوال وغيرت ملابسها وارتدت ملابس محتشمة فقد تأكدت أن هذا الرجل لابد وأن يهرب حين يراها بملابس المنزل, اتجهت نحو باب منزلها وما زال المطر يهطل بكثافة, فتحت الباب وتلفتت يميناً ويساراً حتى رأته ونادت عليه, تقدم نحو المنزل

ودخل وملابسه مبتلة عن آخرها, فقالت له بعد أن دخل المنزل يجب أن تغير ملابسك .

- كلا لا أريد فأنا لن أتأخر هنا .

- لدي ملابس من مقاسك سأجلبها لك , قد تصيبك نزلة برد بسببي.. أدخل الحمام .

وبعد تردد منه وإصرار وإلحاح من نوال, أخذ الملابس ودخل الحمام ليرتدى ما أعطه إياه, بعد خروجه وجدها قد أدارت جهاز التدفئة وأعدت له الطعام.. جلس على الطاولة وهو لايعرف ماذا تريد منه تلك الفتاة المتهورة وما الذى عليه فعله كى يبعد تلك الفكره عن ذهنها.

- أريد أن أصلي قبل اتناول الطعام, فقد خرجت من الصباح وقد فاتني وقت الصلاة

استغربت نوال من طلبه الغريب لكنها أحضرت له سجادة صلاة, ذهب الى الغرفة المجاورة ووقف لكي يصلي. بدأت دموعه تنزل على وجنتيه حتى كاد أن ينسى كيفية أداء الصلاة ,لقد ترك الصلاة منذ سنين عديدة بسبب حياته وعمله التى دمرت علاقته بربه فى السنوات الأخيرة,لكنه هذه المرة أحس بصفحة جديدة تنطوى لتخفى كل صفحات قلبه القديمة المهترأة,صلى صلاته خاشعاً وأخذ عهد على نفسه بألا يتركها ولايعمل أي عمل غير مشروع منذ هذه اللحظة. وبعد أن أكمل صلاته توجه نحو طاولة الطعام.

- هل أنت مواظب على صلاتك اليومية؟ سألته نوال .

- كلا , فأنا لم أصلي منذ خمس سنين بسبب عملي في إحدى المطاعم الليلية فكنت غير مقتنع كيف يكون عملي غير مشروعاً وأنا أقف بين يدي الله .

- ولكن ماهو سر تغيرك الآن في منزلي؟ هل وصلتك رساله من السماء أم ماذا؟ قالتها بنبرة ساخرة .

- كلا لقد تذكرت قول رسول الله (ص) ما اجتمع رجل بإمرأه إلا وكان الشيطان ثالثهما, فقررت أن أحارب نفسي لأني داخل على حياة جديده بأذن الله .

- هذا جيد ..لكنك ظنيت بي ظن سوء وأنا أذكرك بقول رسول الله (ص) إن بعض الظن إثم , لكني أسامحك .

- شكراً يانوال ,لكني أمر هذه الأيام بظروف صعبة للغاية .

- لا عليك فأنا مقدره وضعك, ولم نعد نرى هذه الأيام كثير من أمثالك, نحن نعيش الآن في غابه قد ملأتها الوحوش .

- قولي لي يانوال, لماذا تعيشين لوحدك؟ أين هم عائلتك؟

- إن عائلتى موجودة في بغداد, لكنهم لايعلمون أني هنا فأنا الآن في مهمة أنجزها ثم أذهب اليهم .

- إذن لمن هذه الدار التي تسكنين بها؟

- هذه الدار تعود إلى طليقي الذي يسكن في السويد .

- لا أفهم.. أرجوكي إشرحيلي أكثر .

- انظر يانزار حلم كل فتاة هو أن تتزوج من رجل يقيم خارج العراق بسبب القصص والروايات التي يرويها لنا القادمون من خارج العراق, ومن أجل تلك الحياة الوردية في أوربا تزوجت من رجل يكبرني بثلاثين عاماً دون حتى أن أراه, ذهبت إليه إلى السويد وبمرور الأيام اكتشفت أن هذا الرجل يعمل في كل المجالات المشبوهة ولا يخاف الله, كنت أسكن في شقه وحيدة يتركني فيها فترات طويلة وكان يطلب منى أمور لا أتمكن من الحديث عنها, والمشكلة اني لم أستطع أن أطلب منه الطلاق لأن الله رزقني منه بطفلتين, وبمرور الأيام أصبحت العيشة معه مستحيله فأصريت على الإنفصال, لكني عرفت أنى لن أستطيع أن آخذ ابنتي منه فهو لديه الجنسية وكذلك ابنتي,أما أنا فلدي إقامة فقط .اضطررت إلى البقاء كي أكون قريبة من ابنتي وقبل أيام أرسل إلي يريد مني أن أكمل له بعض الاعمال هنا في بغداد مقابل ابنتي.. آسفة .. لا أستطيع الحديث عن كل شيئ..قالتها والدموع تغالبها.

صمت الاثنان لا يعلمان ماذا يقولان,فكر نزار كيف أن هناك الكثيرون يعانون وربما أكثر منه, فقد كانت مشكلته الديون لا أكثر, لكن هذه الفتاة معاناتها تتعلق بابنتها.

- هذه الأمور خاصة بك ولا يحق لي أن أعرف ماهي مهمتك..قالها متفهماً.. لكن إعرفي أنك لا تعانين بمفردك في هذا العالم ,أنا أيضاً أعاني من مشاكل وضعت نفسي فيها, لكن لاتقلقي, إن احتجتى مني أي مساعده فأنا موجود, ولاتتأخري في طلب المساعدة , وتوكلي على الله.

- شكرا لك يانزار وأنت أيضاً إعلم جيداً أن احتجت الى أي مساعدة فأنا موجودة ,أنت الآن صرت تعرف عنوان داري, فلا تتردد من فضلك في طلب المساعدة مني,

وأنا فعلاً أريد منك أن تساعدني لأن هناك أماكن لا أستطيع أن أذهب إليها لقربها من منزل عائلتي فقد أحتاجك أن تذهب اليها بدل مني .

- نعم بكل تأكيد أنا أسعى دائماً إلى عمل الخير, وآمل في أقرب وقت أن تلتقي بأبنتك .

- إذن سوف أتصل بك عندما أحتاج إليك.. تفضل تناول طعامك .

وبعد أن أنهيا طعامهما ,شكر نزار نوال على حسن الضيافة .

6

غادر منزلها واستأجر سيارة أجره الى الفندق اللذي يقيم به ليهاتفه ناصر .

- كيف حالك يانزار؟

- الحمد لله أنا بخير .

- إسمعني يانزار.. لقد وثقت بك وأرسلتك إلى بغداد بدون ضمانات, فأرجو أن يكون التعامل بيننا نظيف..كما يقولون "على مية بيضة".. بدون مراوغات أو خداع.. قالها مهدداً.

- لماذا تسمعني هذا الكلام هل بدر مني شيئ ؟

- نعم يانزار,بدر منك شيئ , شيئ قد يسبب لك ولي بعض الإحراج, لماذا كذبت علي وأخبرتنى انك لم تقابل أم فارس؟ ماهو السبب فى إخفاءك الحقيقة؟ هل تطمع أن

تأخذ الجوهرة لنفسك وتهرب؟ لاتفكر في هذا الأمر فانه ليس بمصلحتك..قال ونبرة التهديد تعلو فى صوته .

- كلا أنا لا أُكذب عليك ,قلت لك أني لم أقابلها لأني فعلاً لم آخذ منها أى كلام مفيد..قال مدافعاً.. وبعدها تعرفت على السائق وهو الذي سيرشدني, هل تريد منى أن أقابل أم فارس أم تريد الجوهرة؟

- إسمع يانزار.. أعلم أن أم فارس حاولت اقناعك ببراءة إبنها.. هذا من حقها, فكل أم تحب ولدها وتحاول جعله مقدساً أمام الآخرين.

- كلا اطمئن, لم أصدق كلامها على كل حال, لا زلت عند وعدي لك وسأوافيك بالتفاصيل أولاً بأول , أرجوك اطمئن من جهتي.

- أعلم يانزار , وأنامطمئن من جهتك, لكن إعلم أن لدي عيون عليك في بغداد وأعرف جميع تحركاتك, وإذا لم توفي بوعدك لي, فأنا لدي جميع ملفاتك وعملك الغير مشروع هنا فى فرانكفورت وأستطيع - أن اضطررت - في أي لحظه إلى إستبدالك وأرسل جميع ملفاتك إلى عائلتك.

- غضب نزار كثيراً من تهديدات ناصر مما أفقده صوابه ولم يتمالك نفسه, فرفع صوته .

- إذا كانت لديك عيون في بغداد تراقبني فلماذا لم تكلفهم بهذه المهمة بدلاً منى؟ لماذا أخترتني أنا بالذات؟ أقول لك شيئاً..أرسل عيونك التي في بغداد لتكمل مهمتك.. أنا لا أحب ان يراقبني أحد.

أغلق نزار الهاتف دون أن يدع فرصة للرد أمام ناصر, لينتبه أن سائق الأجرة قد سمع حديثه فتدارك الموقف وشرح لسائق سيارة الأجرة انها مشاكل في العمل ,حتى لا يظنه السائق يتحدث عن عملية انتحارية خصوصاً فى ظل المشاكل الأمنية فى بغداد. خاف نزار من رد فعل السائق فطلب منه أن يوقف السيارة, أعطاه الأجرة ونزل ليركب في سيارة أخرى تقله إلى الفندق. ما أن وصل الى الفندق حتى رن هاتفه برسالة من ناصر .

"أخي نزار.. أنا لدي الكثيرون في بغداد يتمنون لو أكلفهم بأي شيئ, لكنى لا أثق فيهم.. ثقتى كبيرة بك أنت,أرجوك ان تقدر تلك الثقه ولاتأخذ كلامي على نحو سيء"

هدأت الرسالة قليلاً من أعصاب نزار وحين اتصل به ناصر مره أخرى

- لا تغضب منى يا نزار .. أنا أعتذر منك .

- ناصر..أرجوك لاتكلف أحداً بمراقبتي .

- إعتبر الموضوع منتهي, لا أحد سوف يراقبك منذ الآن .

دخل نزار غرفته بالفندق مفكراً بأنه يبدو من المستحيل أن ناصر لديه أناس في بغداد أو أشخاص كثيرون يعملون لصالحه وإلا لكان عالج الموقف قبل سنين, ومن أين على كل حال حصل على كل هذه الثقة بى وهو لا يعرفنى؟ بدأ نزار يكتشف كذب وزيف ناصر وبدأ يشك انه حتى لو أنجز مهمته سوف لا يعطيه شيئاً بالمقابل .

- حسنا ناصر.. قالها بصوت مسموع ..لنبدأ اللعب سوياً ,ولنرى من سيربح..أنت ؟ أم أنا وأم فارس؟!

الفصل السادس

(مريم.. من جديد)

1

أشارت النغمات العشر لساعة الحائط فى بيت مريم إلى الساعة العاشرة صباحاً, أعدت مريم الفطور لها ولوالدتها وجلسا معها على طاولة الطعام, هو نفس المشهد يتكرر يومياً . روتين كوظيفة حكومية مملة, تعيش مع والدتها المتقاعدة بدون عمل ولاوظيفة مما جعل الحياة مملة بالنسبة لها , هى تلك الفتاة التي ناهز عمرها الثلاثين عاماً ولم تتزوج, في داخلها فراغ عميق لايمكن لأحد أن يسده إلا ذاك الذي هاجر نحو المجهول تاركاً فى قلبها فراغ بحجم الأميال بينهما, لم تعشق مريم أحداً قبله ولا بعده والحياة بعده لم تعد أبداً كما كانت قبلاً! .

قاطعت الأم تفكير مريم وصمتها المتكرر .

- لاتنس اليوم يامريم إنك مدعوة على حفل زفاف أخت صديقتك الصغرى, لقد اتصلت ليلة أمس وأكدت على حضورك ..قولي لي يامريم كم عمر العروس؟

- عمرها واحد وعشرون لقد تقدم لها زميلها في الجامعة واتفقا أن يكملا دراستهم سوياً.

- صمتت الأم واخفضت رأسها ولم تجب على مريم , لا تحتاج إلى الكلام لتعرف مريم ما بداخلها, أحيانا يكون الصمت أقوى من الكلمات.

- أعرف يا أمي بما تفكرين, إبنتك التي ناهز عمرها الثلاثين جالسة أمامك ولم تتزوج, إعلمي يا أمي أن الزواج قسمة ونصيب ولا أحد في هذه الدنيا يأخذ أكثر من نصيبه, لا تقلقي علي يا أمى إن الله الذي خلقني لن ينساني مهما عشت في هذه الدنيا.

- لماذا تفكري هكذا يامريم؟ لقد كان مجرد سؤال عابر بشان عمر العروس, لكن يامريم أنتي تقدم لكي أكثر من شخص وكنتى تختلقين أعذاراً عديدة حتى لا تتزوجي.قالتها الأم بنبرة لا تخلو من لوم .

- يا أمي يا حبيبتي, أنا وضعي مختلف عن باقي البنات, لم أستطع أن أتركك تعيشين وحدك عندما تقدم لى بحسن ولم يقبل أن يعيش معنا هنا أو تعيشي انتي معنا في منزله, وأنا مستحيل أتركك حتى إن بقيت طول عمري عانس ولم أتزوج .

- يابنتي أنا لن أدوم لكي, سيأتي يوم من الأيام وأرحل عن هذه الدنيا ولا أريدك أن تبقي وحيدة, أمنيتي أن أراك متزوجة ولديك عائلة وأبناء,أتمنى أن أرى أحفادى قبل أن أموت.

همت مريم لتواسى أمها ,لكن قاطعها إتصال من الدكتورة ريم .

- صباح الخير كيف حالك يامريم؟

- صباح النور.. الحمد لله أنا بخير.

- كيف أصبحت صحة والدتك؟

- جيدة بفضل الله .

- إسمعيني يامريم.. قالتها بصوت ملىء بالفرح.. اليوم عندى لك مفاجئه ستفرحين جداً عندما تريها, قد تغير حياتك للأبد.

– ما بك ياريم؟ لماذا تلفين وتدورين؟ لم أعرفك تحبين المفاجئات من قبل! ماذا تريدين فأنا غير راغبة بالخروج اليوم من المنزل , لدي إحساس بالنحول والتعب.

– كلا, إلا اليوم من فضلك, يجب أن تحضري إلى كافتريا الجامعة. أنا في إنتظارك صدقيني أنا لا أمزح . هناك شيئ مهم جداً بالنسبة لكي.. أنتظرك في تمام الساعة الواحدة.. لا تتاخري ,قالتها وأغلقت التليفون قبل أن تراجع مريم نفسها.

طباع ريم اليوم مختلفة - فكرت مريم - مريم لم تعرف ريم الا انسانه جادة ,لا تحب المزاح , فعلاً لابد أن لديها مفاجئة كبيرة لي,لكن ماهي ياترى؟ ليس من المعقول أن تكون وظيفة وإلا لكانت أخبرتها فهذا أمر لا يستحق المزاح بشأنه, ظلت مريم في حيرة من أمرها بشأن هذا الإختلاف الجذري في طباع ريم, تحمست مريم بشأن الموعد فقد إفتقدت إحساسها بالسعادة وسماعها أخباراً جيدة, همت بإنهاء أعمال المنزل سريعاً, أعدت وجبة الغداء لوالدتها وارتدت ملابسها المفضلة وذهبت إلى الجامعة قبل الموعد وانتظرت في الكافتريا, إتصلت بريم وأخبرتها أنها جاهزة وفي تمام الساعة الواحدة حضرت ريم وجلست أمام مريم .

- كيف حالك يامريم؟ قالتها بشوق .

- الحمد لله, هيا قولي لي ماهي مفاجئتك لي؟ سألت بفضول لم تستطع أن تخفيه
- إنتظري يامريم لماذا أنتي مستعجلة هكذا؟

- انتي تعرفيني أنا لا أتحمل الصبر.

- هذا ليس صحيح أنتي صبورة وصبورة جداً, الفتاة التي تنتظر إحدى عشر عاما تكون صبورة .

- ماذا تقصدين ياريم بإنتظاري إحدى عشر عاما؟ قالتها وشعرت بأن الجميع يستطيع سماع دقات قلبها المتسارعة .

- أقصد أيام الجامعة ... حبك القديم ... أقصد نزار .

- وما الذي ذكرك اليوم بنزار هل طلبتيني لكي تقلبي علي المواجع أم ماذا ياريم؟

- كلا, طلبتك كي أسالك عن نزار. هل إتصل بك؟

- مابك ياريم؟ أنت تعرفين أني لا أعرف أي أخبار عن نزار ولا حتى إن كان على قيد الحياة أم لا, حتى عائلته قد غيروا مكان سكنهم ولا أعرف أي شيئ عنه.. دعك من هذه السيرة الآن.. قلتي لي أن هناك مفاجئة. أين هي مفاجئتك؟

ابتسمت ريم .

- خلفك ..أشارت ريم وراء مريم .

إلتفتت مريم وراءها لترى من لم يفارق مخيلتها ليلاً ونهار , من فقدته فجأة ها هو يأتى فجأة, من لم تتخيل شريك آخر لحياتها غيره قد عاد, عاد الذى أخذ معه دقات قلبها ونبض عروقها ودفء مشاعرها بذهابه, غير الزمن بعض من ملامحه , لكن لم يستطع أن يغير إبتسامته الفريدة , ولا أن تخفي معالم الحزن الموجودة بداخله, إنه هو.. إنه

نزار.. نزار .. لا أصدق! هل هذا هو فعلاً؟ أم شبيهه؟ يقولون يخلق من الشبة أربعين, لكن إحساسنا يتحرك ناحية واحد .. وواحد فقط.

- هل هذا أنت فعلاً؟ سألت بإضطراب وعينين مليئتين بالدموع .

- نعم.. أنا نزار, يرد بعد أن سالت دموعه على خديه.. أنا نزار يا مريم.. قالها وجسده يهتز كالمحموم . - لا أصدق, أين كنت؟ ومن أين أتيت؟ وكيف وصلت لي؟ لم تستطع أن تتحمل اللقاء فاجهشت بالبكاء حتى لفتت إنتباه جميع الجالسين حولهم,أمسكتها ريم وهدئتها وشرحت لها كيف أتاها نزار وبحث عنها, جلسا متقابلين على الطاولة والخجل قد سيطر على مشاعرهما وكأنهما مراهقان عرفا الحب للمرة الأولى في حياتهم. شعرت ريم بأنها لو إنتظرت أحدهما يبدأ بالحديث لأنتظرت للأبد,قطعت ريم صمتهما .

- أنظر يانزار أنا اليوم دعوت مريم على الغداء ,لكن يجب أن أنصرف فلدي محاضرات في الجامعة . أطلب منك أن تاخذ مريم بدلاً مني وتجلسا في أفضل مطعم لتتناولا الغداء. أخرجت ريم مفاتيح سيارتها وأعطتها لنزار, أرشدته لمكان السيارة, شعرت مريم بالخجل وأمسكت يد ريم كطفلة صغيرة تخشى أن تتوه عن أمها فى الزحام, همست في أذنها 0

- أرجوكي لاتتركينا وحدنا فأنا لا أستطيع أن أتكلم معه, أنا خجولة جداً منه كأني أراه للمرة الأولى.

- مابكي يامريم اليس هذا الشخص الذي كنت تصدعين رؤوسنا بحديثك عنه أربعة وعشرون ساعة فى اليوم؟

تركت الدكتورة ريم نزار ومريم وإتجهت نحو الحرم الجامعي, التقت عينا مريم ونزار فطرقت رأسها الى الأرض خجلاً .بدءا يسيران نحو السيارة دون أن ينطق أحدهما بكلمة واحدة لكنهما شعرا المجال بينهما كمجال مغناطيسى , لا تراه لكن لا تنكر تأثيره أيضاً. ركبا في السيارة وأخرجاها من كراج الجامعة .

- إلى أين تفضلين أن نذهب؟ قالها نزار محاولاً أن يقطع الصمت بينهما .

- لا أعلم , المكان الذي تفضله أنت.. قالتها دون أن تجرؤ برفع عينيها عن الأرض .

- أنت تعلمين أنى قادم من سفر ولا أعلم الأماكن الجديدة, هناك تغيرات كبيرة قد حصلت في بغداد.

- وأنا أيضاً ليس لدي علم , فأنا جليسه في البيت مع أمي ونادراً ما أحضر إلى الجامعه لرؤية ريم. ساد بينهما الصمت مجدداً حتى دخلا مكان لا علم لأى منهما به, جلسا وكل منهم قد إحمر وجهه من الخجل. لكن وجه مريم بدا أكثر إحمراراً .

- مابكي يامريم لماذا لاتتكلمين؟ هل أنتي خجوله مني؟

- لا, لكنى متفاجئة جداً. لم تخبرني ريم بقدومك ولم أتوقع أنك لم تنساني بعد كل هذه السنين .

- أنا لم انساكي يامريم مهما فرقت بيننا الأيام أنتي في ذاكرتي في كل الأوقات ولم تفارق صورتكي مخيلتي,هل يستطيع الجسد أن ينسي عضو من أعضائه؟

- وهل الأيام اللذي فرقت بيننا أم اصرارك على السفر بين ليله وضحاها حين تخليت عني وعن مستقبلنا وتركت الجامعة .

– الله يسامح من كان السبب, قالها بندم, لكن أنا لم أكن أتخيل أني سوف أبقى كل تلك المدة في أوربا دون أن أستطيع العودة .

- وما السبب الذي منعك من العودة؟ هل هو زوجتك وأولادك؟ أم سعيك وراء شهواتك وملذاتك؟ أم جريك وراء النقود؟ قالتها بنبرة هجومية كنسر ينقض على فريسته .

- هذه الأمور التي تكلمتي عنها لم أفعل ولا واحدة منها, لا زواج ولا ملذات ولا نقود, ولو لم يلعب الحظ لعبته معي لبقيت طول عمري في تلك البلاد غريباً .

فرحت مريم عندما سمعت أنه لم يتزوج, ولم تعر أهميه أنه جمع المال أم لا.

- أتريد أن تقنعني يانزار أنك كل هذه السنين لم تتزوج ولم تفكر في الزواج؟ أم تزوجت وكانت تجربة فاشلة؟

- هل تتوقعين يامريم أنى أستطيع أن أرتبط وأكون أسرة مع فتاة غيرك؟! وان تمكنتي أنت من ذلك, فأنا أفضل أن أظل عمرى كله دون زواج على الارتباط بغيرك .

إحمر وجه مريم من جديد وتلكأ لسانها ولم تستطيع أن ترد عليه فوراً, إحتاجت للحظات لتهدأ , هكذا السعادة ,تغمرنا أحياناً حتى نحتاج ثوانى لنستعيد توازننا.

- إبتسامتك وكلماتك لم تغادر مخيلتي وأحلامي يوماً.. قالتها وعيناها تنظران لأسفل خجلا.. كنت أحلم كثيرا أنك سترجع وتعود إلي مثل ما فعلت اليوم, وأخشى أن يكون جلوسنا هذا حلم وسينتهي فجأه مثل باقي الأحلام التي انتهت.

- إن كنتي تحلمين بي في نومك فأنا كنت أنظر كل ليلة إلى الوسادة الخالية وكل الأفلام القديمة وأنظر صورتك فيها.

- قل لي يانزار ماهو الذي ذكرك ببغداد؟ وماهي أهدافك هل هي زيارة عابرة أم ستقيم في بلدك؟

- صراحةً, الذي جاء بي إلى بغداد هو القدر كما رحلت عنها, ولن أغادر منها مرة أخرى مهما حصل, لن أترك بلدي ولن أتركك انتي يامريم. أدعو لي فهناك مشكلة أنا فيها الآن بعد أن تنتهي سوف نتزوج فوراً حتى لو لم توافقين..قالها مازحاً .

- ماذا تقول كيف سنتزوج؟ أنت فاجئتني, قالتها مريم محاولةً إخفاء سعادتها و دهشتها.

- سوف نتزوج مثل باقي الناس يامريم بعد إنتهاء مهمتي فأنا لحد هذه الساعة لم أذهب إلى منزلنا.

- أقلقتني يانزار, ماهي تلك المهمة ولماذا لم تذهب لكي تلتقي بعائلتك مع أنك تركتهم منذ زمن بعيد؟

تردد نزار أن يخبر مريم , لكن ثقته بها وبرجاحة عقلها شجعتاه, كما أنه كان يريد شخصاً قريباً منه كي يشكو همومه له , ومن أقرب من مريم؟!! أخبرها كل شيئ, عن ناصر

والسيد مارشال وفارس وأم فارس والحياة التعيسة التي كان يعيشها في فرانكفورت,لم يدع كبيرة ولا صغيرة إلا وأخبرها .

- هل تقصد انك أهدرت من عمرك احدى عشر عاما في الغربة ومن ثم عدت إلى بلدك لتنفذ عملية مستحيله مقابل تسديد ديونك وتقبض نقود لو بقيت في بلدك لكنت جنيتها؟

- نعم يامريم , لكل إنسان غلطه في حياته تسمى غلطة عمره وأنا غلطة عمري هو سفري, لكن أنا الآن أريدك أن ترشديني.. ماذا أفعل؟ سألها متوسلاً..هل أتبع ناصر أم أتبع كلام أم فارس؟

- إسمع يانزار, الطريق الذي تسير فيه خطير جداً وأنا لا أريد أن أخسرك مره أخرى, هل هناك حل بديل تبتعد به عن كلا الطريقين أم هذا الأمر فرض عليك؟

- مريم, لقد تغربت احدى عشر عاماً ولم أجني شيئاً, هذه المهمه إذا نجحت فسوف أعود لأهلي مرفوع الرأس .

- إسمع يانزار إذا كان الأمر يتعلق بالمال أنا عندي منزل وعندي نقود خاصة بي لنعيش حياة سعيدة.

- أرجوك لا تجازف من أجل شيئ قد يكون وهمي ويعرض حياتك للخطر..قالتها متوسلة .

- كلا يامريم أنا لاستطيع أن أهرب من المهمة فناصر قد يؤذيني ويكشف حقيقتي لعائلتي وبالمقابل أنا وعدت أم فارس وهي أيضا وضعت ثقتها بي وبيني وبينك أنا في

داخلي إحساس غريب أشعر بأن الله يساعدني ويوجهني إلى الطريق الصحيح, فالذي جعل ناصر يختارني من بين مئات المغتربين وجعلني ألتقي أم فارس بعد أن تعرفت على الشخص الذي يعرف مكان القبر.. كلها لابد وأنها تعنى شيئاً, أنا اشعر أن فارس برئ وبعون الله سوف أثبت براءته, وأرجع الأمل إلى تلك المرأة العجوز التي لاتريد شيئاً من الدنيا سوى براءة إبنها الوحيد, هل توافقيني على كلامي يا مريم؟

- نعم أوافقك, أنت أول مابدأت الكلام عن ناصر عرفت فوراً أنه كذاب بدون أن أراه, وحتى إن كان صادقاً, هل فعلاً أنت قادرعلى أن تفتح قبر وتعبث بجثة شخص توفى منذ عشرين عاماً لترضي شخص يسكن في قارة غير القارة؟

- كلا, مستحيل أن أتمكن من عمل شيئ كهذا .

- إذن انضم إلى الشخص المعاكس وابحث عن الحقيقة, فاذا ظهر أن فارس برئ فعلاً سوف يكون عملك صحيحاً .

- إذن انتي تقصدين أن أسير في طريق الحقيقة, أن أتبع كلام أم فارس, لكن كيف؟ أنا في هذه الحالة لاأستطيع التفكير, أريدك أن تساعديني .

– لا تقلق سوف أفكر لك في طريقه لأخراجك من المشكلة التي أنت فيها.

2

قاطع حديثهما إتصال من الدكتورة ريم لتخبرهم انها انتهت من عملها وأنها تنتظرهم

نهضا وذهبا إليها بسيارتها وعند وصولهم ركبت ريم في المقعد الخلفي, أخبرت نزار أن اليوم قد حدث شي غريب في الجامعة,

فعند خروجها ناداها موظف الإستعلامات وأخبرها بأن فتاة سألت عليها اليوم, لكن لفت إنتباهه انها لم تتوجه نحو الحرم الجامعي بل ذهبت نحو الكافتريا مما زاد فضوله فذهب خلفها لمراقبتها ليجدها تجلس في مكان في زاوية الكافتريا بعيداً عن الأنظار وبقيت تراقب عن كثب حتى وصلت مريم وجلسنا سوياً,

وعند مغادرتي المكان بقيت تراقبكم وعندما غادرتم غادرت هى أيضاً ورائكم .

- ما هو تفسيرك لهذا يانزار؟ قالت ريم وكانت تملأها حيرة مختلطة بالقلق .

اندهش نزار ومريم من هذه التفاصيل الجديدة ,لقد تأكد نزار فعلاً أنه مُراقب من قبل ناصر .

- نزار إن كان هناك أمور تتعلق بماضيك يجب أن نعرفها أو على الأقل يجب أن تعرفها مريم لكي تكون الأمور مكشوفة بالنسبه لها أو قد تحتاج إلى مساعدتها.. قالت ريم .

- لقد أخبرنى نزار كل شيء ياريم وإن شاء الله سوف نحل هذه المشكله سوياً ,سأكون بجانبه وسأساعده.. قالت مريم والتقت عيناها بنزار لأول مرة .

- أنتي صديقتي يامريم وأريد لكي الخير, وأنا أيضا إن احتجتموني سأكون جاهزةً لمساعدتكما على الفور

- شكراً لكي ياريم سوف لا أتردد لطلب المساعدة منك إن احتجتك.. قال نزار.. سوف أذهب الآن كي أنجز بعض المهام فلدي عمل غداً وأنا الآن في إنتظار مكالمة.

- توقف يانزار لكي نذهب ولتكمل ريم مشوارها إلى منزلها.. قالت مريم .. أريد أن أتكلم معك في موضوع هام للغاية.

توقف نزار ونزل مع مريم وانطلقت ريم .

- إسمعني يانزار.. قالت مريم .. أعطني عنوان الفندق الذي تسكن فيه ولاتحاول أن تتصل بي, سوف أكون غداً في تمام الساعه الحادية عشر في صالة الفندق. أجري كل مكالماتك اليوم بشكل طبيعي ولاتتصل لا بي ولا بالدكتورة ريم, فإن هاتفك مراقب
.- ماذا تقولين ؟ هاتفي مراقب؟! كيف؟

- نعم يانزار هاتفك مراقب لأن لا أحد يعلم بلقاء اليوم سوى أنت وريم وأنا, فكيف أتت تلك الفتاة قبل الموعد لتراقبنا؟ إعلم أنك وأنا والدكتورة ريم مراقبين حالياً وكل شخص التقيت به قد يكون مراقب وأنت أخبرتنى أن ناصر هو من أعطاك الشريحة, فقد تكون مراقب عبر هذه الشريحة. أنا سوف أذهب الآن فلدى موعد حفل زفاف صديقة شقيقتى الصغرى ولا تفعل شيئ حتى نلتقي غداً وسوف أشرح لك التفاصيل الجديدة التي سوف تتبعها .

إستاجرت مريم سيارة أجرة وذهبت , واتجه نزار نحو الفندق الذي يسكن فيه وهو في غاية الذهول من تفكير مريم الجاد, كيف عرفت بأن هاتفه مراقب؟

- سوف أنجح فى تلك المهمة بكل تأكيد ..قالها لنفسه .. فخلفي إمرأة عظيمة .. كما تقول الحكمه خلف كل رجل عظيم إمرأة.. وخلف نجاحك يا نزار لابد وأن توجد مريم !

الفصل السابع

(فرصة جديدة)

1

استيقظ نزار صباحاً على صوت هاتفه, نهض مضطرباً متجهاً نحو الهاتف, المتصل ناصر, ظل متردداً يجيب أم لا, هذا ليس وقتك, قالها بحنق , حتى رد على المكالمة ولم يتمكن من الحديث, فكلمات ناصر الحادة الغريبه كانت قد انطلقت كالرصاص,

- ماهذا يانزار؟ هل أرسلتك إلى بغداد كي تنام في الفندق أم لتنجز عمل مهم؟ إن كنت لا تستطيع تنفيذ المهمه أخبرنى كى أوكل المهمة لشخص آخر, لكن إعلم أنى سوف أتصرف معك بطريقتى الخاصة, وأنت تعرف حتى لو كنت في بغداد سوف أصل اليك بسهولة .

- ماذا بك ياناصر؟ هل بدر مني شئ يجعلك تتكلم معي بهذة الطريقة؟ أنا قائم بعملي على أكمل وجه. - كلا, لم تقم بعملك, إتفقنا على بعض الشروط وأنت لم تنفذها, أخبرتك ألا تقابل احداً تعرفه في بغداد ضربت بأوامرى عرض الحائط.

- إذن أنت تراقبني؟ ألم تخبرنى بأنى غير مراقب؟

- نعم أنت مراقب, هذا واقع يجب أن تقبله شئت أم أبيت, لقد نفذ صبري عليك.

- وان قلت لك انى لا أوافق على شروطك؟

- في ذلك الحين سوف تتلقى ردي خلال أربع ساعات فقط , لكنك سوف تندم على قرارك هذا, انظر يانزار سوف أعتبر نفسي لم أسمع الجملة الأخيرة التي قلتها, وسوف أمهلك مدة ثمانية وأربعون ساعة لكي تعطيني موعد تنفيذ العملية إلى اللقاء..

أغلق ناصر دون أن يعطيه فرصة للرد . اندهش نزار من كلام ناصر, بعد تفكيرعميق تبين له أن ناصر لديه شبكة قوية في بغداد من رجال ونساء يراقبونه على مدار الساعة, دخل الخوف لأول مرة قلب نزار ,خاف على مريم والدكتورة ريم وحتى على عائلته, فأبسط شئ يمكن لناصر عمله هو أن يكشف كل أسراره إلى عائلته .

- ماذا فعلت في نفسي هل أنا مجنون , كيف سوف أتمكن من فتح قبر واعبث في جثة لكي ابحث عن جوهرة؟ قالها بحنق بعد أن نهض وإتكأ على الحائط وبدأ بضرب يده اليمنى في الجدار. رن هاتف الغرفة الداخلي بالفندق أجاب على المكالمة وإذا بموظف الإستعلامات يخبره بوجود فتاة تنتظره في صالة الفندق, نظر الى الساعة فوجدها قد تجاوزت الحادية عشر, غير ملابسة بسرعة وخرج متوجها نحو الصالة لكي يلتقي بمريم, وجدها تجلس بيدها حقيبة صغيرة.

- صباح الخير كيف حالك ؟ قالها منهكاً .

- صباح النور, الحمد لله, يبدو أنك لم تنم جيداً ليلة البارحة .

- نعم يامريم للأسف لم أنم جيداً ,وقد أزعجتني مكالمة وردت لي صباح اليوم عكرت مزاجي, يبدو أن اليوم لن يمر على ما يرام .

- هل المكالمة الواردة كانت من ناصر؟

- نعم صحيح كيف عرفتي؟

- هذا أمر واضح فقد اكتشف ناصر أنك التقيت شخص تعرفه, وناصر الأن على ثقه تامة بأن السر الذي كان يحتفظ به لوحده أصبح يعرفه ثلاثة على الأقل, وكونك تثق

بي أخبرتنى كل شيء .. لكن هو لا يعرفني ولابد أنه يفكر فى نفسه أنى قد أغدر بك وأبوح بالسر إلى شخص آخر لعقد صفقة معه, وبالتالى تضيع عليه جوهرته الثمينة, لذلك إتصل بك وتشاجر معك وطلب منك أن تنفذ العملية بأسرع وقت ممكن , أليس هذا صحيح؟ سألت بلغة الواثق .

- نعم هذا صحيح, كيف عرفتي كل هذا؟

- نزار أنت في هذه الأيام الصعبة وتحديداً تحت تلك الظروف لاتستطيع أن تفكر جيداً لأنك تحت ضغط نفسي قوى جداً .. قالتها مبتسمة .. إسمع يانزار أنت الآن مراقب رقابة شديدة, ولكي تخرج من تلك الرقابة وتحقق أهدافك أنا وضعت لك خطة محكمة جداً, لكي نوهم الطرف المقابل اننا نعمل لمصلحته ولكن نحن بالحقيقة نعمل لكشف الحقيقة, يجب أن تهدأ وتسيطر على أعصابك , في السابق أنت كنت مجرد شخص تم إرساله كي يؤدي مهمة لكنك أصبحت شخص يؤدي مهمه تحت رقابة شديدة لذا يجب أن تكون ممثل بارع , هى فى النهاية مهمة تمثيلية يجب أن نتقنها كي تنجح مهمتنا ونتخلص من هذا الكابوس .

- إذن ماهو المطلوب مني؟

أخرجت مريم من حقيبتها هاتف محمول .

- هذا الهاتف يحتوي على شريحة ومزود بخدمة الإنترنت, لكن لاتستعملة في الإتصال نهائياً ولاتخرجه من جيبك وأنت في مكان عام, تستخدمه فقط وأنت لوحدك لكي لايعرف أحد انك تمتلك هاتف آخر, استخدمه فقط في إرسال وإستقبال الرسائل عن

طريق البريد الالكتروني, لقد برمجت الهاتف على تطبيق البريد الإلكتروني وسوف يكون إتصالك معي فقط من خلاله .

- ولماذا كل هذا يامريم؟ أليست عملية الإتصال عن طريق الهاتف أسهل بالنسبه لي ولكي؟

- أنت سوف تستعمل هاتفك المراقب لكي يسمعون الخطة البديلة وسوف نتراسل ما بيننا لكي نضع الخطة الحقيقية التى سنلتزم بها, هل فهمت؟

- نعم فهمت.

- الآن فعل بريدك الإلكتروني لكي تسجل عنواني لديك .

قام نزار بتشغيل الهاتف وإدخال المعلومات الخاصه التي تخص بريده الإلكتروني ,ماهى إلا لحظات حتى فتح البريد الإلكتروني, لكنه تفاجئ بكثرة الرسائل الواردة, فليس من المعتاد أن يتلقى هذا الكم الهائل من الرسائل في تلك المدة القصيرة! ظل متردداً أيفتح صندوق الوارد لديه أم لا إلى أن لاحظت مريم تردده وأخبرته أن يقرأ الرسائل, فتح الرسائل فوجدها كلها من شخص واحد, صديق السكن الذى يسكن معه فى نفس الشقة, فتح الرسالة وقرأ النص

"السلام عليكم, كيف حالك يانزار؟ لماذا لم تاتي إلى الشقة منذ يومين؟ راسلتك على البريد الإلكتروني فهاتفك مغلق وكل وسائل الإتصال بك ومواقع التواصل الإجتماعي مغلقة ولم أدر كيف أتواصل معك بطريقة أخرى, أرجوك إن قرأت رسالتي هذه أن تطمئنا عليك فنحن هنا جميعا قلقين عليك"

طلبت منه مريم أن يفتح الرسالة التالية من نفس الشخص مُرسلة بعد يوم من إرسال الأولى, فتح نزار الرسالة الثانية وبدأ بقراءتها

"نزار يجب أن ترد علينا, اليوم أتت مجموعة من الشرطة وسألت عليك, لقد كانوا جادين بالبحث عنك, يجب أن ترد يانزار كى نعرف كيف نساعدك"

بدأ لون وجهه يتغير والهاتف يرتجف كما ترتجف يده, أمسكت به مريم وأخبرته لاتخف يانزار فأنا بجانبك ومتوقعة كل الإحتمالات السيئه ومرتبة كل الأمور التي سوف تخرجك من هذا الموقف, إفتح الرسالة الثالثة من نفس الشخص فقد يكون بها صلب الموضوع, فتحها وبدأ يقرأ النص :

"ما هذا الذي فعلته يانزار؟ لم نعرفك هكذا! كيف إمتلكت كل هذه الجرأة كى تقتل شخصاً وتقوم بسرقته وتهرب من ألمانيا في نفس اللية؟ لقد ورطت نفسك في هذه القضية, هل تظن من هروبك هذا انك سوف تهرب من الحكومه الألمانية؟ وحتى إن هربت من الشرطة, كيف ستتمكن من الهرب من المافيا التي ينتمي لها هذا الرجل الذي حاولت قتله؟ للأسف يا صديقي سوف تواجه أيام سوداء على فعلتك هذه"

نهض نزار مفزوعاً كمن لامس جسده ماساً كهربائياً ,لم يتمكن من أن يتمالك أعصابة, حتى الهاتف سقط من يده وبدأ يشعر بالجفاف في فمه كالمفقود فى الصحراء. أمسكت به مريم مطمئنةً إياه

- لاتخف يانزار فالقضية واضحة, كيف إستطاع أن يحضر لك الجواز بدون أن يدفع الديون المتراكمة عليك؟ لاتتفاجئ من مثل هذه الأمور يجب أن تكون قوي وتتحمل كل هذه المواقف وتتوقع أسوأ النتائج .

- ماهذا الذي تقوليه يامريم ؟ هل تقصدين ان الشخص اللذي تعرض للقتل هو السيد مارشال؟ كيف؟ إنه يمتلك حارس شخصي لحمايته؟ لا أعتقد أن ناصر يتمكن من قتله .

- نعم لا تستبعد كل هذه الأمور. يجب أن تعرف ما الذي حصل في فرانكفورت بالتفصيل كي نرى كيف سنتصرف, أنظر.. هل صديقك متصل الآن ؟

2

التقط نزار الهاتف ونظر إلى شاشته ليجد العلامة الخضراء أمام اسم صديقه.

- قم بعمل مكالمة صوتية.. قالت مريم .. على الإنترنت من خلال بريدك الإلكتروني.. هيا يا نزار.

نفذ نزار أوامر مريم بدون تردد فقد أصبح يطيعها طاعة عمياء لما رأى من ذكائها وفطنتها ولأنه لم يعد لديه القدرة على التفكير وإتخاذ القرارات, ترك تفكيره وبدأ يستعمل تفكيرها كما لو أنهما توأم منفصل الجسد متصل العقل! , وضع ثقته ومشاعره وتفكيره وحياته كلها في يدها, وإذا به يسمع صوت صديقه .

- ماهذا كله يانزار؟ لماذا لم تتصل كل هذه الفترة؟ لقد قلقنا عليك كثيراً, ما هذا الذي فعلته؟ هل أنت مجنون؟ سأل صديقه بانفعال بدا واضحاً .

- كلا, لقد فهمتم الصورة خطأ ,أنا متورط في قضية كبيرة, يجب أن تساعدني وتشرح لي ماهي المشكلة, لكن قبل كل شيئ يجب ألايعرف أحد أني قد إتصلت بك نهائياً فهناك أشخاص في فرانكفورت قد يؤذوك .. قالها نزار صادقاً فى قلقه على صديقه .

- إسمع يانزار .. أنت متورط بجريمة قتل, شخص أنت مدين له بملغ كبير من المال إسمه السيد مارشال, شهدت سكرتيرته الخاصه به انك اتصلت به ليلاً وأخبرته أن المبلغ جاهز وأنك تريد جواز سفرك, وأنك لن تستطع أن تحضر إلى عنده لأن هناك مشكلة لديك وتريد أن تسافر فوراً, وزملاؤك في العمل أيضاً شهدوا أنك غادرت المطعم فجأة دون أن تاخذ إذن من مدير المطعم, وقد خرجت على عجلة من أمرك.

وعندما جاءت الشرطة هنا إلى الشقة التي نسكن بها أخبرناهم أنك اختفيت فجأة, لذلك أصدرت محكمة فرانكفورت أمراً بالقاء القبض عليك, وإن بقيت مختفي أكثر من ثلاث أشهر سوف يصدر أمر بالقاء القبض بحقك من قبل الشرطة الدولية (الإنتربول),أيضاً ظهرت شخصية جديدة في مافيا السيد مارشال- زوجته- تدعى صوفيا قامت بايقاف جميع نشاطات شركات السيد مارشال وحشدت جميع أفراد المافيا التابعة لشركاتهم ووضعت جائزه للذي يتمكن من الوصول إليك أو معرفة مكانك, هل هذا الذي فعلته لتحصل على جواز سفرك؟ تقتل رجل مافيا كبير من أجل جواز سفر؟ كنت قادر أن تخرج من المانيا وتعود إلى بلدك بطريقه غير شرعية ولا تسبب كل هذه المتاعب لك ولنا!.. قالها بصوت على وشك أن يتغلق من الحنق.. نحن الآن موضوعين تحت المراقبة بسببك يانزار, يجب أن تفعل شيئاً.. رد علي أين ذهبت؟؟ قطع نزار الإتصال وسقط جالساً واضعاً يده على جبهته, عادت تراوده تلك الفكرة. هذا اللعين سوف يفضح أمره بين كل الناس حتى عائلته!

- كيف كانت فكرة الهروب بطريقة غير شرعية من المانيا تائهة عنى كل هذه السنوات؟ فكر نزار فى نفسة متحسراً عما فات له الأوان الآن. ليس من الحكمة أن أواجه ناصرالآن, لابد أن أقبل بعروضه التي لا أدرى كيف سأقدر أن أنفذها. قطعت مريم صمته بوضع يدها على كتفه مبتسمة بكثير من التفهم والإشفاق .

- هل تثق بي يانزار؟

- نعم أنا أثق بك اكثر من نفسي .

- إذن اسمع مني, سوف أخرجك من هذه الورطة كلها, وسوف أوصل ناصر هذا إلى يد الشرطة أو المافيا, وساثبت براءتك, لكن يجب أن تنفذ جميع المهام التي أطلبها منك, هل أنت موافق؟

- نعم يامريم بالطبع أنا موافق على كل ما تطلبينه مني, سوف أنفذ كل حرف تقوليه حتى لو كلفني ذلك حياتي .

- إذن لنبدأ على بركة الله واعلم أن الله لاينساك لأن نيتك سليمة وتسعى إلى فعل الخير, نحن إتفقا أن يكون الإتصال بيننا عبر البريد فقط وسننفذ أول فقرة في خطتنا وهى رفع الرقابة عني, سوف نذهب الآن سويةً الى المحطة العالمية في منطقة العلاوي وسوف أقطع تذكرة إلى محافظة البصرة, وانا احضرت معي حقيبة السفر .. وسوف أغير وجهتى في أول محطة بعد محطة بغداد وأعود في القطار العائد إلى بغداد وسأذهب إلى بيت إحدى قريباتي, سوف يتصور الشخص الذي يراقبنا اني مسافرة وبذلك توضع كل الرقابة عليك, وأنا أتمكن من مقابلة أشخاص يفيدونا في المهمة .

- هيا لنذهب سوية إلى محطة القطار لكي تودعني.. قالتها ممسكة بيده تشده ليهب واقفاً .

3

خرجا سوية من باب الفندق واستقلا سيارة أجرة إلى محطة القطار, اتجهوا إلى مكان التذاكر وقطع لها تذكرة وانتظروا الموعد سوياً .

- عند مغادرتي يجب ألا يعرف أحد أبداً اني سأعود مرة أخرى, وأنت يجب عليك اليوم أن تختم حسابك في الفندق وتغادرة إلى منطقه آمنه, مكانك الحالى يستطيع أي شخص الوصول إليه بسهوله, يجب أن تختار مكان أكثر شعبيه ورواجاً وإزدحاماً, منطقة الكاظميه مثلا فانها محصنة, أسكن في أحد فنادقها وحاول أن تتاكد من رسائل البريد الإلكتروني من وقت إلى آخر.. ولاتنسى.. لا تدع أي أحد يرى هاتفك الثاني, وإذا اتصل بك ناصر اجعل الأمور تظهر له طبيعية وانك لا تعلم أي شئ ,وبأنك متحمس لكي تنهي العمليه كي تستلم المبلغ الذي وعدك به, سوف أتصل بك على هاتفك المراقب في الليل وأقول لك اني قد وصلت إلى محافظة البصرة, وسنبقى على إتصال على الهاتف المراقب كي يتوهم أنه لايوجد من يساعدك.. لا تنسى كل كلمة قلتها لك..قالت كلماتها بعطف وحب شديدين .

- نعم يامريم, لكن أريد أن أعرف لماذا تفعلين كل هذا ؟ تتعرضين للخطر وتجازفين كل هذة المجازفة وتفكرين وشاغلة ذهنك وعقلك وقلبك من أجلى؟ أنا لا أستحق كل هذا يا مريم !

- لا تقل هذا, أنا بسهولة أعتبرك جزء مني ولا أستطيع أن أراك تتعذب ولا أمد لك يد المساعدة, أساعدك لأنى لا أستطيع أن أعيش بدونك, وسوف أخرجك من هذه

المحنة , بل أوعدك اني سوف أخرجك ..لقد فتحت أبواب القطار, علي الذهاب, لاتنسى ما اتفقنا عليه.. في أمان الله, أتمنى لك التوفيق .

حملت مريم حقيبتها وركبت القطار, ظل نزار يتابعها حتى تحركت عجلات القطار وبدأ يلوح بيده وهي تبادله نفس الحركات والمشاعر, جسدوا سوياً مشهد وداع متكامل,

ظلت نظراته تلاحق القطار وصوت عجلات القطار تدق قلبة كالمسامير المتناثرة على الأرض حتى تلاشت صورة القطار من أمامه. خرج من المحطة مكسور القلب والخاطر على فراق مريم وكأنها ذهبت ولن تعود, كان متألماً جدا على فراقها وعدم قدرته على رؤيتها هذه الأيام, تذكر عندما سافر وتركها حتى من دون وداع لائق .. كم كنت قاسياً يا نزار .. لام نفسه, وكم كانت فتاة قوية لتتحمل وتنتظر عودتك كل تلك الفترة,ثم كيف عدت يا نزار؟عدت بمشاكل لايتحملها أي إنسان , لكنها رفضت التخلى عنك وظلت بجانبك تساعدك ,هي تلك الفتاة التي تستحق أن تصبح شريكة حياتك وأن يضحي من أجلها ويحقق كل ما تمناه, ولكن هل تستحقها أنت يا نزار؟ ..سأل نفسه.

ذهب إلى كشك صغير بجوار المحطة واشترى علبة سجائر, أشعل سيجارة فتذكر انه لم يشعل أي سيجارة منذ أن قابل مريم, لكنه أحس بتعطشه إلى ذاك الدخان الذي يمزق أحشاءه ببطئ عندما افترقا, يهبنا وجودنا بجوار أحبتنا سبباً للحياة والإستمرار حتى فى أحلك الظروف ..فكر نزار.

استأجر سيارة أجرة وذهب إلى الفندق ليجمع جميع أغراضه, وضعها في الحقيبة فنظر إلى تلك العلبة التي تحتوي على جهاز صغير فزاده الفضول أن يعرف ماهية هذا

الجهاز,رفع هاتفه كي يتصل بناصر لكنه تراجع فقد خاف أن يفقد أعصابه ويبوح له بكل شيئ. يجب أن لاتفشل خطة مريم..أصر بداخل نفسه.. حمل حقيبته ونزل إلى الصالة الرئيسية للفندق واتجه نحو موظف الإستعلامات

- أريد أن أنهي اقامتي في الفندق لقد أنهيت عملي في بغداد, أغلق حسابي وأعطني الجواز من فضلك .

- نعم ياسيدي أرجو أن تكون قد استمتعت بالإقامة في فندقنا .

- الحمد لله خدماتكم جيده وفندقكم مميز, رد نزار مجاملاً .

دفع نزار تكاليف إقامته في الفندق واستلم جوازه وخرج متجهاً نحو الشارع العام ليستأجر سيارة أجرة إلى مدينة الكاظميه, لكن فوجئ برفض ثلاث سيارات أجرة الذهاب هناك . استوقف السيارة الرابعة واستفسر منه عن سر رفض السائقين الآخرين الذهاب هناك, فأخبره أن الدخول الى مدينة الكاظمية يتطلب وقت طويل بسبب الإجراءات الأمنية, فإن أردت يمكن لسيارة الأجرة أن توصلك إلى السيطرة الرئيسية ومن هناك تعبر السيطرة وتستأجر سيارة أخرى, وافق نزار وبعد أن وصل إلى السيطرة الرئيسية أنزل حقيبته وسار على قدمه لمسافة مئة متر ليستأجر سيارة ثانية حتى وصل مركز مدينة الكاظمية. تمشى قليلاً حتى أعادته ذكرياته الجميله . القبب الذهبية في المدينة, عندما كانت تاتي به أمه مع اخوانه للزيارة, يمرحون كل يوم جمعة. حمل حقيبته فوراً متذكراً أن امه مازالت تزور هذه المدينه باستمرار وأن كثير من أقاربه وأصدقائه يترددون هنا كثيراً, يجب علي أن أسكن في أقرب فندق حتى تتصل بي مريم وتزودني بالتفاصيل.. قالها مذكراً نفسه. توجه نحو أحد الفنادق

واستلم غرفته ولم يتجول في المدينة خشية أن يراه أحد, فتح هاتفه كي يتفقد بريده الإلكتروني فوجد رسالة من مريم مضمونها انها استبدلت القطار في المحطة وعائدة الى بغداد, اتصل بأم فارس وحدد معها موعد فى اليوم التالى.. كتبت له فى الرسالة.. أخبرها بأنك سوف تأخذها الى المقبرة لزيارة قبر ولدها فارس ,لكن عند خروجك معها من منزلها حاول أن تفهمها أن قبر فارس مهدد وخذها الى مقبرة أخرى خشية العيون التي تراقبك. انتبه, قد ينفذ ناصر العملية من دونك عندما يعرف مكان القبر ولا نستطيع بعدها إثبات براءتك من قتل السيد مارشال. فمن دون تلك الجوهرة لانستطيع أن نحقق أى شئ, لقد إتصلت بالدكتورة ريم وسوف تترك سيارتها في بارك الجامعة, والمفاتيح لدى حارس البارك وستترك خبر لديه بأنك سوف تستلم السيارة لكي تكمل بها مشاويرك وعند عودتك اتصل فوراً بناصر وأخبره أنك قد عرفت مكان القبر وأنك على أهبة الإستعداد لتنفيذ العملية, إسمع ماهي ردة فعلة وأخبرني عبر البريد الالكتروني.

بعد أن أنهى نزار قراءة الرسالة اتصل بأم فارس وبالطبع كان يعلم أن من يراقبونه سيسمعون المكالمة كاملة وبعد أن ردت أم فارس على المكالمة وقالت ألو

- ألو السلام عليكم .

- وعليكم السلام من المتصل ؟

- أنا نزار, الذي زرتك في منزلك قبل أيام .

- كيف حالك يانزار؟ لقد ظننت بأنك قد نسيتني فلم تزرني ولم تتصل بي!

- كلا يا والدتي أنا لم أنساكي, جهزي نفسك غداً سوف أزورك لنذهب سوية لزيارة قبر فارس بإذن الله, ما رأيك؟

- والله ياولدي أنا مشتاقة جداً إليه, وكنت أتمنى أن يأخذني أحد إليه فقد اتصلت بصاحب سيارة الأجرة وردت علي زوجته وأخبرتنى بأنه في المستشفى فقد يجرى عملية جراحية.

– حسنا يا أمى, أنا موجود وسوف أخذك غداً, في أي ساعة تفضلين أن نذهب؟

- اسمع ياولدي , أنا سأكون جاهزة بعد صلاة الفجر, وفي أي وقت تمر علي سأكون بإنتظارك .

أنهى نزار المكالمة ورقد في فراشه, لكنه لم يستطيع أن ينام حتى سمع صوت قارىء للقرآن, نهض وفتح النافذة فوجد الشارع شبه خالي من البشر فوجدها فرصه أن يتجول في تلك المدينة,

ارتدى ملابسه وخرج من الفندق فلسع جسمه البرد, لكنه لم يشعر به فقد شد إنتباهه الشارع شبه الخالى من المارة, كان هناك فقط بعض رجال الشرطة وقليل من الناس الكسبة المفترشين الأرض وقليل من الزائرين ,

تمشى نحو الحرم, وهو ينظر يمينا ويساراً إلى المحال التجارية المغلقة حتى وصل إلى الحرم الكاظمي, بعد دخوله كانت قد فاضت في داخله روح التقوى والإيمان فذهب إلى محلات الوضوء وأكمل جميع مراسيم الزيارة المتعلقه بذلك المكان ,

جلس في أحد أركان الحرم وفي يده قرآن بدأ بتلاوته منتظراً موعد آذان الفجر فقد قرر أن يؤدي صلاة الجماعة, وتذكرفى هذه الأثناء أيام فرانكفورت حيث كان فى مثل تلك الساعة يقدم زجاجات البيرة والمشروبات الكحولية للزبائن,من حوله بائعات الهوى!.. أدمعت عيناه ولم يستطيع أن يكمل القراءه,

ظل جالساً حتى نادى المؤذن للصلاة فتوجه نحو الصفوف وأدى الفريضة جماعةً وعند إنتهائه ذهب إلى الفندق كي يأخذ قسطاً من الراحة ليذهب بعدها إلى منزل أم فارس .

الفصل الثامن

(مجهول ينتظر)

1

نهضت العجوز من سجادة الصلاة والآلام تنهش جسدها النحيل, وضعت المصحف في مكانه وتوجهت نحو غرفتها, غيرت ملابسها وأخذت كيس وضعت فيه بعض الشموع والكبريت لتشعلها على قبر ولدها, جهزت كل شئ وخرجت تنتظر فى فناء المنزل الخارجي ذلك الشخص الذي سيعطف عليها ويأخذها إلى قبر ولدها لتزوره, جلست على الكرسي الخشبي القديم مدركة كم أن الوقت لا يزال مبكراً فأشعة الشمس لم تكتمل والضوء مازال لم يملأ المكان ببهاءه, جلست تستمع إلى صوت صياح الديك ماسكةً في يدها مسبحتها ,تسبح وتستغفر الله وهي قلقه من أن ينساها نزار أو يتاخر بسبب عمل ما, وتارةً تثق بأنه سيأتى ليأخذها والأخرى تشك كونه شاب ولابد أن لديه إلتزامات كثيرة, كما أنه لا توجد بينهما أى صلة قرابة, فالأقارب والأصدقاء قد هجروها منذ زمن بعيد ولم يسأل عنها أحد, نظرت إلى حديقة منزلها المهملة وتذكرت كيف كانت تزهو بالورود والأناقة والألوان وكيف كانت لا تتوقف عن عمل الشاي للضيوف ما بين أصدقاء زوجها وأصدقاء ولدها والأقارب والمحبين, بقيت الأفكار العشوائية تتدفق إلى مخيلتها بغزارة وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً سمعت صوت محرك سيارة تتوقف أمام دارها وصوت باب يفتح وخطوات متجهه نحو باب منزلها, عادت الإبتسامة ترتسم على وجهها حتى طرق الباب, سارت نحو الباب ببطئ يليق بسنيها الطوال,فتحت الباب لتجده يقف بجوار السيارة فاتحاً لها الباب .

- صباح الخير . آسف على التاخير .

- صباح النور . لا عليك فأنت صاحب معروف علي وأنا مدينة لك ياولدي .

صعدت العجوز السيارة بمجهود وصعوبة كبيرين, إنطلق نزار وهو يفكر كيف يفتح معها الموضوع ويقنعها بأن ياخذها إلى مقبرة غير مقبرة إبنها التى تتطلع وتتشوق لرؤيتها كما يتطلع السجين لشمس الحرية, نظر إليها ليجدها متلهفة للوصول إلى قبر ولدها حتى تجرأ وسأل :

- هل تسمحي لي بسوال؟

- تفضل ياولدي .

- هل زوجك والد فارس مدفون في نفس المقبرة؟

- كلا, إن والد فارس مدفون في مقبرة وادي السلام في النجف فأنا أخبرتك أن أقاربي رفضوا أن يدفنوا فارس في المقبرة مع أبيه بسبب العار الذي تسبب به .

- هل زرتي قبر زوجك موخراً؟

- كلا ياولدي فأنا لم أزره منذ زمن بعيد .

- ماهو رأيك يا والدتي أن نذهب الآن إلى وادي السلام كي تزوري قبر زوجك ونؤجل زيارة فارس إلى يوم آخر؟

- إسمع ياولدي أنا أوافقك أن نذهب إلى النجف, لكن هناك سر في داخلك يخص فارس تخبئه عنى وأنا أريدك أن تخبرني إياه كي يطمئن قلبي وأوفر عليك المتاعب .

- نعم ياولدتي هناك سر فعلاً يخص براءة فارس وسأخبرك به, لكن ليس الآن, لنذهب الآن إلى النجف وأوعدك أنني سوف أُكشف الحقيقة .

- لا تخف ياولدي, أخبرنى وسوف أحفظ السر, الطريق طويل إلى النجف تكلم بهدوء وسوف أصغي بدون أن اقاطعك .

صمت نزار قليلاً متردداً كونها إمرأة كبيرة في السن قد تفقد السيطرة على نفسها وتفسد الخطة, لكن بعد إلحاح من العجوز شعر بالإحراج من إلحاحها وبعد تفكير طويل قرر أن يبوح لها بكل شئ منذ لحظة لقائه بناصر حتى هذه اللحظة, وبعد أن أنهى كلامه ساد الصمت بينهما داخل السيارة لمدة نصف ساعة حتى نطقت أم فارس

- ألم أقل لك يانزار أنك صاحب معروف علي؟ أحيانا دق الشك قلبى ولو واحد بالمئة فى براءة ولدى,لكن الآن قد اطمئن قلبي وتأكدت أن ولدي برئ ,لكن قل لي يانزار هل فعلاً كانت نيتك أن تفتح قبر فارس وتخرج الجوهرة أم كنت تراوغ ناصر؟

- صدقيني يا أمي أن نيتي كانت أن أراوغ ناصر, فإن كانت فكرتي الأولى هي الحصول على جواز سفري والعودة إلى بلدي وكنت قادراً أن أنفذ العملية بدون أن يعلم أحد لكن أنا قد أقسمت بالله اني لن أعمل شئ خطأً أو أي شيئ أضر به أي انسان مرة أخرى, طويت الصفحات القذرة من حياتى لأفتح صفحة جديدة نقية, واليوم أكبر دليل أننا لم نتوجه لقبر فارس لأن في ذهني خطة بديلة تخلصني من ناصر بدون أن أصل إلى قبر فارس أو نعبث به .

- إذن ناصر هو من قتل ولدي؟! بلا شك فارس قد إبتلع الجوهرة لكي يحافظ على الأمانة وفقد حياته بسببها, يجب أن تعود تلك الجوهرة إلى صاحبها الشرعي ليرتاح فارس في قبرة .

- ماذا تقولين كيف تعود الجوهرة الى صاحبها؟ أنسيتي أن الجوهرة بداخل جسم فارس وفارس في القبر؟!

- كلا لم أنسى, لكن هذه الجوهرة ستكون أكبر دليل على براءته أمام صاحب المحل والناس, ولن يستطيع أحد إخراجها سواي.. قالتها مشيرة إلى نفسها.. أنا الذي سأخرجها من جسده, أنا أولى بالعبث في جثة ولدي, سوف لا يكون الأمر سهلاً علي , لكن سوف أفعلها وأريحه في قبره!

- ماهذا يا أم فارس؟ سألها مذولاً.. هل تقصدين فعلاً ما تقولين؟ هل تفقهين ماتقولين أم هذا مجرد هراء؟ أم هى فرحتك ببراءة إبنك؟؟ كيف ستدخلين المقبرة وتحفرين قبر وتخرجين جثة وتشرحيها دون أن يراكي أحد؟

- انتظر ياولدي لاتغضب علي فإن الأمر سهل , أترك هذه المهمة لي, أنا سوف أتصرف واليوم بعد أن أعود سوف أتصل بك وأشرح لك كيف أن الأمور بسيطة .

- كلا, لاتتصلي بي أبداً لأن هاتفي مراقب. سوف أعطيكي رقم هاتف خطيبتي إتصلي بها وهي سوف ترسل لى رسالة عن طريق البريد الإلكتروني..قالها ووقع كلمة خطيبتى ملأ لسانه فرحاً .

بعد طريق طويل وصلا إلى محافظة النجف وقد طلبت العجوز من نزار أن تزور الحرم قبل دخول المقبرة, وبعد أن أنهت الزيارة دخلا إلى المقبرة, نظر الى مقبرة وادي السلام ليجدها كالبحر الذي لاينتهي على مرمى البصر ولايستطيع أحد أن يعد قطراته, كان كل قبر فيها يعادل قطره في بحر, ظل ينظر إلى لوحات وأشكال القبور

ليجد منها الحديث ومنها القديم ومنها من مرت عليه الدهور فلم يعد أحد يذكره سوى أشعة الشمس وقطرات المطر.

- كيف تستطيعين أن تستدلين على قبر زوجك من بين كل تلك القبور؟

- أنا لاستطيع أن أعثر عليه الآن فلم أزره منذ سنوات,لكن إسال عن الدفان حمزة فهو المسؤل عن مقبرتنا الخاصة .

ذهب نزار إلى الاستعلامات وسأل عن الدفان حمزة فأرشدوه إلى مكانه, وبعد بحث ليس بالطويل وصل إلى مكتبه الخاص, نزلت العجوز ودخلت إلى مكتب الدفان حمزة

- السلام عليكم . كيف حالك ياحمزة؟ هل تتذكرني أم نسيتني؟

- نحن هنا في مقبرة وادي السلام لا ننسى احداً من زبائننا مهما مرت السنين.. قالها مبتسماً.. كيف حالك يا أم فارس؟

- الحمد لله, أريدك أن تحضر لترشدنا على مقبرتنا .

أشار حمزة موافقاً وأغلق مكتبه وذهب معهم مرشداً نزار بين المقابر, يقول يمين تارةً وتارةً يقول يسار بين شوارع المقبرة الضيقة التى بدت كلعبة تجميع المربعات , بدأت آشعة الشمس في الإنحصار والسماء بدأ بالاحمرار حتى وصلا إلى مكان يشبة غرفة صغيرة أشار حمزة إلى العجوز بأن هذا السرداب الخاص بهم, نزلا من السيارة وكان باب السرداب مكسوراً فدخلا وبدءا ينزلان السلم, وخيوط العنكبوت تلامس أجسادهم, أخرج هاتفه نزار لكي ينير السرداب فوجده مكون من أربع خانات بينهم خانة مشغولة, فتبين أن جسد أبو فارس يرقد بها والخانات الثلاثة البقية خاليات.

- كان من المفروض أن فارس موجود هنا الآن, وأنا عندما أموت أيضا سأدفن هنا حتى يلتم شمل العائلة, لكن الظروف التي مررنا بها فرقت بيننا فى حياتنا ومماتنا, لكن سألم ذلك الشمل من جديد.

أخرجت الشموع من حقيبتها وأشعلتها أمام مرقد زوجها, تلت قليلاً من القرآن وبعد أن إنتهت خرجوا من السرداب, أخرجت العجوز من حقيبتها حفنه من النقود وأعطتها لحمزة ليرمم باب السرداب وينظفه خلال يومين ويجهز نفسه لأنها ستنقل جثة ولدها فارس إلى السرداب الخاص بالعائلة .

- لكن القانون لايسمح بنقل الموتى الذين مرت على وفاتهم فترة طويلة! كيف ستفعلين ذلك؟ سأل حمزة . مستنكراً .

- هذا لايهم .. قالتها العجوز مبتسمة.. في بعض الأحيان يجب أن نخالف القانون كي نعيد بعض الحقوق المسلوبة .

أنهى الثلاثة عملهم في المقبرة وتوجه كل من نزار والعجوز إلى بغداد , كان الليل قد حل ولم يصلوا إلى منزل أم فارس إلا فى تمام الساعة العاشرة .

- أزعجتك اليوم يا ولدى, لكن سوف أعوضك وأريدك غداً أن تحضر الى هنا مبكراً لكي نقضي بعض المشاوير .

وعدها نزار بالمجىء وهم عائداً إلى مدينة الكاظميه حيث فندقه, وبعد دخوله الغرفة أخرج الهاتف الثاني ليتفقد بريده الإلكتروني ليجد رسالة من مريم تريد أن تعرف كيف كان يومه, كتب لها برسالة مضمونها انه تكلم مع أم فارس بكل شئ, وتفهمت الموضوع

وسوف تساعدنا, لكنها أصرت على أن تخرج الجوهرة من القبر وطلبت أن أترك الموضوع عليها, وانه ترك رقم مريم مع أم فارس كي تتصل بكي بدلاً من هاتفه المراقب, وبعد الإنتهاء من كتابة الرسالة فوجيء بإتصال من نوال, إستغرب قبل أن يرد فقد كاد أن ينساها, رد عليها ولامته على نسيانه لها كل مرة وهى التي تتصل به دائماً.

- إذا كنت تريد أن تقاطعني أخبرني سوف لا أزعل منك .

- كلا يانوال لقد أخطأتى فهمى . أنا كنت مشغول جداً صدقيني .

- إذن غدا ستحضر للمنزل لتناول الغداء معي .

- كلا, لا أستطيع أن أحضر وقت الغذاء . فلتجعليها في الليل وسنتناول العشاء في المطعم وليس في منزلك.. ما قولك؟

- إذن اتفقنا سوف أنتظر مكالمة منك غداً, لكن إحذر أن تنساني, فسوف أزعل منك وسأخاصمك . وعد نزار بالإتصال وأنهى المكالمة وقام بضبط المنبة في هاتفه حتى لايتأخر على موعد أم فارس في الصباح الباكر, سلم نفسه الي نوم عميق .

2

استيقظ نزار على صوت هاتفه, نهض وفتح نافذة غرفته فشاهد الشارع مكتظ بالناس, على ما يبدو هناك مناسبة دينية فى الخارج, غير ملابسه وذهب إلى البارك الذي وُضعت فيه سيارة الدكتورة ريم , أخذ السيارة وإتجه إلى منزل أم فارس ليجدها تجلس على كرسي قد أخرجته من دارها لكي تنتظره, بعد أن وصل لم تدعه ينزل من السيارة فوضعت الكرسي خلف الباب وأغلقته لضيق الوقت, ركبت وأوضحت انه لم يتأخر عليها حين هم بالاعتذار, انما أوضحت انها لم تجلس على باب المنزل منذ سنين بسبب نظرات الناس اليها.

- لكن اليوم كانت لدي عزيمه قوية بان أكسر هذا الحاجز بداخلي, سأواجه الأيام المقبلة في حياتي بحرية تامة بعد أن أتحرر من العار الملتصق بى وبإبنى كصمغ غير قابل للذوبان, سأنهي أزمتي وأزمتك خلال أيام.. قالتها لنزار.. لقد إتصلت ليلة الأمس بشخص يعرف جميع القوانين, كان في السابق مستشار قانوني سألته عن كيفية تحويل جثمان فارس فقال نفس كلام الدفان حمزة . أنه لايجوز أن نحول جثمان قد مضت عليه سنين طويلة, لكن حين أوضحت له بأن نيتي سليمة وأني أريد فقط أن أجمع زوجي وولدي في مكان واحد, أخبرنى أن أحضر لديه في المنزل ووعد بأن يفهمني كيف أتصرف فى هذا الموقف .. إتجه الآن إلى شارع فلسطين يا ولدى .

- وهل تعرفين ذلك الشخص جيداً؟ فقد يشك في أمرنا .

- إطمئن انه الشخص الوحيد الذي لم يطعن في أخلاق فارس وقد وقف بجانبي ولم يتخلى عني , لكن الظروف كانت أقوى مني ومنه, إنه السيد سالم . صديق زوجي المخلص, لم يكن يأتي ليسأل عني بسبب كبر سنه ومرضه .

أرشدت العجوز نزار إلى المنزل المحدد, دخلوا إلى دار السيد سالم ليستقبلها ويرشدهما إلى صالة الضيوف .

- لم أراكي منذ زمن بعيد يا أم فارس, قالها مُرحباً, لكن أعذريني فأنا كما تنظرين جليس في البيت كأنما علي إقامة جبرية بسبب المرض الذي يزداد علي يوم بعد يوم .

- لا علينا أخبرتيني ليلة أمس في الهاتف أنك تريدين أن تنقلي جثمان ولدك من مقبرة الحصوة إلى مقبرة وادي السلام, هل هذا الأمر ضروري؟ لماذا لاتتركيه في مكانه فكل مكان هو أرض الله؟

- أنا أعلم أن كل أرض هي أرض الله, والإنسان لاتقيمه إلا أعماله, لكن أنا لدي غاية . أريد أن أنقله بغضاً في أقاربي, فعندما استمعت إلى كلامهم وتركتهم يدفنوه فى بغداد كنت محترمة رأيهم, لكن عندما هجروني ولم يسألوا عني ولم يزوروني لم يعد يهمني رأيهم, فلماذا أخالف رغبتنا أنا وزوجي بأن نتجمع في مكان واحد بعد موتى؟

- هذا الأمر يعود لكي, لكن هناك طريقة واحدة لكنها ليست قانونية ولحسن الحظ غير خطرة فالوضع الآن يخدمكم .

- سيد سالم نحن سنحول رفات فارس سواء كان العمل قانوني أم غير قانوني فهذه لايهمنا .

- يجب عليك أولاً أن تحصلي على شهادة وفاة بتاريخ نقل الجثمان وعندما تخرجونه وتضعوه في التابوت يجب أن تضعوه في كفن جديد لأنه عند مروركم في نقط التفتيش ويراجعون شهادة الوفاة سوف يسهل هذا مروركم ويجب أن تجعلوا سبب الوفاة طبيعي, ولاتنسوا أن تجعلو عمر المتوفي كبير في السن .

- ومن أين نحصل على تلك الشهادة المزورة التي لا تستطيع أن تكتشفها نقاط التفتيش ؟سأل نزار . - لقد اتصلت بصديق قديم اليوم صباحاً ,كان يعرف مزور في سوق مريدي, كان ينجز له بعض الأمور المستعصية فإنه يعمل محامي, أعطاني رقم المزور, إسمه خالد الأسمر, إذهبوا إليه في سوق مريدي وتواصلوا معه وهو سيرشدكم إلى مكانه .

شكر كل من نزار وأم فارس السيد سالم وانطلقا فى طريقهما, إقترح نزار على أم فارس بأن يذهب لوحده وأن يتركها في منزلها حتى يجلب شهادة الوفاة المزورة , وافقت على اقتراحه وذهب وتركها في منزلها بعد أن وعدها أن يعود إليها بمجرد أن يكمل عمله .

3

وصل نزار الى اقرب نقطة إلى سوق مريدي بعد سلسلة من الطرق المزدحمة, ترك السيارة في كراج ودخل إلى السوق واتصل بخالد الأسمر, أعلمه بالمكان الذي يقف فيه فأخبره المزور أن يبقى واقف مكانه وسوف يرسل له شخص يحضره إليه, وقف يتأمل السوق الشعبي وجميع منتوجاته ولفت انتباهه عدة أشخاص يجوبون السوق ولا يحملون في أيديهم شيئاً ولا يبدو أنهم يمتلكون أحد هذه المحال التجارية ولاهم من الباعة المتجولين المفترشين الأرض, مرت بعد خمس دقائق ليقف بجانبه أحد هؤلاء المريبين يهمس له بدون أن ينظر اليه

- ماهو إحتياجك؟ هل تريد هوية أم إجازة أو لوحات سيارة؟ أم ماذا؟

استغرب نزار وشكره متوجساً بأنه لا يريد شيئا, فقط ينتظر أحد الأشخاص, انصرف الرجل بعد أن رمق نزار بنظرة لا تخلو من تقزز وبعد لحظات وقف أمامه فتى مراهق يبلغ من العمر سبعة عشر عاماً تقريبا يرتدي ملابس مهترأة

- أنت من يريد مقابلة خالد الأسمر؟

- نعم, أجابه نزار

- كيف وصلت إلى هنا؟ هل أتيت وحدك أم أن هناك أحد معك؟

- لا , أنا وحدي وأتيت إلى هنا في السيارة وتركتها في الكراج . قالها شاكراً ربه فى سره أنه لم يحضر أم فارس.

- اصطحبني معك الى السيارة .. قالها الفتى متسبباً فى نوبة من التعجب لنزار. لماذا يسأل هذا الفتى على السيارة؟ ولماذا لم يأخذه مباشرةً الى خالد الأسمر؟ أسئلة كثيرة تزاحمت بعقل نزار لكن لم يجد أن هناك الكثير يستطيع أن يفعله, وصلا سوياً وجلسا في السيارة دون كلام .

- أعطني التفاصيل التي تريدها.. قالها الفتى بجدية لا تليق بعمره .

- أريد شهادة وفاة بتاريخ باكر لشخص كبير في السن, متوفي وفاة طبيعية,تحمل إسم فارس عبد المجيد عبد الله .

دون ما قاله نزار ثم أخرج الفتى هاتفه وأجرى إتصال

- ستكلفك أربعمائة دولار , هل أنت موافق؟ سألة دون أن يغلق الهاتف. وافق نزار على المبلغ وأعطاه إلى الفتى الذى أنهى المكالمة ونزل من السيارة مسرعاً.
- ابقى في السيارة لمدة نصف ساعة وستصلك في ظرف وبعد أن تستلمها إذهب فوراً, قالها الفتى وهو يهم بالذهاب مسرعاً. قام نزار بتشغيل راديو السيارة, ويشعل سيجارة تلو الأخرى ليمر الوقت . بدأ رجل كبير في السن يطرق على زجاج السيارة طالباً بعض المال وقبل أن ينطق نزار رمى المتسول الظرف في السيارة ورحل .

فتح نزار الظرف فوجد شهادة الوفاة لا تستطيع أن تفرقها من تلك الصادرة من المستشفى, شاملة التواقيع والأختام وكل تفصيلة صغيرة أخرى . هم نزار بالذهاب إلى منزل أم فارس ليجدها كما رآها قبلاً جالسة أمام باب المنزل, أشار لها أن تصعد إلى السيارة .

- ماذا فعلت؟ قالتها قبل أن تركب تماماً داخل السيارة .

- جلبت الشهادة , لكن باسم فارس عبد المجيد عبد الله لكي أُصبح بذلك شقيق المتوفى فأنا اسمي كاملاً نزار عبد المجيد عبد الله .

- أحسنت يانزار, كنت أحمل هماً ثقيلاً إن سألونا في نقاط التفتيش أن ارتبك . أي أم ولدها متوفى في نفس اليوم لا تولول ولاتبكي وتنتحب؟ أريد منك الآن أن تتجه إلى مصرف الرشيد فرع العطيفية, لدي هناك وديعة كنت قد تركتها لأوقات الشدة, ولا شدة أولى مما نحن فيه الآن .

نزلت أم فارس إلى المصرف بعد أن أوصلها نزار, إستغرقت نصف ساعة حتى خرجت تحمل كيساً في يدها, صعدت السيارة وطلبت منه أن يتجه إلى مقبرة الحصوة حيث يرقد فارس, نفذ نزار أوامر أم فارس دون معارضة, تمنى لو ينتهي الموضوع بأسرع وقت ممكن, التأخير على كل حال لم يكون فى صالحه .

وصلا الى مقبرة الحصوة التى لم تكن شبيهه أبداً بمقبرة وادي السلام, بدأت أم فارس تدله على الطريق حتى أوقفته أمام مكتب صغير وطلبت منه أن يستدعي شخص اسمه فريد, نزل نزار ودخل المكتب ليجد مجموعة من الأشخاص جالسين. سأل عن فريد فكان واحد منهم,أخبره بأن إمرأة جالسه في السيارة تريده, يتعذر عليها الحركة لكبر سنها. خرجا سوياً متجهين نحوالسيارة ليتعرف فريد على العجوز ذات الوجه المألوف التى تتردد على المقبرة بين الحين والآخر, أشارت إليه أن يجلس بجانبها, جلسوا جميعهم في السيارة وكانت أم فارس هى من كسر الصمت :

- ولدي فريد, أنت تعرفني منذ سنين ولم أقصر فى حقكم يوماً, إن طلبتم عيونى كنت لا أبخل, وانا اليوم أريد أن أطلب منك طلباً, ليس صعباً عليك, لكنه غريب بعض الشيئ فلا تردني يا ولدى.

- تفضلي يا أم فارس, أي طلب أقدر عليه سوف لن أتأخر, أنتي صاحبة فضل علينا كلنا .

- هذا هو حسن ظنى بك يا ولدى, إسمع يافريد ... أريد أن أنقل جثمان ولدي فارس بجوار قبر أبيه فى وادي السلام, أعرف أن هذا العمل غير قانوني, لكن نحن أعددنا كل شيئ وكل الأوراق التي ستثبت أن الشخص الذي سيتم نقله توفي اليوم . المطلوب منك هو فقط أن تخرج لنا فارس من القبر وأنا سوف أُراضيك , أريدك أن تُخرج ولدى غداً صباحاً.

تلكأ فريد فى الرد, فلاحظت أم نزار نظرات التردد والرفض فى عينيه, أسرعت قبل أن ينطق ويعتذر عن الأمر وأخرجت من حقيبتها مبلغاً من المال يكفى لدفن وبناء قبور لعشرين شخصاً على الأقل ووضعته في يد فريد .

- هذا المال يكفي أن تجلس في منزلك شهر كامل , وتصطحب أطفالك وزوجتك للسفر, فأنت لم تسافر منذ وقت بعيد.. قالتها العجوز بحنكة تليق بسني عمرها.

وافق فريد على عرض أم فارس واتفقا أن يخرج لها جثمان فارس غداً صباحاً وطلب منهم أن يجلبوا معهم تابوت وكفن جديد وسيارة نقل وهو سيتكفل بالباقي .

قام نزار بايصال أم فارس إلى دارها وأخبرها أنه سياتي غداً مبكراً. انصرف وأوقف السيارة بأحد الشوارع الجانبية ليرسل رسالة إلى مريم, أخبرها بجميع التفاصيل لترد عليه برساله فوراً تخبره أن يتصل بناصر ويخبره أن العملية ستنفذ بعد ثلاث أيام وليس غداً, لكي يكرس أعوانه لمراقبتك بعد ثلاث أيام, أنت ستنفذ غداً, تخفى الجوهرة لتساومه عليها مقابل اثبات برائتك, وأنا سوف أتصل بأم فارس وأخبرها جميع التفاصيل. أعاد نزار قراءة رسالة مريم عدة مرات, فكر بمنطقية الفكرة ليجد بأنها ستوفر له الوقت الكافي ليختفي ويستدرج ناصر. اتصل فوراً بناصر لتفيذ الفكرة

- كيف حالك ياسيد ناصر؟ أرجو أن تكون بخير , آسف على التأخير فأنت تعلم صعوبة مهمتى, لكن لا تقلق كل شيء جاهز الآن .

- أخبرني إذن إلى ماذا توصلت؟

- سوف أنفذ العملية بعد ثلاثة أيام, وإن شاء الله الجوهرة ستكون بيدي بعدها .

- هذا جيد, إسمع لقد وضعت لك في حقيبتك جهاز صغير يكشف المعادن والزجاج والحديد, جهاز بدائى يساعد على التنقيب, قم بتشغيل الجهاز ومرره فوق جثة فارس وعندما يصدر الجهاز رنيناً يكون قد حدد لك مكان الجوهرة, هذا الجهاز سوف يساعدك كثيراً ويوفر لك الوقت, وبعد أن تأخذ الجوهرة سوف أرسل لك شخص يأخذها منك .

– ماذا عن حقى؟ لقد وعدتنى بخمسين ألف يورو؟ كيف سأعطيه الجوهرة دون أن آخذ حقى؟

- لاتخف يانزار حقك محفوظ, سوف يصلك عبر حوالة عن طريق أحد المكاتب .

أنهى نزار المكالمة مبتسماً من نجاح خطته

- اقسم بالله اني سوف أذلك يا ناصر بعد أن تصبح الجوهرة بين يدي.. قالها لنفسه بصوت مسموع ملىء بالاصرار.   قطع تفكيره إتصال نوال تذكره بموعده معها على العشاء. رد عليها بأنه لم ينس موعدها واتفقا أن يلتقيا في مول المنصور فى تمام السادسة مساءاً.

وصل نزار إلى كراج المول فى الموعد المحدد ,ترك السيارة وتوجه إلى الباب الرئيسي حتى وصلت نوال. كانت في كامل أناقتها مرتدية ملابس ضيقة ومغرية لفتت إنتباه نزار, سلمت عليه وصافحته وتمشيا في المول حتى جلسا في أحد الكافيهات .

- لماذا تفعل هكذا معي يانزار؟.. قالت معاتبة.. لماذا كل هذه البعد عني؟ هل لديك عقدة من النساء؟

- لا أبداً, لكن كما قلت لكي أنا مشغول جداً هذه الأيام, ليس لدي الوقت الكافي كي نلتقي,لكن لم أنساكى بالطلع .

- نزار أنت وعدتني من قبل أن تساعدني, غداً سوف أقابل شخص ما, ولا أريد أن أذهب لمقابلته بمفردى, أريدك أن تذهب معي.

- لكن غداً لدي عمل مهم جداً مستحيل أن أؤجله, إذا تمكنتى أن تؤجلي موعدك إلى بعد الغد سأكون جاهز طوال اليوم .

– للأسف الشخص الذي سوف التقي به سيسافر بعد غد فلا فرصه لدينا سوى أن نقابله غداً.

– هل تعلمين في أي ساعة سيسافر بعد غد؟ إذا كان سفره في وقت متأخر سوف نتمكن أن نراه قبل أن يسافر.

- إن موعد ذهابه إلى المطار سيكون الساعة العاشرة صباحاً, إذا أردنا مقابلته يجب أن يكون قبل هذا الوقت .

- نعم سوف نذهب إليه في وقت مبكر وننهي عملنا معه قبل أن يذهب إلى المطار .

- إذن سوف يكون مبيتك عندي في المنزل يوم غد حتى نخرج لمقابلته في وقت مبكر, وأرجوك لاتعتذر ولاتخف مني سوف تنام وحدك في غرفة وأنا أنام في غرفة أخرى, وأنت زرتني من قبل في منزلي ولم أعمل لك شيئاً, لاتخف سوف لن أغتصبك .. قالتها ضاحكة .. يجب أن تثق بي .

ضحك نزار على جملة نوال الأخيرة جعلته يشعر بأنها هى الرجل وهو الفتاة, قال لها لابأس لقد وعدتك وسوف أفي بوعدي معك, وحتى لو لم أبات في منزلك سوف أكون جاهزاً أمام باب دارك في تمام السابعة صباحاً.

قام نزار بتوصيل نوال إلى دارها بعد أن رفها عن نفسيهما قليلاً وتجولا في المول, ذهب إلى فندقه بالكاظمية, دخل إلى غرفته وأخرج الجهاز الذي أخبره عنه ناصر, جهز جميع المستلزمات لتنفيذ عملية الغد, استلقى على السرير يفكر في المجهول الذي ينتظره ....

الفصل التاسع

(خيانة من جديد)

1

أشارت آشعة الشمس التى لم تبلغ كامل حدتها بعد إلى السادسة والنصف صباحاً, يجلس نزار في أحد مطاعم الكاظمية الشعبية يتناول إفطاره قبل الذهاب إلى المقبرة لتنفيذ المتفق عليه مع فريد, الطعام واحد فى معظم مطاعم العالم أما للكاظمية فمذاق خاص, ظل ينظر إلى الطعام دون لمسة فالمشاهد التي يتوقعها اليوم من فتح القبر وإخراج الجثة والعبث فيها لا تترك مخيلته, ترك الطعام دون لمسه متوجهاً نحو الشارع الرئيسي ليستأجر سيارة أجرة تقله إلى المقبرة, كان قد ترك سيارة الدكتورة ريم في منزل أم فارس لكي تذهب بها مريم والعجوز إلى مقبرة وادي السلام. إنتظروه عند السرداب الخاص بعائلة فارس, بعد وصوله إلى مقبرة الحصوة إتصل بفريد أخبرة بأن ينتظرة عند باب المقبرة وبعد خمسة دقائق وصل فريد مستقلاً دراجة نارية وأمره أن يركب خلفه كي يذهبا إلى القبر, ركب نزار ليخبره فريد أنه قد وفر عليهم بعض الوقت وبدأ بالفعل في حفر القبر في الخامسة فجراً وانتهي منه, لكن دون أن يلمس الجثة.

- كنت أنتظرك كي تشهد أنت على خروج الجثة أمامك.. قالها مبرراً.

نزل نزار عند وصولهم من الدراجة, شاهد شخصين آخرين مع فريد ,يبدو أنهم العاملين الخاصين به ونظر يمينه ويساره فلم يشاهد أحد في المقبرة غيرهم,

- هل لديك سيارة وتابوت تقلكم إلى مقبرة وادي السلام أم أتصل بشخص صديقي يقلك؟ سأل فريد.. إنه أمين وكتوم .. أشار لنزار بعدم القلق.

وافقه نزار على إقتراحه , إتصل فريد لتحضر سيارة تحتوي على قاعدة فوقها تحمل تابوتاً بعد عشرون دقيقة, إتجه العاملين إلى السيارة وأنزلوا التابوت وفتحوه مخرجين منه الكفن الجديد, أخذ فريد الكفن ونزل إلى القبر, تقدم نزار ينظر إلى القبر المفتوح والرعب يملأ قلبه وترتجف جميع أعضاء جسده كالمحموم وهو ينظر إلى فريد يحمل الجثة من مكانها إلى الكفن الجديد بدون أن يرفعها عن الارض خشية أن تتفتت بيده, غريب ما يحدث لنا حين تفارقنا أنفاسنا .. حين تفارقنا أرواحنا..فكر نزار, كان فريد قد عمل حفرة كبيرة لكي يسهل على نفسه قلب الجثة .

- الجيد أن فارس عندما توفي كان شاباً فماتزال عظامه قوية ولم يتهشم عند تحريكه .

لم يرد نزار فكلمة "جيد" لابد وأن مكانها أى مكان آخر بالدنيا غير هنا! كان لسانه معقوداً من بشاعة المنظر أمامه وبعد أن قلبوا الجثة, نزل العاملين الإثنين إلى القبر مع فريد ورفعوها ممسكين بكل طرف وفريد من المنتصف خشية أن تنكسر الجثه المتيبسة أثناء رفعها. بعد أن رفعوها ووضعوها في التابوت بسلام أصبحت الجثة مع الكفن القديم داخل الكفن الجديد وأصبحت كأنها جثة جديدة وبعد أن وضعوها فوق السيارة سأل نزار فريد لو أنه قام بمثل هذه العمليه من قبل , ابتسم فريد ليخبره بأنه قام بمثل هذا الفعل عدد لا يحصى من المرات لكن لأول مرة في حياته يحول جثة قديمة بهذا الشكل, فكان تحويلها سهلا بالنسبه له بسبب خفتها.

أيضا عندما فتحنا القبر..أكمل فريد.. لم تخرج رائحة تضايقنا عكس القبور الجديدة مما جعل نقل الجثث منها صعب جداً ويزعجنا كثيراً. وبينما فريد يتحدث, بدأ نزار يلقي نظرة متفحصة للقبر دون أن يلفت إنتباه فريد خشية من سقوط جزء صغير من

الجثة, تفحص نزار القبر جيداً فلم يجد شيئاً, شكر فريد وركب السيارة التي استأجرها فريد بعد أن اتفقوا على الأجرة مع السائق الجديد, جلس نزار في المقعد الجانبي للسائق مشغولاً بكيفية المرور من كل نقط التفتيش الموجودة ما بين بغداد والنجف. وصلوا أول نقطة تفتيش على مخارج بغداد, توقفت السيارة وإتجه نحوها أحد عناصر الشرطة وقلب نزار يهبط داخل صدره مع كل خطوة يخطوها الشرطى.

- السلام عليكم..قالها الشرطى.. من هو منكم قريب المتوفي؟

- أنا قريبه..رد نزار.. هو أخي الأكبر وهذه شهادة وفاته. وهذه هويتي الشخصية.

أخذ الشرطي يدقق في الهوية وبدأ يدقق أكثر في شهادة الوفاة, بدا القلق يرسم ملامحه على وجه نزار فهو يعلم أن الشهادة مزورة وأن أوضاع البلد على كف عفريت, كيف لو إكتشف الشرطي التزوير في الشهادة ماذا سيقول وماذا سيفعل ؟ وكيف سيخلص نفسه من الورطة؟

- البقية فى حياتك ..قالها الشرطى معطياً الأوراق لنزار ومشيراً بفتح الطريق. زالت الغمامه من صدر نزار وبدا يتنفس الصعداء .

- لماذا كل هذا القلق ياأخي؟ قالها السائق.. ألم تاتي بالشهادة من سوق مريدي؟ إطمئن لن يكتشفها أحد!

إستغرب نزار من كلمات السائق فكيف عرف كل تلك المعلومات! بدأ ينظر إليه بنظرات الخوف والقلق .

- لاتخف يا أخي..قالها السائق حين لمح القلق فى وجه نزار.. فريد أعطاني نبذه عن عملية التحويل لكي يكون لدي علم وسوق مريدي هو المكان الوحيد الذي تحصل عليه على أى وثيقه تحتاجها, لا تقلق والأهم لا تظهر قلقك أمام نقط التفتيش فقد تواجهنا الكثير منها, منهم من يسأل عن الوثائق ومنهم من لا يفعل.حاول على قدر المستطاع أن تجعل الموضوع طبيعي. أشار نزار برأسة موافقاً بدون أن يرد عليه, بدأ المرور في نقاط التفتيش, منهم من يسأل ومنهم من يسهل الطريق عليهم متعاطفاً من ظرف الوفاة لديهم. لكن نزار كان قلقاً خشية أن تفتح أحد نقاط التفتيش التابوت وتلمس الجثه وينكشف أمرهم. بعد قلق إستمر لساعات حتى ضاق بصدر نزار, سأل السائق بهذه الخصوص كونه مختص بنقل الموتى فطمئنه أن لا أحد يجرؤ على لمس الميت, وعند وصولنا إلى محافظة النجف سندخل فوراً الى المقبرة دون أن نتجه للحرم. إطمئن نزار قليلاً من كلمات السائق, رن هاتفه ليجدها نوال, لم تكن لديه الرغبه أن يجيب على المكالمة بسبب الموقف الذي هو فيه لكنه رد بعد تردد :

- كيف حالك يانزار؟ إتصلت بك كي أؤكد عليك أن تحضر اليوم عندي في المنزل لكي تبات, لأني إتصلت بالرجل وقال لي أنه سوف يذهب إلى المطار يوم غد في الثامنه صباحاً بدل العاشرة, فقد تغيرت رحلته واتفقت معه أنى سأقابله في السابعة صباحاً, إذا لم تأتي تبات في منزلي مستحيل أن نصل في الموعد المحدد, أرجوك أنا بحاجه لمقابلة ذلك الرجل فلا تنساني, أنا لا أعرف في بغداد سواك. - نعم يانوال صدقيني إني لم أنس موعدك سوف أحضر في الوقت المحدد فلا تقلقي.

- كلا يانزار أرجوك أن تاتي الليلة لكي يطمئن قلبي .

- سوف أعطيكى رداً نهائياً بعد أن أنهي عملي .

أنهى نزار المكالمة والقلق يراوده ,فتح هاتفه الثاني لكي يتفقد البريد الالكتروني ليجد رسالة من مريم تخبره انها وصلت تواً حيث كانت تسير ببطء .كانت أول مرة لها تقود سيارة في طريق خارجي طويل, وأنها تنتظره مع أم فارس بجوار السرداب وبصحبتهم الدفان حمزة وهو جاهز للعمل. بعد وقت ليس بالطويل من رسالة مريم , تجاوزا آخر نقطة تفيش ودخلا إلى مقبرة وادي السلام, لكن نزار لم يستطيع أن يستدل على السرداب فأخرج هاتفه للاتصال بالدفان حمزة, وبعد لحظات تذكر أن هاتفه مراقب فقطع الإتصال فوراً, إستعان بهاتف السائق متحججاً بعدم وحود نقود فى تليفونه. كلم حمزة وتوجه السائق بناء على وصفه حتى وصلا إلى السرداب, نزلا من السيارة وأنزلو التابوت من فوقها. طلب السائق أجرته ليذهب فمهمته إنتهت . أعطى نزار المبلغ المتفق عليه للسائق وذهب, بقى نزار والدفان حمزة ومريم وأم فارس, تقدمت العجوز نحو التابوت الذي يحوي جثمان ولدها, إحتضنت التابوت وبدأت تبكي بشدة فراق السنوات الطوال, مرحباً بعودتك يا ولدى ..قالتها كما لو أنه كان مغترباً.. تركوها تبكي لمدة دقائق إلى أن ناداها الدفان حمزة, وقال يجب أن تمسكي مشاعرك فإن الوقت ليس بصالحنا وعملنا ليس رسميا, نهضت العجوز من التابوت وبدأ نزار برفع التابوت مع حمزة, أنزلوه إلى السرداب واطمئن قلب نزار, فكر بداخله أن المهمة قد أُنجز منها ما يقارب تسعون بالمائة , نزلوا جميعهم إلى السرداب فقالت أم فارس .

- حمزة, أرجوك ياحمزة نريد أن نختلي بفارس قبل دفنه, لقد إشتقت اليه وأريد أن أحدثه.

هز حمزة رأسه موافقا بأنه سوف ينتظر خارج السرداب وطلب منها ألا تتأخر. رفع نزار غطاء التابوت مباشرة بعد خروج حمزة, لم تتحمل مريم البقاء فإستأذنت لتنتظر بالخارج فطلب نزار منها الهاء حمزه لكي لايدخل عليهم فجأة, همت بالخروج وأغلقت باب السرداب فلم يتبقى سوى نزار والعجوز وبعض الشموع التي تنير المكان, كان المكان مرعباً جداً وموحش جداً. وبدأت رائحة المكان فى التغير بعدما إغلاق المكان, أصبح المكان أشبة بلحد كبير, جلست العجوز عند رأس جثة ولدها وبدأت تزحف عليه حتى تجرأت وقبلته من رأسه, إمتزجت دموعها بالكفن وبدأ صوت نحيبها يعلو شيئاً فشيئاً حاول نزار أن يهدئها قليلاً, لكن لم يستطيع نظراً لهول الموقف ,كيف لأم أن تقابل ولدها بعد غياب عشرون عاماً من الوفاة دون إنهيار؟ بعد دقائق قليلة تمالكت نفسها فأخرج نزار الجهاز وقام بتشغيله وبدأ يمرره على منتصف الجثة وهي منطقة البطن, لكنه لم يسمع أي اشارة, بدأ القلق يسيطر على نزار فالجوهرة هي الشئ الوحيد الذي يتمكن أن يساوم ناصر على براءته بها. قلق العجوز كان أكثر منه فان الجوهرة هي الشئ الوحيد الذي سوف تثبت براءة ابنها, وتدخل الطمئنينة إلى قلبها حتى لو لم يصدق أحد براءة إبنها. بدأ نزار يحاول ويحاول دون جدوى .الجهاز لايشير إلى أي جسم غريب داخل منطقة البطن, أشارت اليه العجوز أن يغير المنطقة فبدأ بغير مكان الجهاز وبدأ يصعد إلى منطقة الصدر واذا بالجهاز يشير بنسبة قليلة,واصل التحرك حتى إكتمل مؤشر الجهاز وحدد النقطه تماماً. أمرته العجوز بأن يفتح الكفن من المنطقة المطلوبة فتح نزار فتحة صغيرة وأخرج هاتفة وأشعل مصباح الهاتف, وجهه نحو الفتحة ليلمح أشلاء متيبسه لم يستطع أن يميز أي شيئ فيها. بدأت العجوز بإدخال يدها مزيلة أشلاء ولدها حتى يتمكنوا من رؤية الجوهرة.. غريب ما نقدر على فعله

من أجل الحقيقة.. لم تستطع العجوز أن تلتقط شيئا من داخل الفتحة التي أحدثتها, أخرجت يدها وبدأ نزار يسلط الضوء بقوه نحو الفتحه وإذا به يرى شيئا يلمع, أرادت العجوز أن تدخل يدها مره ثانية, لكن منعها خشية أن تُغير مكانها, أدخل نزار أصبعان مرتجفتان برفق داخل الجثة حتى تمكن من التقاطها . أخرجها ومسحها كي يتمعن بها, إذا بها جوهرة زرقاء مضعلعة صغيرة , أخرج علبة صغيرة من جيبه ووضع بها أسيرة الجثة لمدة عشرون عاماً. جلس مرة ثانية وبدأ يسد الفتحة التى أحدثاها بالكفن, نادت مريم فى هذه الأثناء أن حمزة يطلب أن يدخل, نهض نزار مسرعاً مشيراً لها بالموافقة, دخل الدفان حمزة ومريم وطلب من نزار أن يساعده في حمل الجثة ووضها في اللحد, أمسك كل واحد منهم بطرف ورفعوها وأدخلوها وبدأ حمزة يغلق فتحة اللحد في البناء, استغرقت عملية الدفن الجديدة نصف ساعة حتى انتهى كل شئ. خرجوا من السرداب وركبا في السيارة وعاد نزار يقود السيارة وتجلس بجانبة مريم والعجوز تجلس في الخلف متباكية مرددةً سامحني ياولدي فهذه أمانة يجب أن ترد إلى أصحابها, بعد نصف ساعة وبعد أن إنتهت العجوز من بكائها على ولدها ساد الصمت في السيارة المتجهة نحو بغداد قررت مريم أن تكسر هذا الصمت .

- ماهى خططك يانزار بعدما حصلت على الجوهرة ؟

- الآن سوف أختفي عن الأنظار وبعدها أساوم ناصر أن يقدم دليل براءتي مقابل الجوهرة.

- لكن يانزار أنا سمحت لك أن تعبث بجثة ولدي مقابل أن يعود الحق إلى أصحابه وتثبت براءة ولدي لا لتسلم الجوهرة إلى قاتل ولدي.. قاطعته العجوز.. هذة الجوهرة

التي بين يديك الآَن فقد ولدى حياته بسببها, فلو أعطاها لناصر لكان اليوم حياً يرزق, أتريد بعد كل الذي عمله ولدي والمشقة التي تعرضت لها أنا أن تسلم الجوهرة إلى ناصر ؟! سألت العجوز مستنكرة .

- كلا يا أم فارس لقد فهمتيني خطأً..أجاب نزار موضحاً.. أنا سوف أصنع كمين لناصر لأنه ورطني ورطة كبيرة ويجب أن يدفع الثمن. وبينما هم مشغولين في الحديث ونزار مشغول بقيادة السيارة إذا باتصال من ناصر, فوجىء نزار لكنه لم يتردد فى الإجابة عليه :

- نعم ياناصر ماذا تريد؟ فأنا مشغول .

- أعلم أنك مشغول يا نزار في قيادة السيارة وكنت تنجز مهمة صعبة جداً, لماذا لم تخبرني أنك سوف تنفذ المهمة اليوم؟ لكن أحسنت, كيف تمكنت من تجنيد أم فارس؟ كيف خطرت على بالك بأن تحول جثة فارس من مكانه القديم إلى مقبرة وادي السلام؟

- ماذا تريد الآن يا ناصر؟ سأل نذار متلعثماً من هول المفاجأة, قلت لك أنا الآَن مشغول سوف أتصل بك عند وصولي إلى الفندق .

- لا أريدك أن تتصل بي, هناك رجلان ينتظرانك في بوابة بغداد بجانب سيارة مرسيدس, أعطي الجوهرة لهما وتكون قد إنتهت مهمتك, وسوف أرسل لك الخمسين الف يورو في حوالة إلى أحد المكاتب القريبه منك في بغداد كما سبق وإتفقنا .

- آسف ياناصر, لن أسلمك الجوهرة إلا حين أستلم الحوالة بالمبلغ كاملاً, فما هو الضمان إذا انا سلمت الجوهرة أنك لا تخدعنى؟

- لا يوجد أي ضمان أيها الغبي..قالها ناصر بحدة.. لديك فرصة لتسليم الجوهرة إلى الرجلان وإذا لم تسلمها سوف يأخذاها منك بالقوة دون أن ترى سنتا واحداً مني, هذه فرصتك الأخيرة .

- لقد تجاوزت الخط كثيراً ياناصر.. رد نزار بثقة.. تصفني بالغبي؟ إذا لاتوجد جوهرة وإن كان رجالك أذكياء إرسلهم لي, أريد أن أعرف كيف سوف ينتزعون الجوهرة مني. قالها وأغلق دون أن يعطيه فرصة للرد .

مزيج من القلق و الخوف مسكوب عليه كثير من الإندهاش كان هذا شعور الثلاثة .

- كيف ستتصرف الآن؟ سألت مريم.. إلى أين ستذهب؟ فهم يعرفون عنوان داري ودار أم فارس وبالتاكيد يعرفون في أي فندق تقيم.

- عند دخولي إلى بغداد سوف أراوغهم وسوف أذهب إلى منزل نوال لكي أختبئ لديها.

- من نوال؟ ومن أين تعرفها؟ وكيف تعرف عنوان دارها؟ وما هذه الثقه التي تتحدث بها عن مبيتك في دارها؟ توالت أسئلة مريم توضح مدى الفزع والغيرة لديها .

إبتسمت العجوز ونست همومها من الغيرة التي نشبت في صدر مريم وحقدها على تلك الفتاة التي حتى لم ترها, أعجبتها غيرة مريم وأحبت أن تزيد من غضبها فقالت إهدئي يا مريم لماذا أنتي غاضبة إلى هذا الحد؟ فالرجل الذي يبات مع إمرأة تحت سقف واحد فلا معنى لها سوى أنها عشيقته أو زوجته

تعجب نزار مما تقوله تلك العجوز.. هل هذا ما تمكنتي من أن تقوليه؟ سألها لائماً.. أتوسل إليكي أن لا تتكلمين حتى أشرح لكم الوضع, أنتي بكلامك هذا ترمين على النار الحطب لكي تشعليها .

- إذن فسر لي يا عاشق نوال الولهان ماهو حكم مبيتك في دارها بكل تلك السهولة؟ هيا تكلم وفسر لنا ..سألت مريم بغضب تصرخ في أذنه والعجوز تتابعه وتضحك .

- أرجوكي يامريم أن تسمعيني دون عصبية..قال متوسلاً.. نحن الآن في وضع لانُحسد عليه, إن نوال هذه أنا لا أعرفها تماماً ,لكن التقيت بها في مطار أبو ظبي وتعرفت عليها وهي أصلاً لا تسكن في فرانكفورت بل في السويد, هي هنا الآن في عمل وتسكن وحيدة في منزلها, فأنا قلت أن أذهب وافهمها باني في خطر حتى توافق أن أبات في منزلها. هذا كل ما حدث ,لماذا إذن هذا التعصب وكل تلك الإتهامات؟

- سوف أصدقك هذه المرة فقط, لكني أشك بك, وسوف نتكلم في هذا الأمر بعد أن تُنهي تلك المصيبة التي أنت واقع فيها .

دخلوا بغداد دون أن يغير نزار طريقه, بدأ يراقب السيارات التي تسير خلفه فلم تكن سيارة من تلك السيارت تتبعه, توقف في أحد الأماكن المزدحمة لكي تذهب مريم والعجوز. وهو إستاجر سيارة أجرة إلى أحد الأماكن وبعد وصوله إستاجر سيارة أخرى إلى حي الجامعة حيث تسكن نوال. ظاناً أن من يراقبه لم يستطيع اللحاق به, إتصل بنوال وهو بسيارة الأجرة, أخبرها انه قادم إلى منزلها حسب الإتفاق فرحبت به وأخبرته بانها تنتظره .

وبينما هو يفكر بداخله أنه اصطاد عصفوران بحجر واحد, فنوال تظن أنه قادم إليها حتى يساعدها لكنها لا تعلم أنها تقدم له خدمة كبيرة. بدأ يفكر أن يجد طريقة لكي يستطيع أن يبقى في دارها عدة أيام حتى وصل إلى المكان المطلوب ونزل من السيارة واتجه نحو دارها, وقبل أن يطرق الباب فتحت الباب .

- لقد كنت واقفه خلف الباب أنتظرك..قالتها بإبتسامة عريضة.. دخل إلى البيت وهو ينظر إلى الملابس المغرية التي كانت ترتديها وملامح جسدها الذي ظهر خلف

ملابسها الشفافة, تضع الزينة على وجهها وكأنها ذاهبة إلى حفلة داخلية ليلية, إحمر وجهه بعد مادخل وفكر لو كانت مريم تدري أن نوال في هذه الصورة وأنها بمفردهما لقتلته في الحال. إنتفض كمن لسعه عقرب محاولاً أن ينسى مريم قليلا ويركز في هذه الفتاة الجالسة أمامه .

- هل أحضر لك سجادة الصلاة مثل المرة الماضية؟..سألت ضاحكة.. أم لديك قرار آخر؟

- قرار آخر مثل ماذا يانوال؟ أنا هنا كي نلتقي بالرجل صباحاً .. ألم تقولي هكذا؟

- هذا صحيح, لكن مازال الوقت مبكراً والليل طويل, لنجلس نتكلم في أمور الحياة.. قالتها مقتربة نحوه.. وقبل أن يلامس جسدها جسمه إبتعد مذعوراً .

- أرجوكي يانوال أنا أحب فتاة إسمها مريم ولا أريد أن أخونها وأقسمت بيني وبين ربي ألا أفعل ما يخالف شرعه فارجوكي إبتعدي عني .

- ومن قال لك أنك سوف تخالف شرع الله؟ أنت سوف تحي سنة الله ورسوله .

- ماذا بك يانوال؟ كيف أحي سنة الله ورسوله وأنتي تطلبين مني شيئ يخالف شرع الله ورسوله؟

- كنت متوقعة أنك أذكى من هذا بكثير يانزار .. ألم تسمع بالزواج المنقطع أيها المؤمن؟.. سألت مستنكرة.. مابك؟ سوف نتزوج زواج مقطع الليلة وكل واحد يذهب في حال سبيله!

إحمر وجه نزار وظل صامتاً أمام هذا العرض المغري الذي لا يُفوت, هذه فرصه لكي يبقى معها في الدار لكي ينهي المشكلة التي وقع بها .

– ولماذا ليلة واحدة؟ سأل نزار.. إجعليها ليلتان , ثلاث ليال, والأفضل أن تجعليها كل فترة إقامتي في بغداد .

نهض نزار وقال إذن لنضع الصيغة الشرعية لزواجنا المنقطع وندخل.

إتفقا على صيغه شرعية ,كتبها في ورقه ووضع مقدم ومؤخر بسيط ودخلا ليدخلا سوياً عش الزوجية ويتمتعا بليلة سعيدة !

الفصل العاشر

(أمل ضائع)

1

كان ستار النافذة مكشوفاً وأشعة الشمس تقتحم بقوتها غرفة النوم تسطع في عيناه, بدأ يتقلب يمينا ويسارا حتى أزعجته, إضطر إلى النهوض رغم إحساسه الشديد بالنعاس وإرهاقه بسبب السهر ونوم العسل مع نوال, نظر إلى الساعة الجدارية ليجدها تشير إلى الحادية عشر وخمسة عشر دقيقة, فوجئ وشك بأن الساعة الجدارية لا تعمل بشكل جيد, نظر بجواره إلى السرير فلم يجدها, ظنها في المطبخ أو الحمام, توجه إلى هاتفة المحمول فوجده مغلقاً, فتوقع أن يكون فرغ من الشحن, ذهب إلى صالة المنزل لكي يطلع على الساعة فوجدها في نفس التوقيت.

- الساعة صحيحة إذن.. أخبر نفسه.. لماذا إذن لم توقظنى نوال مبكراً لكي نذهب لمقابلة الرجل؟ ألم تكن على موعد مهم ويجب أن تقابله؟ بدأت الأفكار تراوده, إلى أن اكتشف الفخ... الخدعة التى سقط فيها.. نوال لم تكن على أي موعد وكانت مخططه إلى هذه الليلة لكي تقضيها معه, بدأ ينادي نوال نوال فلم تجبه, بدأ يكرر نداؤه فلم يصله أي رد منها, توجه إلى المطبخ فلم يجدها, بدأ الشك يراوده هل من المعقول ذهبت إلى مقابلة الرجل بمفردها بعد أن رأته متعباً من السهر؟ بدت فكرة غير مقنعة, استمر بالبحث عنها في كل أرجاء المنزل فلم يجدها, عاد إلى غرفة النوم والتقط هاتفه وبدأ يبحث عن شاحن كهربائي ليشحن الهاتف فلم يجد شاحن من أي نوع. بدأ الملل والتعصب عليه ..كيف إذن تشحن هاتفها؟ سأل غاضباً.. توجه نحو خزانة الملابس فتحها فلم يجد أي ملابس معلقة, بدأ بالبحث عن أي متعلقات خاصة بنوال حتى تذكر الحقيبة التي كانت تحملها في المطار عند السفر فلم يجدها, ضغط على زر

تشغيل هاتفه يترجى أن يجد من الطاقة مايكفيه إلى إجراء مكالمة ليتفاجىء بأن الهاتف يحتوي على اكثر من ستون في المئة , إذن الهاتف أغلق بفعل فاعل, إتصل فوراً على نوال فوجد أن هاتفها مغلق, أصابه الذعر عندما تذكر إنه اتصل بها من هاتفه ليلة الأمس ليخبرها أنه قادم, فان هاتفه مراقب من قبل أتباع ناصر, انتظر قلقاً هل عرفوا العنوان واختطفو نوال؟ لكنه إستبعد الفكرة إذ كيف تُخطف وجميع حاجياتها غير موجودة؟ تذكر الجوهرة فذهب مهرولاً مذعوراً نحو ملابسه لكي يتفقدها, إلتقط ملابسه وبدأ يتفحها فلم يجد علبة الجوهرة! صُدم كثيراً وبدا يتفقد الأرض لعلها سقطت على الأرض فلم يعثر عليها, جلس على الأرض نصف واع مفكراً كيف عرفت نوال أنه يحمل جوهرة؟ وحتى إن رأت الجوهرة كيف عرفت بأنها ثمينة إلى هذا الحد لكي تغدر به وتسرقها؟ التفت فوجد ورقة على السرير, إلتقطها ليجدها رسالة من نوال :

" عزيزي نزار أنا أسفة على سرقة الجوهرة بعد المجهود الكثير الذي بذلته لكي تحصل عليها, فالمهمة المكلفه بها أنا كانت سرقتك حين تحصل عليها,لقد كلفني ناصر بسرقة الجوهرة منك بأية طريقة, أعذرني لكني كنت مضطرة على فعل ذلك مثلما كنت أنت مضطراً على الموافقة على شروط ناصر, أنت إنسان طيب يانزار فلم أرى شخص مثلك طيلة حياتي فى طيبته, لذلك سوف أوفرعليك بعض الأسئلة لأنك كنت لطيفا معي, وبما أننا لن نلتقي مرة أخرى فأعلم أنى من سكان فرانكفورت, وكنت معك على نفس الطائرة التي أقلعت من هناك إلى أبو ظبي,كانت تلك خطة ناصر, وإطمئن لايوجد هناك أي شخص يراقبك في بغداد سواي, لكن ناصر صور لك أنك مراقب من أشخاص كثيرين حتى تتقيد في حركتك وتضطر أن تلجأ إلى, إن كنت تسأل كيف

كان ناصر يعرف مواعيدك عندما زرتني للمرة الأولى في منزلي وكانت ملابسك مبتله من مياه الأمطار وعند دخولك الحمام؟ فقد أخذت هاتفك من ملابسك وزرعت به شريحة ثانية متصله بالإنترنت تسجل جميع مكالماتك وترسلها عن طريق البريد الإلكتروني بشكل بريد صوتي, وعندما عرفنا إنك اكتشفت أن هاتفك مراقب ذهبت إلى منزل أم فارس وطرقت عليها الباب وأقنعتها أن هاتفي لايوجد به رصيد لاجراء مكالمة ولم امتلك النقود الكافية لكي أشحنه, وأنى أريد أن اتصل بأهلي وطلبت الإستعانة بهاتفها, كانت كريمة معي وأعطتني الهاتف وعند إنشغالها تمكنت من زرع الشريحة نفسها في هاتفها, فكنت أعرف التفاصيل من محادثاتك مع أم فارس وفتاة على علاقة بك إسمها مريم, وبينت لك أني على موعد مهم لكي تبات في منزلي وتجدها فكرة جيدة للهروب من الرجلين الوهميين الذان أخبرك ناصر أنهما يتبعاك, هذا كل ما في الأمر وحتى الدار لم تكن تابعه لي , إنها مستاجرة لمدة شهر واحد وأنصحك بعد أن تكمل قراءة الرسالة أن تغادر الدار, وأرجوك لاتفكر أبداً في البحث عني أو عن ناصر حتى وإن ذهبت الى فرانكفورت, أكرر إعتذاري مرة أخرى وأرجوك أن تسامحني.. صديقتك الغير مخلصة نوال".

مزق نزار الرسالة وألقاها على الأرض وبدأ يصرخ بقوة -كيف كنت مغفلاً إلى هذه الدرجة؟ كيف سأثبت براءتي من مقتل وسرقة السيد مارشال؟ وكيف ستصدقني أم فارس؟ سوف تظننى كاذباً إن قلت لها أنها سُرقت بل سوف تشك أنى متواطئ! يا إلهي ماذا سأفعل؟ ماذا أخبر مريم التى خنتها؟ماذا أفعل؟

أمسك هاتفه وفتح غطائه فوجد الشريحة الصغيرة كما أخبرته نوال, أخرجها وارتدى ملابسه مسرعاً وخرج من المنزل ليجد عدة أشخاص يقفون بالقرب من المنزل ينظرون إليه بصورة غير طبيعية, تجاهل الأمر وأغلق الباب خلفه كأنه صاحب الدار, بدأ يسير نحو الشارع الرئيسي بشكل طبيعي حتى لايشك به أحد حتى وصل إلى الشارع فاستأجر سيارة أجرة بسرعة إلى المدينه التي تسكن بها أم فارس. إتصل بمريم فلم ترد فكرر الإتصال فرفضت الإجابة , قلق كثيراً لكن تذكر أن مريم متصوره أن المهمة لازالت قائمة ولازال هاتفه مراقب, أرسل رسالة أخبر به مريم أن ترد على الهاتف فكل شيئ قد إنتهى, كرر الإتصال فردت

- مابك يانزار كيف تتصل بي علي من هاتفك وأنت تعرف أن هاتفك مراقب؟ وكيف تقول كل شيئ قد إنتهى ؟

- إسمعي يامريم لقد انتهى كل شيئ ولقد وقعت في فخ عميق إذهبي فوراً الى منزل أم فارس أنا ذاهب إليها وسأخبركما بكل شيئ عند وصولي .

بعد دقائق وصل نزار إلى أمام دار العجوز لكن لم يطرق الباب فقد فضل أن ينتظر مريم كي يدخلوا سوياً, وبعد وقت ليس بالطويل وصلت مريم وسألته عما جرى فلم يجبها حتى دخل إلى منزل العجوز, وبعد أن جلسوا طلب من العجوز هاتفها, أخذه وفتح غطائه وأخرج الشريحة التجسسية فتفاجئ الجميع من هول الصدمة. أخبرهم بكل شيئ لكن لم يذكرمسألة نومه في فراش نوال حتى نهضت مريم متضايقة غاضبة .

- إسمع يانزار, أنت كنت نائم في العسل مع نوال حتى استغفلتك وسرقتك.. أنت شخص خائن خال من المصداقية, فلو كنت حذراً ولم تنصاع إلى شهواتك لما وصلنا إلى

ما نحن فيه الآن, لقد إتبعت شهواتك وملذاتك وخنتني.. إسمعني جيداً من اليوم فصاعداً لا أعرفك ولاتعرفني, ولاتحاول أن تكلمني وحتى إن رايتني في يوم من الأيام لا تحاول حتى النظر إلي. كل هذا إنتظاري وصراعي مع مرارة الحياة من أجلك لم يكن في محله وكنت على خطأ كبير حين وثقت بك, ليتني سمعت كلام أمي وتزوجت عندما تركتني لكان لدي عائلة الآن. كانت محقة عندما قالت الإنسان المستعد أن يضحي بك مرة سوف يضحي بك ألف. قالتها والدموع تملأ عينيها وأخذت حقيبتها وتأسفت من العجوز وهمت مسرعة بالخروج .

نظر نزار إلى العجوزمنتظراً أن تشن عليه حرباً من الكلمات مثلما فعلت مريم فخسارتها أكثر من مريم , والشيئ الوحيد الذي كان من الممكن أن يثبت براءة ولدها أمام صاحب محل المجوهرات قد ضاع بسبب إهماله, لكن العجوز ابتسمت في وجهه وقالت

لاتقلق! فنحن نريد شئ والله يريد شيئاً آخر فالله هو الذي يدبر الأمور من عنده, أنا كنت أتمنى أن أعلن براءة ولدي أمام كل الناس, لكن لم يكن هذا أهم شيء لدى, لقد اطمئن قلبي وولدي الآن برئ أمام الله وأمامي وهذا ما يهم بالنسبة لى, وأنت كنت السبب فأنا واثقه جيداً في تربية وأخلاق ولدي, لكن كانت تزاولني أحيانا الشكوك بأن ولدي قد أغره المال وإشترك في تلك الجريمة النكراء! لكن بعدما أخرجت تلك الجوهرة من جسده, إطمئن قلبي ولايهمني بعد كلام الناس, وأنا عند وعدي, لقد قلت لك إن استطعت أن تثبت براءة فارس سوف أعطيك المنزلين الذان أمتلكهما وانا جاهزة.

- لكن أنا لم أستطع أن أكمل المهمة وأنا في إنتظار مافيا تريد أن تنتقم مني وتستطيع أن تصل لي فى أى لحظة.

– لاتفكر, لها مدبر ياولدي. قالتها بود.. سوف أعطيك مبلغ من المال كي تشتري بعض الهدايا إلى عائلتك وتذهب وتخبرهم أنك قد عدت من السفر ولم تخبرهم كى تعمل لهم مفاجئه وأنك أنهيت عملك في أوربا. إذهب إلى عائلتك لكي يفرحوا بك وأنا ساجهز لك كل شيئ بخصوص المادة لكي لايذهب تعبك سدى أمام أهلك .

شكر نزار العجوز على ثقتها به وخرج من دارها وأجرى مكالمة هاتفيه مع الدكتورة ريم

- الو .. كيف حالك يادكتورة؟ أريد مقابلتك اليوم .

- إسمع يانزار لقد إتصلت بي مريم وشرحت لي كل شيئا, أنا قلت لك منذ البداية إن كانت نيتك غير سليمة فلا تجعلها تقابلك وتكسر بقلبها, أنت بعملك هذا تسببت لها بجرح آخر, فارجوك حاول أن تنساها وأن تنساني, وأنا سوف أحاول بقدر الإمكان أن أجعلها تنساك وأن تكمل حياتها بشكل طبيعي .

أغلقت الهاتف مباشرةً بدون أن تنتظر منه أي رد .

جلس نزار على أحد الأرصفه نادماً عما فعل, بدأت دموعه تسيل على خده كطفل صغير فقد أمه. فكر أن ينفذ ماطلبت منه العجوز بأن يذهب إلى عائلته وأن يدخل على قلبهم السرور, لكن لم يستطع أن يذهب لهم اليوم بسبب ملامح وجهه البائسة. نهض وذهب إلى الفندق الذي يقيم به لكي يقضي الليله بسلام دون أن يراقبه أحد.

توجه صباحاً بعد ما أنهى حسابه في الفندق آخذاً حقيبته إلى السوق, إشتري بعض الهدايا والملابس إلى عائلته ثم حاول الإتصال بمريم كمحاوله أخيرة للإعتذار, لم ترد عليه وحين كرر المحاولة بدأت ترفض الإتصال, عاد القلق يرتسم على ملامح وجهه ,لكنه لم يتملكه اليأس, إستأجر سيارة أجره لكي تقله إلى دارهم في مدينة الحرية, وبعد وصوله إلى الدار والحقائب تملأ السيارة مما لفت إنتباه من في زقاقهم حتى نزل وطرق الباب. بعد عدة لحظات خرجت شابة لم يعرفها ولم تعرفه شك بأنها زوجة اخيه الأصغر .

- السلام عليكم .

- وعليكم السلام .

- أليس هذا منزل السيد عبد المجيد أبو نزار؟

- نعم هذا هو منزله .

- أنا نزار إبنه الأكبر .

تفاجأت الفتاة فعلى حد علمها أن نزار في المانيا وحالياً في رحلة برية, ظلت تدقق بملامحة حتى عرفته من خلال الصور القديمة له بالمنزل, رحبت به وعرفت نفسها بأنها زوجة أخيه الأصغر, نادت على أفراد الأسرة فخرجوا مبهورين, بدأ التقبيل والأحضان والبكاء لعودة الإبن الضال, بدأت شقيقته بلم أهله حتى بدأوا يتجمعوا من في الزقاق, منهم من يعرفه ومنهم من لم يعرفه ,بعد إنتهائه من السلام والتحية دخل وجلس وسط عائلته فهرول إليه طفلان صغيران لم يعرفهم حتى عرفه أخيه بأنهما ولداه, بدأ نزار يقبلهم وهم ينادو له "عمو", فاض حنينه وشعر بحجم الأعوام الطوال التى قضاها

غريباً وحيداً, مرت الأيام هدراً فلو أن بقى في بلده وتزوج من الفتاة التي أحبها لكان الآن قد كون عائلة مثل أخيه, بدأ يتحاور مع عائلته فوجد أن وضعهم قد تحسن عن السابق بكثير فأخيه قد أكمل دراسته الجامعية وهو الآن موظف في وزارة التعليم العالي وميسور الحال. ظل عند أهله عدة أيام لايعرف ماذا يفعل وكيف سيواجه مصيره أمام إنتقام زوجة السيد مارشال, وكيف ستصبح صورته أمام اهله عندما يعلمون أن إبنهم الذي تركهم احدى عشر عاماً ليكون نفسه .. عاد اليهم مجرماً! لم ييأس من محاولة الإتصال بمريم والدكتورة ريم ولكن دون جدوى فكل إتصالاته ذهبت سدى, وكل رسائله أيضا لم تغير شيئ من القرار الذي إتخذته مريم بحقه بعدما خانها مع نوال..من يستطيع أن يلومها؟ قالها محدثاً نفسه .. بعد عدة أيام فكر أن يتصل بأحد أصدقاؤه في فرانكفورت وبعد أن إتصل وقال بأنه نزار, فوجيء بموجة غضب شديدة من صديقه .

- أين أنت يارجل ؟ هل أنت في العراق؟

- نعم أنا في منزل العائلة .

- يجب أن تختفي عن الأنظار فقد سافرت السيدة صوفيا زوجة المرابي مارشال إلى العراق كي يقتلوك وهم يعرفون أنك تسكن في مدينة الحرية, وهم الآن في إسطنبول, يجب أن تغير مكانك حتى وإن بقيت في بغداد, هم لايوجد لديهم المعرفه الكافية داخل بغداد .

أغلق نزار الهاتف مذعوراً كيف سيفلت من قبضة تلك المافيا؟ وكيف يترك منزل عائلته بعد أن فرحوا بعودته؟ إتصل فوراً بأم فارس وطلب منها أن يقيم بمنزلها عدة أيام

فوافقت وسُرت به, وبعد أن أنهى إتصاله جمع عائلته وأخبرهم أنه يجب أن يسافر غداً لكي ينهي بعض المتعلقات, حزنوا كثيراً , لكن وعدهم بأنه لن يتأخر عليهم , وفي اليوم التالي أخذ حقيبته وكأنه مسافر إلى المانيا, لكن فى الحقيقة كان ذاهباً إلى منزل أم فارس. أدرك نزار أن المسافات قد لا تكون الفاصل الأكبر بيننا..فبينما هو فى بغداد وبجوار عائلته, أصبح يفصله عنهم عاراً وخيانة وقتيل وزوجة رجل من المافيا تسعى إلى قتله!

الفصل الحادى عشر

(مفاجأة غير متوقعة)

1

أعلن مساعد قبطان الطائرة العراقية هبوطها فى مطار فرانكفورت في تمام الخامسة فجراً, بدأ المسافرون يتدفقون منها بعد رحلة طويلة من بغداد, نزلت هند وأُكملت جميع الإجراءات اللازمة, استلمت حقائبها وعند خروجها لم يكن هناك أحد باستقبالها, استقلت سيارة أجرة إلى شقتها القديمة متلهفة للقاء إبنتيها, طفلتيها اللتان لم يعد من حقها أن تحتضنهم بعد قرار المحكمة بضمهم إلى والدهم ذو الجنسية الألمانية, وصلت وأنزلت الحقائب وبدأت تصعد على السلم حتى وقفت أمام باب الشقة متمنية أن تفتح لها الباب إحدى ابنتيها, قامت بطرق الباب ليفتحه بعد لحظات ذلك الذى قضت معه أسوأ أيام حياتها, دخلت إلى الشقه لتفاجئها رائحة المشروبات الكحولية, رأت الطاولة التي امتلات بعلب البيرة وبقايا الطعام ,بقايا حفلة مع أصدقاؤة الفاسدين كالعادة,

- أين بناتي ياناصر؟ إلى أين ذهبت بهن؟ صرخت فى وجهه .

- لاتخافي تركتهما مع إحدى زميلاتي في العمل .

- أى عمل لديك أنت أيها المومس؟

- الم تقولي علي مومس؟ اذن بناتك مع أحدى زميلاتى المومسات أيضاً .. قالها ساخراً

- هل أنت مجنون؟ تترك إبنتان صغيرتان مع مومس؟ هل فقدت عقلك أم بدأت تخرف؟

تقدم ناصر ووضع يده على كتفها لكي يمتص قليلاً من غضبها, أزاحت يده بسرعة كى لا يلمسها مما أغضبه :

- ماذا بكي يا هند؟ أم يجب أن أناديك نوال كما تخبرين الناس؟ لماذا تدفعيني؟ أنسيتي أنني زوجك؟

- قلت لك مائة مرة "كنت", كنت زوجي, أنت الآن مجرد طليقي, طليقي الذى لا أطيق حتى أن أنظر في وجهه .

- كفى كفى لا تصدعي رأسي, أين هي الجوهرة ؟

- آسفه ياناصر, لا جوهرة دون تنفيذ طلباتي .

- وما هي طلباتك ياهند؟

- لن أسلم لك الجوهرة حتى تسلمني بناتي, وتصريح السفر الخاص بهن .

- لقد عملت لك تصريح السفر بإسمك لكي تصطحبيهن معك في السفر, مباشرةً وبمجرد أن اتصلتي بي وأخبرتني أنكي سرقتي الجوهرة من نزار.

– حسناً, أستلم التصريح وأكون أنا وبناتي في المطار, وقبل إقلاع الطائرة بساعة أسلمك الجوهرة, أنا لا أثق بك .

بعد عناد وشد وجذب بين ناصر وهند كقطبين متنافرين, فقد ناصر سيطرته على أعصابه وإنهال عليها بالضرب المبرح حتى سقطت على الأرض مغشياً عليها, بدأ يفتش بحقائبها فلم يجد شيئاً, إتجه إلى ملابسها وبدأ يفتشها قطعه قطعه دون جدوى, مزق ملابسها ففتشها كلها حتى في ملابسها الداخلية التي ترتديها وبعد أن عجز عن إيجادها ووجدها قد استفاقت قليلاً, أعاد الضرب بقوة يريدها أن تعترف .

- لاتحاول..قالتها بوهن من كثرة الضرب.. الجوهرة ليست معي, لقد خبئتها في مكان في المطار, وأنا الوحيدة التى تستطيع الوصول إليها.

- أنتي غبية..قالها كالمجنون.. قد تضيع الجوهرة! كيف تتركيها في المطار؟ كيف؟

- إذن أسرع وأعطني بناتي فأعطيك الجوهرة وينتهي كل شيئ.

نهضت بملابسها الممزقة وجلست منهكة على أحد الكراسي وآثار الضرب تشوه من ملامحها.وضعت يدها كي تغطي صدرها فنظر اليها بغضب .

- هل تخجلين منى أن أرى جسدك ولا تخجلين من رجل غريب قضيتي معه ليله كاملة؟!

- إخرس أيها الحقير, نزار أشرف منك..قالتها بقوة لا تليق بحالة الوهن التى فيها .

- أتريدين أن تقنعيني أنك جلبتي الجوهرة دون أن تخدعي نزار وتنامين معه؟ على كل حال هذا لايهمني, فأنتي لاتهميني بشئ .. قومي غيري ملابسك وخذي حقيبتك وعودي للمطار وأنتظريني هناك, سوف أجلب لكي الطفلتين وأنتي تحضري الجوهرة وننتهى من هذا العبث.

دخل ناصر وغير ملابسه وأخبرها بأنه سيكون بعد ساعة في المطار. نهضت نوال مترنحة كالثمل وغيرت ملابسها ومحت آثار الضرب على وجهها بالمكياج, أخذت حقيبتها وذهبت إلى المطار تنتظر طليقها ناصر لكي يجلب لها بناتها. بعد إنتظار طويل سمعت صوت ينادي ماما التفتت فوجدت إبنتيها تهرولان نحوها, إتجهت نحوهما واحتضنتهما وبدأت بالبكاء حتى نادى عليها ناصر.

- هل أحضرتي الأمانة ؟ سألها متعجلاً . هزت إليه رأسها تشير بأنها موجودة, إتجه نحو مكتب الحجز في المطار لكي يحجز لهم تذاكر العودة إلى بغداد, وبعد أن عاد أخبرها أنه لم يجد حجز اليوم إلى بغداد فحجز إلى اسطنبول وعندما تصل هناك تذهب إلى بغداد .

- لكن لاتذهبي إلى بغداد حتى أعطيكي الضوء الأخضر..قالها محذراً. سلمها التذاكر وتصريح السفر للأطفال فوضعت يدها في فمها وأخرجت اللبان وبدأت فى تصفحه , أخرجت الجوهرة من اللبان مسببة دهشة لناصر من ذكاءها .

- أنتي تفكرين بنفس طريقة فارس منذ عشرين عاماً.. أخبرها بنبرة إعجاب .

أخذ الجوهرة وأخذت بناتها وإتجهت نحو صالة المغادرة, خرج من المطار والجوهرة بين يديه يخاف أن يضعها في اي مكان خشية أن تضيع, شعر ولو أن كل من حوله ينظرون إليها ,كان فرحاً يمتدح نفسه وذكائه, كيف إستطاع أن يجند اشخاص يجلبون إليه الجوهرة بدون أن يذهب إلى بغداد وعلامات المفاخرة ترتسم على وجهه.

2

أحلام كانت تراودة منذ عشرون عاماً بدأت تعيد عرض نفسها كشريط سينمائى

- الآن سوف أكون من أغنياء فرانكفورت بعد صبر دام عشرون عاماً.. قال ناصر محدثاً نفسه. عاد إلى شقته وإتصل بأحد سماسرة الآثار الذين يعرفهم .

- كيف حالك ديفيد؟ أريد أن أراك بخصوص شيئ مهم جداً.

- أنا مشغول هذه الأيام,عندما يصبح لدي الوقت الكافي سوف أتصل بك. قالها وهم بإغلاق التليفون

- ديفيد . ديفيد , إنتظر قليلاً ..قالها متعجلاً.. أنا الآن من لديه شئ من إختصاصك وأريدك أن تجد لي زبون أن يشتريه.

- ماذا يوجد لديك؟

- لدي جوهرة عراقية تعود إلى احدى الملكات الآشورية, إنها جوهرة فريدة من نوعها ولاتقدر بثمن.. قالها بثقة .

– إممم .. فكر الرجل, إن كنت صادقاً في كلامك وإذا كانت فعلاً جوهرة آشورية فعلاً. فمن الصعب أن أجد لك زبون يشتريها فسيكون ثمنها ملايين الدولارات .

- نعم إنها لاتقدر بثمن , قالها ناصر وعلامات البهجة ترتسم على ملامح وجهه .

- إسمعني جيداً ياناصر, قبل أن أجد لك زبون ستكون عمولتي خمسة في المائة, وأنا أنتظرك في مكتبي غداً الساعة العاشرة صباحاً , سأكون في إنتظارك .

أغلق ناصر الهاتف ولم يهتم للنسبة التي حددها ديفيد, فإنها لاتؤثر على المبلغ الذي سوف يستلمه, ذهب إلى فراشه لكي ينام , لكن لم يستطيع بسبب تفكيره في الحياة التي تنتظره والمشاريع التي سوف ينجزها. بدأت آلاف الأفكار تدور في ذهنه حتى الصباح فلم يغمض له كل جفن, نهض وإرتدى ملابسه وذهب إلى ديفيد قبل الموعد ليجد مكتبه مازال مغلقاً, إنتظره حتى وصل وفتح باب المكتب ودخلا سوياً وجلسا. قام ديفيد بغلق الباب حتى لا يدخل أحد ويقطع إتفاقهم. بدأ ديفيد بفتح الخزنة وأخرج منها عدة الفحص الخاصة به وكأنه طبيب جراح .

- إسمع يا ناصر, جوهرة ثمينة وأثرية هكذا لايمكنني أن أفحصها لوحدي, مبدئياً سوف أفحصها فحصاً دقيقاً , لأتأكد من سلامتها, واليوم ليلاً سوف يحضر إلى هنا شخص مختص في الآثار العراقية ليكمل الفحص. إن صحت أقوالك وإتضح أنها فعلاً أصلية سوف نعلنها على الناس المختصين في الآثار لنعرف إلى أي ثمن سوف تصل .

- موافق.. أجاب ناصر.. لكنني متأكد من سلامة تلك الجوهرة, لكن إفحصها كي يطمئن قلبك . قالها ناصر مخرجاً الجوهرة . أعطاها إلى ديفيد الذى فور أن رآها تركها تسقط على الطاولة متسبباً فى غضب ناصر.

- ماذا بك ياديفيد؟ قالها غاضباً.كنت ستعرضعها للكسر أو الفطر المفروض أن تكون أكثر انتباه .

- إسمع ياناصر, قالها مبتسماً, أنا أعمل في مجال الآثار منذ ثلاثين عاماً فيجب أن لا تمزح معي مثل هذا المزاح وتضيع وقتى.

- كل ما قلته لك لأنك يجب أن تنتبه, لماذا كل هذا الكلام ؟

- ناصر إنك إما غبي أو أنك تصطنع الغباء حتى توقظنى مبكراً وتضيع وقتي بأنك تملك جوهرة آشورية أثريه وتجلب لي زجاجه تستعمل فى خواتم الأطفال .

- أي زجاجة؟ ماذا تقول؟ قالها ناصر كالمسعور, أرجوك إفحصها جيداً , أنا متاكد أن تلك الجوهرة أصلية .انا أعرف الجواهر والماس من بعد خمسة أمتار.. قالها واثقاً.. فلا تعلمني عملي وتأخذ من وقتي أكثر من هذا أرجوك, خذ زجاجتك وأخرج فإني على موعد مع أشخاص غيرك .

أخذ ناصر جوهرته المزيفة وبدأ يضرب على وجهة متسائلاً أين إذن الجوهرة الحقيقية؟ لابد وأنها اللعينة هند أخذتها وإستبدلتها بأخرى مزيفة وإلا لما أصرت أن تسلمني الجوهرة في المطار كى تهرب.

3

إستقل ناصر سيارة أجرة إلى الشقة وأخذ جوازه وأحضر حقيبته وذهب إلى المطار فلم يجد حجز إلى اسطنبول في نفس اليوم, أقرب حجز بعد ستة عشر ساعة..قالها عامل الإستعلامات.. إضطر أن يحجز وينتظر الموعد كالمريض الذى ينتظر نجاته فى غرفة العمليات, صعد إلى الطائرة بعد إنتظار طويل متجهاً إلى اسطنبول, لم يكن عنده فكرة كيف سيعثر على هند في اسطنبول,هي ليست مغفلة كي تقيم في فندق معروف, لكن لم يكن قلقه من ناحية الفندق بل كان يخشى أن هند عندما هبطت في مطار اسطنبول وجدت حجزا وسافرت إلى بغداد فوراً, بعد عدة ساعات مروا عليه سريعاً لكثرة تفكيره, نزل فى مطار اسطنبول. فكر أن يتصل بها عن طريق الإنترنت أخرج هاتفه فوجدها متصلة بالإنترنت, إتصل بها فردت فوراً .

- كيف حالك ياهند؟

- الحمد لله أنا جيده لقد وصلت ليلة البارحة إلى اسطنبول, لكن لم أجد حجز إلى بغداد فذهبت إلى أحد الفنادق .

- في أي فندق تقيمين؟

- في فندق كوناك في لاللي .

أنهى ناصر المكالمة بعد أن سأل على طفلتيه سؤالاً عابراً حتى لا يثير شكوك هند, إتجه فوراً نحو عنوان الفندق وعند وصوله توجه نحو موظف الإستعلامات وسأله عن النزيله هند , أرشده الموظف إلى غرفتها ليتفاجأ ناصر من صدقها. فلو كانت هي التي

سرقت الجوهرة لما أرشدته إلى مكانها.. فكر ناصر.. طرق باب الغرفة فتحت الباب فتفاجأت به كمن رأى ميت يقوم .

- ماذا تفعل هنا ياناصر؟ إذا كنت تريد الطفلتان فإنسى, نحن الآن في اسطنبول ولسنا في فرانكفورت .

- الطفلتان لا تعنيان لى شيئاً, أنا أريد الجوهرة .

- أي جوهرة؟! قالتها متعجبة.. ألم أسلمك الجوهرة في المطار؟

-كانت جوهرة مزيفة ياهند, أرجوكي أن تسلميني الجوهرة الحقيقية فانا وفيت بوعدي معك ويجب انتي أيضاً أن توفين بوعدك معي .

- أقسم بالله أني لا أملك غير الجوهرة التي أخذتها من نزار, صدقني.. قالتها وملامح الخوف والقلق تبدو عليها. صدق ناصر ماقالته هند وجلس, هي ليست من طبيعتها أن تخفي ملامح وجهها, هو يعرفها عندما تكذب يظهر جلياً على وجهها. تيقن تماماً أن نزار قد كشف حقيقتها وكان يتلاعب بها بدل من أن تتلاعب به هي, وقد أبدل الجوهرة قبل أن تسرقها. دخل في دوامه من التفكير كيف سينتزع تلك الجوهرة من نزار وهو لايملك أي شخص معه في بغداد بعد الآن. خطرت على ذهنه فكره .

- هند, إفتحي جهاز الكمبيوتر المحمول وأدخلي على برنامج الشريحة التجسسية, أريد أن أسمع جميع المكالمات التي تمت بين هاتف نزار وهاتف أم فارس . - أخرجت هند الكمبيوتر المحمول بيدان ترتجفان فقد إعترفت لنزار بكل شيئ, لم تعلم أن المسألة ستصل إلى هذا الحد, ماذا يفعل ناصر بها إذا عرف أنها اخبرت نزار على الشريحه

التجسسية وأنه لايملك آي شخص في بغداد يعمل لحسابه؟ قلقت كثيراً بخصوص هذه المشكلة التي وضعت نفسها بها. فتحت الجهاز ووقف فوق رأسها وبدأت تتصفح التسجيلات.

- لايوجد أي تسجيل من الشريحة بعد أن أخذت منه الجوهرة.. قالتها هند .

– تباً..قالها بغضب, انك لم تمثلي دورك بشكل جيد حتى كشفك وتلاعب بك, لو كان يصدق كلامك لكان على الأقل شريحة هاتف أم فارس تعمل الآن .

- ماذا ستفعل إذن الآن؟ هل ستذهب إليه ؟

- كلا سوف أستعمل آخر الكروت لدي, هو يتصور بأني أمتلك أشخاص كثيرين يعملون لحسابي في بغداد, سوف أفكر في طريقة جيدة وأتصل به لكي أهدده. وأنتي لاتسافري حتى آأذن لكي , ابقي ساكنه في هذا الفندق ولا تغادريه مهما حصل.. قالها وهو يهم بالخروج. خافت نوال من رد فعل ناصر لو عرف الحقيقة. بعد أن يتصل بنزار سوف يُفضح أمرها نزار وقد تفقد طفلتيها...وربما حياتها

الفصل الثانى عشر

(غفران .. وانتقام)

1

يا إلهى كيف تستطيع أن تكون سعيدة هكذا؟ قالها نزار فى قلبه ناظراً إلى العجوز المبتسمة وهم يتناولان الإفطار, أصبح يقيم معها في المنزل ويقوم بجميع الأعمال المنزلية, يعد لها الطعام ويهتم بنظافة ونظام المنزل كما تعود فى فرانكفورت. "يبدو أن للغربة وجه مشرق فى النهاية"..فكر نزار . صحيح..فكر نزار ..مصائب قوم عند قوم فوائد, ابتسم وهو يفكر كيف أن العجوز سعيدة بوجوده معها وتريد إطالة فترة بقائة, فيما يعتبر هروبه إلى منزلها مصيبة بالنسبة لصوفيا زوجة السيد مارشال فلم تستطع أن تجده .

- ماذا تنوي أن تفعل يانزار؟ سألت العجوز قاطعة حبل أفكاره .

- لا أعرف, أجاب نزار, أنتظر أن يقدم أحد الأشخاص إلى دارنا ويسأل عني حتى أستطيع معرفة شخصيته .

- لاتستعجل يانزار في هذا القرار.. نصحته العجوز.. تريث به .

نظر إليها وهو يقول في داخله أنها تتمنى ألا تنتهي مشكلتي حتى أبقى ساكناً معها, أعد لها الطعام. قبل أن ينهى فطوره وصلته رسالة من رقم غريب, لكن يبدو أن الرقم دولي وليس من داخل العراق, فتح الرسالة وبدا يقرأ النص :

- عزيزي نزار, أنا هند طبعا أنت تتسائل من هى هند. هند ونوال هما نفس الفتاة التي تعرفت عليها وغدرت بك ولكن في الحقيقة أنت كنت أدهى وأمكر منها. لن أطيل عليك, انني بحت لك بكل تفاصيل العملية, فقد كنت أتحسب أن كل شئ قد انتهى,

لكن لم أكن أعلم أنك حريص كل هذا الحرص مع الفتاة التي سلمت لك جسدها وتقوم بتبديل الجوهرة. إن ناصر قد اكتشف أن الجوهرة مزورة, شك بي فى بادىء الأمر, الآن قرر أن يعتمد أن يهددك بالاشخاص الوهميين الذين حاول إقناعك أنهم تحت إمرته فى بغداد, ولايعلم أني قلت لك كل شيء, أرجوك عندما يتصل بك لا تبين له بأنى قلت لك على تفاصيل الشريحة وغيرها من أسرار المهمة حتى لايؤذيني وأكون مدينة لك.

تعجب نزار ولم يستطع أن يفسر ما قرأه للتو. كيف أن الجوهرة مزيفة وهو أخرجها بيده من جثة فارس؟ لاحظت العجوز تيهه وسرحانه فسألته عما به. أخبرها تفاصيل الرسالة فأخذت العجوز الرسالة ولبست نظارتها المكبرة وبدأت بقراءة الرسالة حتى انهارت من الضحك, تعجب نزار من هذه العجوز غريبة الأطوار وسألها عما يضحكها

- الذي يضحكني يانزار أن فعلاً مريم كانت محقه عندما هجرتك فأنت فعلاً خنتها.

- كلا يا أم فارس لم يحدث هذا صدقيني .

- لا بل حصل . من عبارة الفتاة التي سلمت لك جسدها .

- أنا ضعفت أمامها.. قالها مطأطئاً رأسه خجلاً .

- لاعلينا لندع هذا الأمر جانباً, إذن من بداية الأمر كانت الجوهرة مزيفة, وهذا يعني اننا نتوقع إحتمالين: الأول أن يكون الذي باع الجوهرة إلى صاحب محل المجوهرات قد غشه, والثانى أن صاحب محل المجوهرات أراد أن يغش الزبون الذي أراد أن يشتري هذه الجوهرة .

- وماذا نفعل الآن وناصر سيلاحقي ظاناً أني لدي الجوهرة الأصلية؟

- نحتاج إلى شخص يساعدنا في التفكير فأنت متوتر ولاتستطيع أن تأخذ قرار سليم, وأنا إمرأه كبيرة لا أستطيع أن أتخذ قراراً, لكن سوف نضرب عصفورين بحجر واحد. سوف نستغل موقف مريم ونجعلها تعتذر لك على شكها بك .

- كيف تعتذر هى مني؟ إنها لاترد على مكالماتي ولاتطيقني, بماذا تفكرين أنت؟

- سوف تتصل بهذه الفتاة التي تدعى نوال أو هند أو بلاء أزرق, وأطلب منها أن تغير مضمون الرسالة بأنك إنسان مخلص ولم تخون مريم أبداً .

فهم نزار قصد العجوز وإتصل فوراً بهند لكن كان الرقم الذي وصلت منه الرسالة رقم بريد وليس رقم إتصال. أرسل لها رسالة ووضح بأنه يمتلك الجوهرة وأنه لن يخبر ناصر عن التفاصيل التي كتبتها في الرسالة إن وافقت على أن ترسل له الرسالة بالمضمون الذى أراده. وبعد نصف ساعة وصلت رسالة إلى نزار وكانت بالتعبير المطلوب, رأتها العجوز وإتصلت بمريم على الفور.

2

- ألو كيف حالك يامريم ؟

- الحمد لله أنا بخير .

– مريم, أريدك أن تزوريني اليوم في البيت .

- إسمعيني يا أم فارس..قالتها بنبرة لا تخلو من حدة.. إن كان الأمر متعلقا بنزار فأنا آسفة .

- كلا الموضوع لا يتعلق به, لكن حدث أمر غريب ونريدك أن تساعدينا به, أرجوكي أنا أريدك في الحال .

- إذن سوف أكون في منزلك بعد ساعة, لكن إذا كان نزار موجوداً فليغادر, أنا لا أريد أن أراه .

هيأ نزار والعجوز الخطة التي سيقنعون بها مريم, وبعد أن وصلت ذهب نزار إلى غرفته وفتحت العجوز الباب, دخلوا وجلسوا فأخرجت العجوز الهاتف وأعطته الى مريم وقالت لقد وصلت اليوم رسالة غريبة إلى هاتف نزار ولم نستطيع أن نفسرها, نريدك أن تساعدينا. أخذت مريم الهاتف وبدأت تقرأ النص .

" أخي نزار, آسفة على ما فعلته معك بسرقة الجوهرة منك مع أنك كنت إنسان مخلص ونبيل ومحترم ونمت معي في نفس المنزل ليلة كاملة ولم تنهش لحمي ولم تغرك كل المغريات التي عرضتها عليك, لكن أنا في المقابل قدمت لك خدمة بأني اعترفت لك

بالرسالة التي كتبتها لك, بينما أنت استبدلت الجوهرة والآن اكتشف ناصر الحقيقة ,كل ما أطلبه منك هو ألا تخبر ناصر أني أخبرتك بتفاصيل مهمتى كي لايسبب لي المتاعب. شكراَ "

إحمر وجه مريم خجلاً من نفسها على شكها بنزار, دمعت عينيها وقبل أن تجهش بالبكاء قاطعتها العجوز :

- هيا إخبريني يامريم كيف نتصرف؟

- اتركيني الآَن, ماذا سأقول لنزار وكيف سأعتذر له على شكى به؟ كم أنا خجولة من نفسي!

- دعك الآَن من نزار فقد قطعتي علاقتك به وإنتهى الأمر .

– كلا ..قالتها باكية.. أريد أن أقابله, هل تدرين أين هو الآَن؟

- إنه فوق يجلس في مكتبة فارس..قالتها العجوز سعيدة بنجاح خطتها .

- صعدت مريم السلم حتى وصلت بيدان وقدمان ترتجفان , فكرت كيف سيقبل نزار إعتذارها, وهي التى رفضت الرد على مكالماته كل تلك المدة. فتحت الباب فوجدته يجلس خلف المكتب وبيده كتاب يقرأ به ولم يعير أهمية للشخص الذي دخل عليه المكتب .

- السلام عليكم, قالتها لتخرجه من حالة المبالاة . رفع عينه بدون أن يحرك رأسه ناظراً إليها بإستهزاء .

- الخائن الذي تبحثين عنه غير موجود, إبحثي عنه في مكان آخر..قالها غير مبالى .

إنفجرت فوراً في البكاء فلم يتحمل أن يكمل المشهد التمثيلي إلى نهايته. إتجه إليها مسرعاً واحتضنها وقبلها من جبينها وهو يقول كفى بكاء يامريم فنحن روحين في جسد واحد. أنتي كالشمس وأنا كالقمر ولايستطيع القمر أن يظهر جماله الى البشر من دون الشمس, نزلت تلك الكلمات على صدر مريم كالثلج الذى يُخمد النار الملتهبة .

– أرجوك أن تنسى كل ماقلته لك.. قالتها متوسلة..لاتحاول أن تتذكره في يوم من الأيام أرجوك .

- نعم يامريم سوف أنسى كل الكلام الذي وجهتيه لي فقد كان لديك كل الحق وأنا أعذرك .

نزلا سويةً من السلم لتستقبلهم العجوز مبتسمة, مذكرة مريم أن نزار إنسان مخلص وألاتفكر يوماً أنه قد يخونها فهو إنسان جيد . أشار نزار بحاجبيه إلى العجوز أن تكف عن المبالغة فى التمثيل حتى لا تكتشف مريم , حاول تغيير الموضوع فقال :

- ما تحليلك للرسالة يامريم ؟

- إنه شيئ طبيعي فى هذا المجال, فقد يكون الشخص الذي عرض الجوهرة إلى صاحب محل المجوهرات يريد أن يغشه أو صاحب المحل يريد أن يغش الزبون الذي يتعامل معه, لكن لو يعلم صاحب محل المجوهرات أن الجوهرة مزيفة لماذا كل التهم التي وجهها إلى فارس وشوه سمعته؟ هناك لغز في الموضوع لكن هذا ليس المهم, المهم أن ناصر سوف يتصل بك ويهددك بأن لديه مافيا سوف يقتلونك أو شيء من هذا

القبيل. لاتعير له أهميه وتكلم معه كأن الجوهرة معك وتريد منه دليل براءتك مقابل الجوهرة .

- هذا تفكير جيد.. قالت العجوز.. سوف نستغل الوقت كي نعرف حقيقة الجوهرة المزيفة .

- قولي لي يا أم فارس هل كنت تعرفين عنوان محل المجوهرات الذي كان يعمل به فارس؟

- انا أعرف عنوانه , لكنه بعد الحادثه قد عرض محله إلى البيع ويقولون أنه قد أفلس. إنتشرت كثير من الشائعات في حينها, لكن أنا في ذلك الوقت لم أخرج من المنزل مطلقاً .

- هل تعرفين إسمه؟ أعنى إسم صاحب المحل؟

- نعم .. إسمه جابر النجار وعنوان محله في شارع النهر .

جلسوا يفكرون فى كيفية وصولهم إلى ذالك الرجل وكيف يعرفون منه تفاصيل الجوهرة, ومن أين أتى بها؟ وبعد نصف ساعة من التفكير المستمر, رن هاتف نزار وكان المتصل ناصر, أخذ نزار نفس عميق يليق بالمواجهة القادمة وتهيأ للإجابة ثم فتح الإتصال وشغل السماعة الخارجية لكي يسمع الجميع مايدور بينهما .

- نعم, من المتصل؟ سأل نزار مخادعاً .

- هل بهذه السرعة قد نسيتني؟!

- كلا, لم أنساك, لكن ماذا تريد مني الآن؟

- هناك أمانة لديك ويجب أن تردها لي؟

- الأمانة التي أرسلت نوال لسرقتها ؟

- نعم, أريد الجوهرة التي استبدلتها وستسلمها لي شئت أم أبيت .

- لن أسلمها لك ياناصر حتى أعرف كل شيئ .

- ماذا تريد أن تعرف؟

- أريد أن أعرف من هو المجني عليه في قضية الجوهرة !

- وماذا يهمك في ذلك؟ فلا صاحب محل المجوهرات قريبك ولا فارس قريبك فلماذا تصدع رأسي؟

- أنا فضولي وأريد أن أعرف ما جرى بالتفصيل .

– حسناً.. رد ناصر بصدر ضيق.. أنا كلفني أشخاص بسرقة الجوهرة ودبروا كل شيئ, يعرفون بأن صاحب محل المجوهرات سيرسل فارس ومعه الجوهرة. أنا الذي كنت أنتظر فارس وركبت معه السيارة وفي الطريق أخرجت مسدس عليه وطلبت منه أن يسلمني الجوهرة وإلا قتلته , إستغرب من طلبي وأخرجها وقبل أن يسلمها لي إبتلعها وتوقف ونزل من السيارة وبدأ في الجري, استقليت السيارة لكي الحق به , لكنه إستمر بالجري بدون أن يتوقف, إضطررت أن أدهسه فقد كان الشارع يخلو من الناس, نزلت من السيارة فوجده ينزف , لكن لم يفارق الحياة بعد. حملته وتوجهت به

إلى السيارة ووضعته فيها , سرت بالسيارة لا أعرف إلى أين أتجه, وبينما أنا اتجول في السيارة, وجدت وسيلة إتصال بأحد الأشخاص الذين كلفوني بسرقة الجوهرة. سمعت أنفاس فارس الأخيرة المتقطعة على شكل شخير رجل نام بعد يوم مرهق طويل, وبعد لحظات ساد الهدوء في السيارة بعد أن هدأ أنينه وفارق الحياة. تذكرت بيت في محافظة الموصل ورثناه عن جدي فقررت أن أذهب به إلى هناك, البيت لم يسكن به أحد واعتبرته مثالى لأخفاء الجثة, كانت مفاتيح البيت نضعها عند الجيران, لكن صادفتني نقطة تفتيش لم أكن أتوقعها على مشارف محافظة صلاح, لم أعرف كيفية التصرف حينها, أوقفت السيارة ورميت الجثة وأكملت طريقي إلى الموصل, ومن هناك هربت خارج العراق. لم أبح لأحد أن فارس إبتلع الجوهرة تركتها كنز لي أستخرجه يوم من الأيام, وأنت يانزار تريد أن تأخذ الكعكة التى خبزتها وتعبت فيها هكذا على الجاهز ؟

- أنا لم أنقض العهد معك, أنت الذي بدأت بالغش وأرسلت أشخاص لتراقبني, ونوال كي تسرقني, إسمعني جيداً ياناصر أنا عرفت كل شيئ, عرفت أنك قتلت السيد مارشال كي تسرق جواز سفري منه, وعرفت أنك دبرت خطة ليتم توجيه التهمه إلي ولأن الشرطة الألمانيه والمافيا تبحث عني, لن أسلمك الجوهرة حتى تسلمني دليل براءتي. وأنا لا أهتم برجالك الموجودين في بغداد, فإن كنت تظن بأنهم سيتمكنون من إنتزاع الجوهرة منى فأنت متوهم .

- هذا أمر سهل, أنا لدي إثبات براءتك, فالشخص الذي أرسلته لينفذ عملية قتل السيد مارشال تم تصويره. سلمني الجوهرة وأسلمك الفيديو الذى يثبت براءتك .

- هذا قرار جيد, لكن أنا لن أسافر مرة أخرى خارج العراق, يجب أن تاتي أنت إلى بغداد وسأسلمك الجوهرة .

- أنت تعرف جيداً أنى لا أستطيع الدخول إلى العراق, ما رأيك أن نلتقي في مكان محايد؟

- أين تقصد بالمكان المحايد؟

- ما رأيك أن نلتقي فى اسطنبول؟ هو أقرب مكان بالنسبة إليك وأنا أستطيع أن أصله بسهولة.

– إتفقنا, سوف أتصل بك لاحقاً لكي أحدد معك موعد .

أغلق نزار الخط سامعاً صوت بكاء أم فارس بعد أن سمعت كيف تم قتل ولدها الوحيد على يد ذلك الخائن .

- أقسم أمامى يا نزار أن تنتقم لفارس من ذلك الشخص المحتال الحقير الذي حرمني من ولدي.. قالتها والدموع تغلبها .

- أقسم لك يا أمى بأن أنتقم من ناصر لمقتل فارس.قالها نزار وهو يجلس بجوار العجوز واضعاً يده على كتفها مواسياً لها .

- لقد أصبح الثأر ثأرين يا ناصر..قالها نزار مفكراً بصوت مسموع.. إنتظر مجيئى إلى اسطنبول.. وأعلم ان نهايتك قد أقتربت!

الفصل الثالث عشر

(الماضي يعود من جديد)

1

توجه نزار صباحاً ترافقه مريم إلى شارع النهر مستقلين سيارة الدكتورة ريم للبحث عن جابر النجار. وبدأوا مهمتهم بالسؤال عند أصحاب محال المجوهرات , لكن لم يدلهم أحد, ناداهم أحد أصحاب المحلات بعد أن بدأ الياس يدخل قلبهما, أرسلهم إلى صاحب قهوة قديمة في شارع النهر .

- هذا الرجل قديم في المنطقة ويعرف جميع أصحاب المحال القدماء.. أخبرهم مشيراً بإتجاهه.. أذهبا إليه وهو سيدلكم, إسمه صاحب الجايجي. ذهب الإثنان الى مقهى صاحب ليجدوها مقهى صغيرة تملأ حيطانها الصور التراثية وأنتيكات موضوعة على رفوف قديمة تشعرك وكأنك دخلت فجأة إلى فيلم قديم بالأبيض والأسود. صاحب المقهى رجل كهل يرتدي زي عربي ويبدو أنه يعمل بمفرده في المقهى دون عمال. إنتظرت مريم خارج المقهى ودخل نزار ملقياً السلام.

- وعليكم السلام أهلا وسهلاً..رحب العجوز .

- جئت أسأل عن صاحب الجايجي .

- لقد وصلت أنا صاحب, تفضل .

- كنت أسأل عن أحد أصحاب المحال القديمة لكن لم يعرفه أحد فأرسلوني إليك, أرجو أن تساعدني فأنا أريد مقابلته في عمل ضروري .

- وعلى من تسأل؟

- على جابر النجار .

- الله يرحمه, لقد توفاه الله منذ عشر أعوام .

صُدم نزار من هذا الخبر وفقد الأمل الأخير لمعرفة الحقيقة. ظل صامتاً حتى لاحظ صاحب صمته .

- إذا كان العمل الذي أتيت من أجله يخص جابرالنجار فجابر قد توفاه الله, وإن كان العمل متعلق بعائلته فولده نبراس مازل موجوداً .

- هل ولده كان يعمل معه أم أنه لا علاقة له بالعمل الذي كانوا يمارسونه؟

- إن نبراس كان اليد اليمنى لوالده, فجابر النجار لم يكن يخطي خطوة قبل أن يستشير نبراس .

عاد الأمل إلى قلب نزار كغريق خرج لتنفس الهواء وبدأ يبتسم إلى مريم التي تنتظره بالخارج متابعة ما يحدث .

- أنا بحاجة أن أقابل نبراس, هل تتكرم علي وتعطيني عنوانه؟ قالها متوسلاً .

- الذي أعرفه أنه يسكن في شقة في مدينة جميلة, لكن لا أعرف عنوان الشقة, لكن لدي هنا رقم هاتفه فهو يأتي من فترة إلى أخرى يجلس هنا في المقهى ليتذكر الأيام التي كان قضاها مع والده هنا في العمل في صياغة المجوهرات, يأتى بدون أن يعلم به أحد في أيام العُطل عندما تكون محال الشارع جميعها مغلقة .

- أتمنى الا يكون لديك مانع أن تزودني برقم هاتفه .

- والله ياولدي أنا لا أستطيع أن أعطيك رقمه دون الرجوع إليه, سأتصل به وأخبره فهو لايريد أن يقابل أحد له علاقة سابقة به .

أخرج صاحب هاتفه وإتصل بنبراس وبعد لحظات بدأ يتحدث بالهاتف ونزار يترقب كطفل آملاً أن يوافق على إعطائه الرقم بعد إنهاء حديثه .

- إنه يريد أن يحدثك .. قالها العجوز فجأة معطياً التليفون لنزار متسبباً فى إرباكه .

- ألو السلام عليكم .. قالها نزار بتلعثم .

- وعليكم السلام , لقد أخبرني صاحب أنك تريد أن تقابلني, هل تعرفني سابقاً ؟

- كلا أنا لا أعرفك, لكن هناك أمر مهم جداً بالنسبة لي ولك وقد يغير حياتك إن تعاونت معي.

- إعطيني نبذة صغيرة عن الموضوع الذي تريد أن تحدثني به حتى أقرر إن كنا سنتقابل أم لا, لا داعى لاضاعة وقتك ووقتي .

- الموضوع يتعلق بما حدث عام 1994, لقد توصلت إلى سر خطير قد يفيدك ويغير من وضعك.

لم يرد نبراس لبضع ثواني فظن نزار أنه أغلق الخط .

- ألو .. ألو .. ألو هل تسمعني يانبراس؟ قالها بصوت مرتفع ظاناً أن نبراس على وشك إغلاق الخط, يجب أن تتعاون معي من فضلك.. قالها متوسلاً .

- نعم نعم أنا أسمعك جيداً, لكنك فاجأتني جداً. من أنت ومن أين تعرف هذه المعلومات وكيف توصلت إليها ؟

أدرك نزار أن الرجل أصبح مهتماً ولن يمكنه التراجع .

- كل هذا ستعرفه بعد أن نتقابل, أخبر صاحب أن يزودني برقم هاتفك والعنوان بالكامل حتى ألتقي بك اليوم.. قالها نزار وأعطى الهاتف إلى صاحب الذى أكمل حديثه مع نبراس. أنهى صاحب المكالمة وأعطاه رقم الهاتف المقصود .

- إذهب إلى شارع فلسطين واتصل به وهو سوف يأتيك في المكان حيث تنتظره.. أخبره صاحب. خرج نزار بوجه بشوش إستقبلته مريم تريد أن تعرف ماذا الذي جرى بينه وبين صاحب المقهى,طلب أن يذهبا إلى السيارة وسيخبرها بكل التفاصيل في الطريق .

- نحن الآن على موعد مهم جداً.. قالها متحمساً .

2

تعجب نبراس كيف لمكالمة هاتفية أن تجلب عليه هذا الكم من الذكريات! ظل يفكر في هذه المكالمة الغريبه وفي هذا الرجل الذي إتصل به, هل من المعقول أن يأتي شخص بعد عشرين عاماً يعرف تفاصيل عن قضية لم تتوصل لا الشرطة ولا المخابرات فيها إلى شيء, هل من الممكن أن يظهر جديد فى القضية التى سببت لهم خسارة كل شيئ؟ ظلت الأفكار تراوده وهو متوجه إلى الشارع العام ليستأجر سيارة أجرة من جميلة إلى شارع فلسطين, إذا كان الأمر متعلق بالجوهرة.. فكر نبراس.. فإن لا أحد يعرف مكان الجوهرة سوى فارس , وفارس قد أكل وشرب الدهر عليه . لم يجد لأى من الأفكار التى دارت برأسه جدوى, كان يخشى أن يكون الشخص الذي سوف يقابله يعرفه مسبقاً فهو لايريد مقابلة أى شخص يعرفه بسبب تغير الأحوال بدرجة مائة وثمانين درجة. أين نبراس الذي كان يستبدل سيارة حديثة كل عام ؟ فكر نبراس حزيناً.. والآن يعمل في مطعم شعبي في مدينة الصدر من الخامسة فجراً إلى الثانية عشر ظهراً من أجل فتات الخبز الذى يسقط من مائدة الأسياد؟

قطع تفكيرة سائق السيارة ينبهه بوصوله شارع فلسطين. طلب نبراس من السائق أن ينزله ساحة بيروت, نزل في ساحة بيروت وأخرج هاتفه منتظراً المكالمة من هذا المجهول, وبعد عشرون دقيقة إتصل به نزار يعلمه بوجوده في شارع فلسطين وأنه ينتظره, أرشده إلى مكانه في ساحة بيروت وأعطاه مواصفاته وبعد دقائق توقفت سيارة بجانبه يستقلها شاب وتجلس بجانبه فتاة, سأله الشخص الجالس بمقعد السائق هل أنت نبراس؟ فهز رأسه موافقاً , فقال له تفضل إركب معنا حتى نجد مكان نضع

فيه السيارة ونجلس في أحد الكافيهات, تردد قبل أن يصعد السيارة خشية أن يكون فخاً كي يختطفوه, لكنه إستهزأ بالفكرة مفكراً بأنه ليس لديه ما يستحق الخطف, فهو لم يعد نبراس منذ عشرين عاماً, هو الآن مفلس , فتح الباب وركب دون أن يتكلموا, ظل ينظر إلى المرآة الجانبية التي تنقل صورة مريم , ظل متطلعاً فى وجه تلك الفتاة الثلاثينية الجميله ذات الحاجبين البابليين والبشرة البيضاء .

- أعرفك بنفسي, قالها نزار, أنا نزار وهذه خطيبتي مريم وأنت غني عن التعريف, نبراس إبن الصائغ جابر النجار, وسوف تعرف ماذا نريد منك بعد أن نجلس في الكافيه.

ركن السيارة في أحد ساحات الوقوف وجلسوا في أحد الكافيهات الهادئة كى يبدأوا حديثهم .

- الآن وبعد أن جلسنا وقد طلبنا القهوة.. بدأ نبراس الحديث.. هل من الممكن أن أعرف ماهو الموضوع الذي يهمني وسيغير حياتي؟ ما هو الموضوع المتعلق بعام 1994؟

- الأمر بسيط, هو موضوع الجوهرة, نريد أن نعرف ماهية تلك الجوهرة ومن أين حصلتم عليها وأين ذهبت.

- لا أعتقد أن هذا الموضوع يهمكم بأى حال, هذا موضوع خاص بنا ولانريد لأي غريب أن يعرف تفاصيله .

- لكن عندما يتعلق الأمر بتشويه سمعة برئ من أجل شيء تافه, يجب أن نعرف ماهو السبب.

- عن أي برئ تتحدث ؟

- إنه فارس, فارس الذي شوهتم سمعته وإتهمتوه بسرقة الجوهرة .

- وما الغريب في الأمر؟ الكل يعرف أن فارس هو من سرق وخان الأمانه ودمر حياتنا.

نظر نزار إلى نبراس وعرف بأن هذا الشخص صعب المنال ويجب عليه أن يجعله يأمل في شيئ حتى يعرف ما بداخله.

- أنا أعرف طريق الجوهرة يا سيد نبراس, قالها نزار, لكن لدي بعض علامات الإستفهام أريدك أن تقول لي كل التفاصيل التى تتذكرها بخصوص ما حدث عام 1994 حتى أستطيع مساعدتك .

تفاجأ نبراس من كلام نزار, هل فعلاً يعرف هذا الشخص . يعرف طريق الثروة التي خسروها منذ عشرين عاماً؟ يبدو الأمر كحلم لا كحقيقة, أيستطيع أن يدله على الطريق التي تعيد لهم حياتهم السابقة؟ أجاب نبراس دون تردد انه سيخبره بكل شيء . - لكن آأمل أن يكون كلامكم صحيح.. قال نبراس..وحقاً تعرفون بعض المعلومات التي أستطيع من خلالها أن اتوصل إلى الحقيقة .

هز نزار رأسه بالإيجاب واعداً إياه ,ثم التقت عيناه بمريم يترقبان سوياً التفاصيل الغامضة عن الحادثة.

3

لا أعرف من أين أبدأ كلامي, لكن سوف أقص عليكم من الوقت الذي تعرفنا به على فارس في نهاية عام 1993 بدأت الحكومة إجراءات مشددة لمنع الدولار بسبب الخلاف الأمريكي العراقي التي سببته حرب الخليج, فرضوا عقوبات قاسية وصلت للسجن المشدد خمس سنوات أو بتر اليد اليمنى للمتورط,

كان تعامل والدي أغلبه مع الزبائن وأصحاب المحلات بالدولار الأمريكي , وكنت أنا من ينقل هذه العملة. إزداد قلق والدي علي فقرر أن نبحث عن شخص أمين يقوم بهذه المهمة بدلا مني, وقع الإختيار على فارس لأنه معروف بصدقه وأمانته. عرض والدي عليه راتب مغري ما جعله يعمل معنا في هذه المهمة, وفي يوم من الأيام جاء الينا أحد السماسرة الذين يتاجرون في الآثار ليخبر والدي أن هناك شخص يمتلك جوهرة أثرية تعود للحقبة الآشورية ,

عُثر عليها في إحدى مقابر محافظة ذي قار وبعد الفحص تبين أن الجوهرة تعود إلى أحد توج الملكات الأشورية, لم يعير أبي لكلامه متعللاً بأن عمله في الذهب فقط وليس على دراية بالآثار ولا يعمل بها. أصر هذا الرجل بعدم ترك والدي وأخبره أن تلك الجوهرة يقدر ثمنها بعشرون مليون دولار والشخص الذي يمتلك الجوهرة قد عرضها للبيع بمليونين فقط ويريدهما بعد التسليم بشهرين,

لكن عقبته الوحيدة أنه لايستطيع أن يجتاز الحدود بالجوهرة بينما أبي لديه علاقات قوية فى الدول المجاورة ومعارف كثيرة تسهل عليه أن يصدر الجوهرة إلى أي بلد خارج العراق. إتصل أبي على أحد أصحاب محلات المجوهرات في أوربا وأخبره التفاصيل ,

أخبره الرجل أن تلك الجوهره قد يصل ثمنها إلى عشرون مليون دولار فعلاً , فقرر أبي أن يقابل صاحب تلك الجوهرة اللعينة, وبعد أن تقابلا وافق أبي على شراء الجوهرة,

لكن لم نكن نمتلك مليونين من الدولارات حينها. لذلك قرر أبى أن يبيع الجوهرة خلال مدة الشهرين ويعطي للرجل ماله ويربح هو المبلغ المتبقي الذي يعادل ثمانية عشر مليون دولار, كان رقماً خيالياً في حينها.أبرم الرجل عقدان مع والدي عقد فيه تسليم الجوهرة وكمبيالة عليه تساوي مبلغها أى مليونى دولار, الصفقه الوحيدة التي لم يستشرني والدي بها, كنت غير راضٍ عنها تماماً بسبب المجازفة الكبيرة بها,

وبعد يومين اتصل بنا السمسار وأخبرنا أن جهاز الأمن العام قد إكتشف مكان الجوهرة في محلكم ويجب أن تخرجوها من المحل خلال نصف ساعة دون أن تتركا المحل كي تزيلا الشبهة عنكم بعد التفتيش. نادى أبي على فارس وأمره أن يذهب ليسلم تلك الجوهرة إلى أحد الأشخاص وخلال ثلاث ساعات ان لم يأتيك عد إلى منزلك وخذها معك وأحضرها غداً إلى المحل. صدق فارس كلام والدي بشأن الشخص الذي ينتظره ووضعها في علبة وخرج وبعد نصف ساعة دخل رجلان بزي مدني وفتشا المحل ولم يجدو شيئاً, إعتذرا موضحان أنهم يبحثون عن ذهب مسروق .

أغلقنا المحل بعد مغادرتهما فلم يستطع والدي أن يترك الجوهرة مع فارس ,ذهب إلى دارهم فأخبرتنا والدة فارس أنه لم يعود حتى هذه اللحظة. دب الرعب فى قلوبنا وغاب فارس لمدة يومين حتى عثرت الشرطة على جثته في محافظة صلاح الدين, لم نقل بالطبع فى التحقيق أن فارس معه الجوهرة , لكن قلنا أن معه أمانه عبارة عن كمية كبيرة من الذهب. لم تتوصل الشرطة لمعرفة هذا اللغز وأُغلقت القضية . في موعد التسديد

طولبنا بالمال, رجونا الرجل ألا يتخذ الإجراءات القانونية بحق الكمبيالة, مما اضطر والدي إلى أن يبيع جميع ممتلكاتنا ورأس مالنا وحتى منزلنا الذي نسكن به لكي يسدد المبلغ, وبعد التسديد سكنا في دار بالإيجار وأُصيب والدي بشلل جعله يلازم الفراش حتى توفاه الله, وأنا أعمل فى أعمال صغيرة, مرة في مطعم ومرة في مقهى لكي أوفر لقمة العيش بعد أن كنا نوفرها لمئات غيرنا!

4

جلسا كأن على رؤوسهم الطير فلم يتكلم أي منهم بعد أن أتم نبراس حديثه متحسراً. لم يستطع إخفاء دموعه وبدأت نبرة صوته فى التغير نحو الخشوع مما أثر في نزار لحاول مواساته وبدأ بمواساته ووعده أن يتعاون معه لإرجاع ثروة والدة التي خسروها. أعلن نبراس بأنه على أهبة الإستعداد إلى أن ينفذ كل شيئ يطلبه منه نزار كي يتمكن بالظفر بالثروة المفقودة .

- أقسم بالله العظيم .. قالها نبراس بصدق.. إن كنت صادقاً معي وإستطعت أن تدلني على طرف الخيط الذي سيمكننى من إستعادة ثروة والدي فستكون شريكي في كل دينار أستعيده.

أراد نزار أن يخبره بأنه يريد أن يساعده من أجل تحقيق العدالة وليس لمصلحة مادية حتى شعر أن قدم مريم تنقره في قدمه محذرة أن يصمت .

- قل لي يانبراس.. سألت مريم قبل أن يسرف نزار فى الحديث.. هل تعرف الشخص الذي باع لوالدك الجوهرة ؟

- كلا, لا أعرفه .

- إذن هل تعرف السمسار الذي جلبه لكم ؟

- أعرفه معرفة سطحية , لكن لا أعرف أين هو الآن أو أين يسكن أو حتى إن كان على قيد الحياة .لكن أنا أريد أن أعرف من أنتما ولماذا كل هذه الأسئلة؟ وكيف عرفتم بأمر الجوهرة؟ أريد توضيحا أكثر.

- يؤسفني أن نخبرك أن والدك قد وقع في فخ كبير وتم النصب عليه في الجوهرة, فالجوهرة مزيفه وليست حقيقية .

صُدم نبراس مما سمعه وقبل أن يتفوه بكلمة بدأ نزار بأخباره بكل الأحداث التي مرت بهم, وكيف أن فارس ضحى بحياته من أجل الجوهرة حتى يحافظ عليها , وأنه برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

حزن نبراس كثيراً مما سمعه عن تضحية فارس من أجلهم, هو الذى إتهموه بالخيانة والسرقة.

- إذن قد يكون موضوع قتل فارس متفق عليه.. إستنتج نبراس.. لكن لماذا لم يتفق ناصر مع زملائه اذا كان القتل متفق عليه؟ لم يلق جواباً شافياً حتى تكلمت مريم أخيراً

- قل لي يانبراس, هل السمسار كان من المتواجدين في السوق أم غريب عنه؟

- نعم, كان يتواجد دائماً في السوق , ولكنى لا أعرفه جيداً.

- إذن لماذا لانسال صاحب الجاليجي عنه؟ قد يكون يعرفه 0

- هذه فكرة جيدة, فلابد من أنه يعرفه.. قالها مخرجاً هاتفه متصلاً بصاحب الجايجي يسأله عن داود الدوار, أخبره أنه مريض ويرقد في مستشفى مدينة الطب, وأنه قد تم بتر ساقه وحالته ميؤوس منها. أنهى نبراس المكالمة وأخبرهم بما علمه عن حالة داود الدوار, قرروا أن يذهبوا فوراً إلى مستشفى مدينة الطب قبل فوات الأوان .

5

وصلو إلى مدينة الطب بعد أن إشتروا هدية بسيطة لداود كي يقدموها له, سألوا عنه فى الإستعلامات الخاصة بالمستشفى فأرشدوهم إلى الجناح الذي يرقد به, توقفوا وناقشوا من الذي سيتكلم معه وماذا سيقول. قرروا أن نبراس هو الشخص المناسب لإجراء الحوار معه, طرقوا الباب ليأتيهم صوت فتاة يأذن بالدخول, عند دخولهم وجدوا فتاة تبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً ورجل كبير في السن راقداً على الفراش ومغطى بغطاء سميك, أزعجتهم رائحة كريهة في الغرفة تشبه رائجة الجيف الميتة, أخبرتهم الفتاة أنها رائحة قدمه. سألوها ألم يتم بترها؟ فأخبرتهم إنها قدمه الثانية وتعرضت لنفس المشكلة التى أدت لبتر الأولى, وقد أخبرهم الطبيب بحتمية بترها هي الأخرى. بعد حديث معها عن حالة داود, تبين أنها حفيدته, جلسوا أمامه وسلموا عليه, لكن بقيت نظرات متبادلة بين داود ونبراس لم يفهم نزار ومريم مغزاها .

- هل عرفتني ياسيد داود؟ سأل نزار متشككاً .

- رأيتك كثيراً وتكلمت معك سابقاً , لكن لا أستطيع أن أتذكر من, أعذرني فكبر السن والمرض أثر كثيراً على ذاكرتي .

- سأذكرك من أنا, إرجع بذاكرتك إلى عام 1994, صفقة الجوهرة مع جابر النجار, أنا ولده نبراس . إرتبك داود كثيراً كلص تم إلقاء القبض عليه وأشار لحفيدته بمغادرة الغرفة .

- نعم تذكرتك, ما الذي ذكرك بي بعد كل هذه السنين؟

- الحقيقة.. قالها نبراس مصراً.. أريد معرفة الحقيقة .

- أي حقيقة يانبراس؟ أنت تعرف كل شئ عن إخفاء الجوهرة, وأن الشخص الذي كان يعمل معكم قد سرقها .

- هذا غير صحيح, فلقد وجدنا الجوهرة ليتضح أنها مزيفة وليست أصلية .

- هذا أمر يعود لكما, والدك هو الذي إستلم الجوهرة وقبلها من الزبون , أنا كنت مجرد سمسار .

- إذن أريد مقابلة هذا الزبون .

- أنا لا أتذكر إسمه حتى , ولا أعرف أين هو.. قالها بوهن شديد.. رجاءً غادرا الغرفة فإن صحتي لاتتحمل أن أتكلم كثيراً .

- أرجوك ياسيدي.. قالت مريم متوسلة.. أرجوك أن ترشدنا حتى تسجل لك في ميزان حسناتك, فأنت في حالة صحية لاتُحسد عليها, قد يرحمك الله إذا ساعدتنا فنحن لا نريد إلا إسترداد الحقوق المسلوبة .

- يبدو أن الذي يجري لي هذه الأيام هو عقوبة لي على الذي فعلته.. قالها داود والدموع تسيل من عينيه.. فان الله بالمرصاد للظلمة وآكلى الحقوق. وأنا قد ظلمت نفسي وظلمت الآخرين. سوف أخبركم بكل ما حدث قبل عشرين عاماً, لكنى لا أعتقد أنها ستفيدكم بشيء .

في عام 1994 اعتدت أن أجلس دائماً مع صديقي سداد في أحد مقاهي مدينة الكسرة, كنت حينها أعمل مندوب مبيعات لإحدى محال بيع العلب التي يستعملها الصاغة لوضع المجوهرات , أما سداد فكان يعمل عتال في الشورجة , لكنه كان إنسانا غير صادق ومحتال ويتمتع بدهاء ومكر الثعلب, عمل أكثر من مرة لدى المحال التجاريه دون أن تدم فترة عمله لمدة طويلة دون الإستغناء عنه بسبب قلة أمانته, وفي أحد الأيام دخل إلى المقهى شخص يصغرنا بعشر سنوات إسمه ناصر, كنت أعرفه معرفة سطحية, جلس معنا ينذب حظه بعدم إيجاد عمل مناسب, بدأ يكلمنا عن زميله فارس الذي دعاه أحد أصحاب محلات الجواهر للعمل معه لثقته الكبيرة به. بدأت ملامح الحسد تظهر على وجه ناصر نحو صديقه الذي أتاه العمل على عتبة داره جاهزاً ومقدماً كهدية ملفوفة, بينما هو يسير على قدمه طول النهار للبحث عن عمل دون جدوى. وعند خروجه من المقهى تحدثت إلى سداد عن الصائغ الذي يعمل معه فارس صديق ناصر, ظل صامتاً وهو يشرب الشاي دون أن يلفظ بكلمة واحدة .. وحين يصمت الثعلب يا ولدى, إعرف أن هناك فريسة على المحك.. التقط سداد احد الجرائد الموضوعة أمامى وبدأ بتصفحها ليتركها وينطق أخيراً :

- الإنسان تاتي له الفرصة مرة واحدة في حياته, إن استثمرها فهو إنسان ذكي, وإن تجاهلها فانه لا يستحقها. إستغربت من كلامه وطلبت منه أن يوضح قصده, رد علي أن الفرصة قد حانت لهما ويجب أن يستغلاها جيداً. بدأت أضحك حتى نهرنى بأنه لا يمزح .

- لو طاوعتني سوف أجعلك تلعب بالنقود فى أسبوع واحد. قالها وهو يحدق فى عينى .ترددت كثيراً حتى أخبرنى تفاصيل مقنعة وهو يردد بين جملة وأخرى أنه فاز بالذات من كان جسوراً , وافقت على خطته وأخبرنى بقية التفاصيل. أرسلني إلى جابر النجار لأقنعه بأن هناك جوهرة أثريه ثمينة أريد أن أقابله بخصوصها, بعد موافقته ذهب سداد وإرتدى بدلة أنيقه ليؤدى دور رجل أعمال, رتبت معه موعد مع جابر النجار وبعد أن إتفقا ووقعوا العقد سلمه الجوهرة المزيفه على أنها أصليه وبعد يومين اتصلنا به واخبرناه أن جهاز المخابرات سوف يفتش المحل, كنا على يقين أنه سوف يستعين بعامله فارس بدلاً من ولده .كنا قد إتفقنا مع ناصر وأغريناه وأفهمناه أن الجوهرة ثمينة جداً حتى أقنعناه أن يسرقها من فارس ,كنا نعرف أنه بعد أن يسرق ناصر الجوهرة سوف يغدر بنا ويأخذها لنفسه, هذا ما كنا نتوقعه ونريد منه أن يفعله, لكن جرى أمر غريب أن فارس قد قُتل وأن ناصر قد هرب. لم يهمنا هذا الأمر فلم يؤثر على نتيجة خطتنا, كان هدفنا الوحيد هو أن الجوهرة تختفي من جابر النجار حتى يدفع لنا الكمبيالات. وهذا هو الذي جرى بالضبط, وبعد شهرين سداد طالبه بالمبلغ, وبما أن سداد له إثباتات على جابر, إضطر جابر أن يبيع جميع ممتلكاته حتى يسد دين سداد , أما أنا فقد وعدني سداد أن يعطيني نصيبي بعد أن تهدأ الأوضاع. وبعد سبعة أشهر من المماطلة أصريت أن يسلمني نصيبي فأخبرنى أنه قد خسر المال في لعبة قمار. لم أصدقهَ وبدأ صوتي يعلو وبدأت أشتمه حتى قال لي إن علاقتنا قد إنتهت وأنى ليس لدي حق عنده وإذا لم يعجبني هذا الكلام هناك مركزاً للشرطة لأشتكي لديه . لم أتمكن بالطبع من عمل أي شيئ فماذا هو دليلي لكى أشتكي عليه وماذا أقول؟ أنى شريكه في هذه الجريمة؟! قررت أن أفضح أمره, لكنى علمت أنى إذا تكلمت فسأصبح شريك معه

فى الجريمة. بقيت ساكتاً طول عمري كالكلب الذى قُطع لسانه, هذه أول مرة أتكلم فيما حدث منذ عشرين عاماً. فأنا على وشك أن أقابل الله هذه الأيام ولا خوف بعد من سداد . فالموت أقوى منى ومنه !

صمت الجميع مدهوشين خصوصاً نبراس الذي فكر كيف أن مجرد حيلة كهذه جعلته ينحت في الصخر لمدة عشرين عاماً ! وكيف ذهبت كل تلك الثروة من أيدي عائلته بكل تلك السهولة؟ كم كانوا مغفلين ومغيبين!

صرخ نبراس على داود غير متمالكاً أعصابه, كان يتمنى لو تنبت قدماه مرة أخرى حتى يشبعه ضرباً وجها لوجه ورجلاً لرجل. بدأ يسبه ويوجه له الكلمات لا يتذكرها بصوت رج كالرعد أرجاء المستشفى, دخلت حفيدته إثر سماعها صراخاً فأمرها داود أن تخرج وأن كل شيء على ما يرام . نهض نزار محاولاً أن يهدىء من غضب نبراس حتى نجح فى إسكاته .

– يا سيد داود أين نجد سداد؟ سألت مريم .

- إنه موجود, لكن لن تستطيعوا أن تقابلوه أو تتكلمو معه .

– لماذا؟ هل هو خارج العراق؟

- إنه في العراق, لكن سداد اليوم لم يعد سداد ذو الثلاثون عاماً .. كل شئ إختلف عما كان من قبل. – أرجوك وضح لنا أكثر فكلامك أصبح شبيه بلغز.

- إن سداد اليوم أصبح أحد أعضاء البرلمان الناشطين ويتمتع بحصانه, كما أنه يتبع حزب قوي جداً ولديه نفوذ كبير, لا تتعبوا أنفسكم فلن تستطيعوا أن تقابلوه .

– ماهذا؟سألت مريم متعجبة .. كيف وصل إلى السلطة وأنت تقول أنه لم يملك مؤهلات تكفيه لدخول كهذا المجال؟!

- إن سداد يتمتع بعقل قوى ودهاء كبير, فقبل سقوط النظام بدأت الأخبار تنقل تأزم الأوضاع السياسية, إنتهز الفرصة وغادر العراق قبل السقوط إلى بلغاريا , حصل بنقوده على شهادة دكتوراه في العلوم الإقتصادية, وعاد إلى العراق بعد السقوط, قام بتغيير إسمه وأصبح بعدها سيادة النائب.. قالها وهو يخرج صوره له من محفظته ليريهم إياها .

- إستغرب الجميع بعد معرفتهم بهذا الإسم المرموق في السياسة, فهو من السياسيين المحنكين ولديهم شهرتهم الواسعة وينافسون على المقاعد المهمة في كل دورة إنتخابية. هل فعلاً هذا السياسي الذي يتكلم ليلاً نهاراً عن الوطنية وحقوق الفقراء تكون هذه بدايته وهذا تاريخه؟..فكر نزار بداخله.. يا إلهي هل هكذا شخص يصلح أن يدير بعض موسسات الدولة العراقية الحديثة؟ وضع نبراس يده على جبينه مجهشاً ببكاء مسموع , تعجب نزار, فالقضية قديمة وغريب أن تترك آثارها فى نفسه حتى اليوم .

- ماذا بك يا نبراس؟ لماذا كل هذا الحزن؟ سأله نزار .

- أنا انتخبت سيادة النائب مرتين وكنت من المدافعين عنه بقوة .

ضحك الجميع على سخرية القدر , حتى داود الراقد على فراشه ضحك من هذه الصدفة الحمقاء التي جعلت مواطناً ينتخب سارقه!

أنهوا زيارتهم لداود بعد أن عرفوا الحقيقة الكاملة. نظر نزار إلى نبراس و سأله عما سيفعل .

- لا أعرف.. أجاب نبراس.. لا أعتقد أنني سأتمكن من مقابلته, فما بالك من إستعادة ثروتي منه؟

- الوقت قد تأخر الآن.قالت مريم .. لكن أتركوا الأمر لي سوف أتصل بك غداً صباحا يانبراس كي أقول لك أين نلتقي وإن شاء الله سوف نستطيع أن نلتقي به في أقرب وقت ممكن. إسأل نزار عني في هذه المسائل فأنا عنيدة.. قالتها ضاحكة.

- فعلاً يانبراس.. أجاب نزار ناظراً لمريم بإعجاب شديد.. مريم لديها قدرات عالية على التفكير في مثل هذه المسائل, وإن شاء الله سوف تبدع لنا ثمرة جديدة من شجرة عقلها الناضجة كى نستطيع مقابلة سيادة النائب فى أقرب فرصة .

الفصل الرابع عشر

(تاريخ لا ينسى)

1

فى حياة كل منا عدد قليل من التواريخ التى شكلت علامة فارقة فى حياته, تلك الأرقام التى تمثل الأيام والشهور والسنين والتى حين توضع سوياً تبعث بداخلنا ما لا نقدر أن نتخطاه من ذكريات وأوجاع.

لم يغفل له جفن طيلة ليلة البارحة, صُور اليوم الثامن من أيار عام 1994 تطارده كظله, ميعاد إستحقاق الكمبيالة على جابر النجار, إتصل ذلك الشخص الذي عقد والده معه الصفقة , طالبه بالتسديد فوراً أو إتخاذ الإجراءات القانونية بحقه. بيع ممتلكاتهم كان وسيلة أسرع من المزاد العلني, لفرق السعر عن السوق ولحاجتهم العاجلة للمال. لم يصدق نفسه أنهم يفقدون كل شئ بسبب زجاجة! هل فعلاً والده كان مغفلاً إلى هذه الدرجة؟ هل جابر النجار الذي كان يعرف جودة ورقم الذهب عن بعد أمتار يخطىء هكذا خطأ يضيع له تعب العمر ويرجعه إلى الصفر ويسلب ماله وعافيته؟

لم يستوعب الحيلة التي صدقوها بسهولة وبدأ يجول في غرفته ذهاباً وإياباً, لم يستطيع حتى الجلوس, رن هاتفه لينظر إلى الشاشة ويجد نزار يتصل, رد على المكالمة فتفاجأ بصوت تلك الفتاة التي ترافق نزار مدعية أنها المحقق كونان .

- ألو صباح الخير .

- صباح النور .

- كيف حالك يانبراس؟ آأمل أن تكون بخير.

- الحمد لله أنا بخير .

- إسمعني جيداً, لقد خطرت على بالي فكرة نستطيع أن نقابل بها السيد النائب في أقرب وقت ممكن, قد نقابله هذا اليوم إن نجح معنا الأمر, لكن هل يتوفر لديك العقد والكمبيالة الذي كان قد وقع عليهما بإسم سداد ؟

- كلا فلقد فقدته أثناء الحادثه .

- مع الأسف, لاعليك, سأرسل لك عنوان دار أم فارس كي تأتي فنحن في حاجه لك لكي نتفق على ما سنفعله .

- لا حاجه أن ترسلي لي العنوان فأنا أعرف العنوان جيداً, هناك منزلين لدى أم فارس واحد كانوا يسكنو فيه وواحد كان فارس يستخدمه كمكتبة له يدرس فيها, بأي دار أنتم ؟

- نحن في الدار الذي كان يستخدمه فارس كمكتبه .

- إذن سوف أغير ملابسي ومسافة الطريق سأكون أمام المنزل .

دخل نبراس إلى المنزل الذي كان يدرس به مع فارس, عادت ذكريات شبابه وبدأ يرى فارس في كل ركن من أركان المنزل حتى رأى أم فارس, تقدم إليها وقبل يدها وجلس بجانبها :

- مرت عشرون عاما على آخر لقاء بيننا يا أم فارس..قال نبراس .

- أتذكر ذلك اللقاء.. ردت أم فارس.. كنت مع والدك عندما أخبرتوني بأن فارس سرق جوهرة من المحل .

- أنا آسف وأكرر أسفي نيابةً عن المرحوم والدي, لقد وضعنا جميعاً تحت خدعة لعينه أودت بالجميع إلى التهلكة .

- لاحاجة أن تتأسف ياولدي, فالأمر كان محبوكاً حسب ماسمعته من نزار ومريم , فحتى أنا كنت أشك أحيانا في فارس.

نظرت مريم إلى نزار وأشارت له أن يتكلم بأى موضوع حتى يتركان العتاب, تكلم نزار وقال لقد جمعتنا مريم اليوم وكانت تقول أنها وجدت طريقة جيدة لكي نقابل بها السيد النائب, هيا يامريم نريد أن نسمع منك .

لقد توصلت إلى فكرة جيدة .. بينما نحن هذه الأيام في ظل عصر التكنولوجيا وتسعون بالمئه من الناس يتصفحون مواقع التواصل الإجتماعية كل يوم, لدي صديقتي مديرة في أحد صفحات وكالات الأنباء على الفيس بوك ويتابع هذه الصفحة مائتى ألف عضو. إتفقت معها أني سوف أكتب موضوع في مدح أحد السياسين على حسابي الخاص في الفيسبوك وهي سوف تعمل مشاركة للموضوع وسوف ينتشر الموضوع خلال ساعات, وبما أن الموضوع غير حقيقي وسأذكر به تاريخ الحادثة مما سيثير إستغراب السيد النائب وسوف يزداد فضوله لكي يعرف لماذا ذكرت هذا التاريخ بالذات, وبهذا سوف يتصل بي. هذه أفضل طريقه لجعله هو الذي يبحث عنا.

إستغرب نبراس كثيراً من فطنة وذكاء هذه الفتاة .

- فعلا تلك الفتاة متأثرة بالمحقق كونان.. فكر نبراس فى نفس الوقت. أخرجت مريم الكمبيوتر المحمول لديها ودخلت على حسابها الخاص وبدأت تكتب عن مقاومة السيد

النائب في يوم ثمانيه اذار 1994 في نفس اليوم الذي نفذت بها عملية السرقه وقتل فارس. كتبت بأن النائب في هذا اليوم قد قاوم النظام السابق وتصدى للنظام في أفكاره وبدأت تمجد في النائب , وبعد أن إنتهت نشرت الموضوع واتصلت بصديقتها فعملت لها مشاركة على صفحة وكالة الأنباء. بدأت نسبة المشاهدات تتزايد مما جعل الإعجابات والتعليقات تصل إلى المئات خلال دقائق. تأكدت أن النائب أو أحد أقاربه أو أعوانه سوف يقرأ هذا الخبر وسوف يتصل بالحساب خلال الساعات القادمة .

- لكن قل لي يانبراس .. سألت مريم .. كيف تضيع العقد والكمبيالة؟ لو كانتا موجودتان لكان لدينا مستند قوي جداً عليه .

- أنا لم أضيع العقد والكمبيالة كانتا موجودتان لحد سنة 2005 قبل أول انتخابات جرت في العراق بشهر .

- اذن كيف فقدتهم؟

- كان لدي لغزان في حياتي, بالأمس تم حل اللغز الكبير واليوم عندما إتصلت بي مريم كانت قد حلت اللغز الثاني وهو حريق شقتي في عام 2005, خرجت من الشقة مع العائلة بعد أن قمنا بقطع الكهرباء عن الشقة وفصل أنبوب الغاز,

وبعد ساعة إتصل بي أحد الجيران يخبرنى بأن الشقة قد التهمتها النيران بالكامل, وبعد عودتي وجدت أن كل شئ قد إلتهمته النيران كأسد جائع, وعند التحقيق أجمع الجيران أنهم قد شموا رائحة بنزين قوية جدا تخرج من الشقة.

ما أثار شكى لأني لا أمتلك أي بنزين في الشقة. تيقنت تماماً أن الشقه قد حُرقت بفعل فاعل, لكن الغريب بالموضوع أني لايوجد لدي أي أعداء.

بقيت لمدة تجاوز الشهر لا أملك شيئاً يُذكر حتى زار السيد النائب مدينة جميلة ,سمع بأن هناك أحد الأشخاص يمر بأزمة مالية شديدة. أمر وكيل أعماله أن يؤثثوا الشقة من جديد ويسلموني تعويض مالى,

وفعلاً في اليوم التالي بدأت أعمال الترميم في الشقة وتم تأثيثها على آخر طراز, ما تسبب له بدعاية إنتخابية قوية جداً حيث تحسنت صورته كمعطاء وصديق للمحتاجين والفقراء.

ولهذا السبب إنتخبته أنا وجميع الذين سمعوا قصتي . لقد ضرب عصفوران بحجر واحد, أنهى ماضيه الأسود القذر بحرق الشقه , واستفاد بدعاية إنتخابية نتيجة تعويضى.

- ياله من محتال ماكر..قالت مريم.. يجب أن نحذر منه في تعاملاتنا فيبدو أنه مكار كالثعلب .

2

لم تمر خمس ساعات على المنشور حتى إتصل صاحب الجايجي بنبراس وأخبره أن داود السمسار قد توفي إلى رحمه الله.

وبعد الإستفسار عن سبب وفاته تبين أن داود قد أخطأ فى كمية الدواء الذى كان يتناوله. كان الأمر مضحكاً بالنسبة لنبراس, فسبب الوفاة يوضح أن هناك من فى مصلحته إنهاء حياة الشاهد الوحيد المتبقي على جريمته الكبرى.

لم تمضي نصف ساعة حتى رن هاتف مريم لتخبرها صديقتها التي تعمل في وكالة الأنباء أن أحد الأشخاص إتصل بها واستفسر عن صاحبة الحساب الذي نشر خبر بطولة السيد النائب وطلب رقم هاتف صاحبة الحساب.

لم تستغرب مريم من هذا التصرف, لكنها لم تكن تتوقعه بهذه السرعة, فالقضيه قد تطورت خلال خمس ساعات ,

قتل وسؤال وها هم ينتظرون إتصال . قلق الجميع وبدأ كل منهم يفكر في العاصفة القادمة التي قد تدمر الكل دون رحمة ودون مبالاة, وبعد مرور عشرة دقائق من أخر إتصال, إتصل رقم مجهول بهاتف مريم التقطت أنفاسها وردت على المكالمة .

- ألو.

- ألو, السلام عليكم .

- وعليكم السلام, من معي ؟

- آنسة مريم ؟

- نعم تفضل .

- أنا مدير أعمال السيد النائب وأريد مقابلتك كي نكرمك على الموضوع الذي نشرتيه اليوم تمدحين فيه حضرة النائب, لكن هناك سؤال إن السيد النائب لايتذكر هذا التاريخ الذي تكلمتي عنه, هل أنتي متاكده من التاريخ الذي ذكرتيه أو كتبتيه فى مقالك؟

- كلا, لم أكتب هذا التاريخ عن جهل أو مصادفة, بل أتذكر هذا التاريخ جيداً, وكنت أشد المعجبين به وكنت أراقبه طوال اليوم مما جعلني أرى ماذا فعل بهذا اليوم بالتفصيل .

- هذا جيد .. إذن أريد مقابلتك .

- اعذرنى أنا لا أقابل مدير أعمال, إذا أراد السيد النائب أن يقابلني فأنا مستعدة لمقابلته شخصياً.

- إذن سوف أتصل بكي بعد قليل كي أنقل حديثك إلى السيد النائب وأخبرك برده بشان المقابلة. جلسوا جميعاً يفكرون ويتناقشون من منهم يقابل السيد النائب حتى قالت مريم أنها سوف تقابله لوحدها,

لكي تبين له أنه يوجد أشخاص لا يعرفهم هو لكنهم يعرفون كل شئ, وأفهمتم إذا ذهبوا جميعهم له سيكون من السهولة التخلص منهم لكي يتم التكتم على الأمر,

فأمرتهم أن يتفرقوا , كل واحد منهم في مكان, حتى نبراس يغير مكان سكنه.

اقتنعوا بكلامها وبعد دقائق إتصل بها مدير أعمال السيد النائب وأخبرها أنه سيقابلها في في داره الثاني الذي يقع في المنطقة الخظراء , أعطاها العنوان كاملاً وأخبرها أنه جاهز الآن لمقابلتها .

لم تقف طويلاً في شارع 14 رمضان كما إتفقا في الهاتف, حتى توقفت أمامها سيارة بي أم دبليو لا يكشف زجاجها ما بداخلها,

نزل شاب كان يجلس بجانب السائق وفتح لها الباب الخلفي دون أن يسألها شيئاً أو يتأكد من هويتها, دخلت السيارة وإتجها إلى منزل السيد النائب دون أن يجرى معها أحد أى حديث حتى وصلت لمنزل السيد النائب. فتح الحراس الباب ودخلت السيارة إلى الداخل,

توجه أحد الحراس إلى باب السيارة وفتحها, نزلت من السيارة فأخبروها أن السيد النائب في إنتظارها بمكتبه الخاص. وعند دخولها إلى المنزل تفاجأت بأن صالة المنزل تحتوي على مسرح صغير للرقص وبار,

بإختصار أنه مُصصم كملهى ليلي. قام الحارس بمصاحبتها حتى وصلا إلى المكتب الذي يجلس به النائب. نادت عليها إحدى النساء المقيمات في المنزل لكي تفتشها, تقدمت إليها وبدأت بتفتيشها, لكن أثار إنتباه مريم أن تلك الفتاة ليست من الحراس لأن عملية التفتيش التي قامت بها ليس منظمة أو متقنة, وكانت تفوح من فمها رائحة المشروبات

الكحولية حتى تيقنت تماما أن تلك الفتاة هى إحدى بائعات الهوى اللواتي يترددن على هذا المنزل .

دخلت مريم إلى المكتب وكان السيد النائب غير موجود خلف المكتب, بل كان يجلس في المكان المخصص للضيوف, جلست أمامه وهي تنظر إلى أزرار قميصه التى عانت خطر الإقتلاع بسبب كرشه المنتفخ, لم تبدأ بالكلام وبقت وإنتظرت منه الحديث ناظرةً إليه نظرة الشخص الذي يعرف كل شيئ لكن يخجل فقط أن يتكلم عنه .

3

- أنا وأنتي نعلم أن ما نشرتيه على مواقع التواصل الاجتماعيه لم يكن حقيقة, وكان الغرض منه هو المقابلة.. قالها السيد النائب بثقة عمياء.. ها نحن قد تقابلنا, الآن .. أريد أن أعرف ماذا تريدين مني .

- أريد أن أرد الحقوق إلى أصحابها .

- إذن أنتي تعرفين كل شيئ عن تاريخي ؟ أنا مستعد أن أتفاوض معك, لكن بشرط واحد . أريد أن أعرف من أين حصلتي على هذه المعلومات؟

- إنها قصه طويلة وأنت تعرف لا أحد يتمكن من أن يخفي الحقيقه إلا الله سبحانه وتعالى 0

- إذن ماهي طلباتكم؟ أنا أعرف أن هناك أشخاص كثيرون ورائك ولا تعملين لوحدك, لكن إختاروكي لتمثليهم أمامى اليوم .

- ليس لدينا أي شروط إلا أن تعيد لنا المال الذي أخذته من جابر النجار وأن تعوضه على السنين التى أهدرها من حياته في العمل الشاق, وأن تقبض على ناصر, فنحن إذا عوضتنا سوف ننسى الأمر, لكن ناصر سوف يشن عليك حرب ويفضح أمرك .

- بالنسبة لأمر المال هذا شئ بسيط, لكن ناصر أستطيع أن أقبض عليه إذا عرفت مكانه, سوف أقبض عليه حتى لو كان في نهاية العالم .

- إذن إذا كنت موافق على إستعادة المال والتعويض سوف نتفق معك على نصب كمين لناصر .

- أنا موافق, إتفقي مع زملائك ونحدد موعد آخر ونتفق على كل شئ, وإعلمي يا ابنتي أنا لو أريد أن أقضي عليكم سأفعل في خلال ساعات, ولن أتفاوض معكي , لكن أنا لست بالإنسان السيئ التي تتوقعينه .

- وماذا بشأن داود السمسار؟ هل وفاته قضاء وقدر؟

-كلا, أنا أمرت بانهاء حياته, كان يتألم من المرض المسكين والإنسان عندما يبدأ يحس أن أيامه باتت معدودة, يتكلم بأشياء قديمة قد تؤثر على الغير.

إصفر وجه مريم من كلامه لها وقالت له أنها سوف تلتقي بشركائها وتتصل به وخرجت مسرعة بأرجل ترتعش من ذلك المنزل الغريب .

قلقوا كثيراً على مريم وكأنها دخلت بيت للأشباح رغم عدم تأخرها, ندموا كثيراً عندما وافقوا أن تذهب بمفردها لمقابلة السيد النائب, ذلك الشخص الذي لايمتلك ذرة من الرحمة أو الإنسانية.

رن جرس الباب فجأة فذهب نزار مسرعاً لفتحه ليجدها مريم. عادت البسمة ترتسم على ملامح وجهه فور رؤيتها.

دخلت وجلسوا جميعا وأخبرتهم مادار بينها وبين النائب وبدأوا يتناقشون في كيفية إستلام المبلغ وكيفية إصطياد ناصر. فان أم فارس كان همها الوحيد الإنتقام من قاتل إبنها.

رن هاتف مريم من جديد لتجد السيد النائب شخصياً يتصل بها :

- ماذا قررتم ؟

- نحن موافقين.. ردت مريم بإصرار .

- إذن أريد أن التقي بكم جميعاً غداً في المكان الذي تجتمعون به لكي ننهي الموضوع , سوف أحضر بمفردى متنكراً, لا أريد أن يراكم أحد تترددون إلى منزلي .

- نعم نحن موافقين سوف أرسل لك العنوان بعد أن ننهي المكالمة.. أجابت مريم .

أنهت المكالمة وأرسلت العنوان فى رساله إلى سيادة النائب .. ثم ساد الصمت المكان ونظروا كل منهم إلى الآخر . كل منهم يفكر فى الخطوة القادمة .

4

في صباح اليوم التالي فيما إقتربت الساعة من العاشرة سمعت مريم طرقاً على الباب, توجهت لفتحه فوجدت السيد النائب يرتدي زي عربي كامل ونظارات شمسيه حتى لا يستطيع أن يتعرف عليه أحد.. لماضينا القدرة على جعلنا نتنكر حتى أمام أنفسنا.. دخل وحده ولم يكن أحد في صحبته, جلس أمام الجميع وهم ينظرون له كالمتسبب الوحيد بمشاكلهم حتى بدأ في الكلام لكي ينهي حقدهم ونظراتهم القاتلة نحوه .

- كلكم تنظرون إلي كأنى أنا الذي دمرت حياتكم ومستقبلكم, أنا فعلاً كنت سبب في تحطيم بعض أحلام الناس, أنتي يامريم عندما خرجتي في ليلة الأمس من منزلي جمعت سيرة حياتكم خلال ثمانية ساعات.

دعونى أبدأ بتوجيه كلامى للسيد نبراس , لست أنا من دمر حياتك, أنا حاولت أن أسرقكم وأنتم الذين ساعدتموني بطمعكم, لو لم يوافق والدك ويطمع بشراء جوهرة بأقل من سعرها الحقيقي بكثير جداً كما إعتقد, لما إستطعت أن أجبره على شرائها ولظل كل في مكانه, فالخطأ خطأ والدك الذى لم يكتفي بالثروة التي كانت لديه وطمع وجازف , وكانت هذه هى النتيجة.

وأنت يانزار تركت بلدك وجامعتك والفتاة التي تحبك من أجل أوهام كان يتحدث عنها الفشله في أوربا, فكنت تتصور أنك خلال مدة قليلة ستجمع ثروة وكأنك ذاهب فى رحلة صيد لكن بدلاً من السمك نقود, كل أصدقائك وحتى أخوك الأصغر قد كون عائلة وأنت أنظر إلى حالك,

وأنتي يامريم بقيتي عانس ولم تتزوجي تنتظرين فارس أحلامك الذي حتى لم يتعب نفسه ويتصل بكي مدة سنين غربته كلها,

وحتى أنتي يا أم فارس, أنا لست السبب في مقتل ولدك, نحن لم نخطط أبدا لقتله بل كان تصرف فردي من ناصر, هو الذي قتله وهرب, أنا فعلا خططت لكل شئ, فها أنا أقولها أمامكم وأعترف أنا شخص غير نزيه كونت سمعتي وثروتي على أكتاف الفقراء والمساكين, لكن هذا ليس ذنبي, بل ذنب الشعب الذي يحب أن يحكمه الكاذبون السارقون المخادعون.

أنا لست مضطراً أن أُحاكم أمامكم مبرراً موقفي, فقد كان بإمكاني أن أفجر هذا المنزل على رأسكم قبل دخولي وأنهي هذه المهزلة .

- أي مهزلة تلك التى تتكلم عنها جناب النائب؟ سألت مريم .

- المهزلة هي أن يجلس السيد النائب مع عدة أشخاص يتصورون أنه يخاف منهم ومن تهديدهم, أنا لدي نفوذ يُذهبكم وراء الشمس, وهناك نواب عليهم ملفات فساد وفي متناول يد اللجنه المختصة بمحاربة الفساد ولم يحدث لهم شيء, نحن كما يقولون"مرقتنا على ازياكنا" , فلماذا أخاف منكم ومما تعرفونه؟ انا سوف أعطيكم حقوقكم لأجل القبض على ناصر فهو الوحيد الذي أخشاه .

- إذن هناك جريمة قتل لرجل مافيا في فرانكفورت, لقد تسبب بها ناصر, لكن الأدلة موجهه إلى نزار, نريدك أن تخلصه منها.. طلبت مريم بنبرة القوى .

- هذا أمر سهل فنحن لدينا تعامل مع عدة مافيات أعطوني إسم المافيا أو أحد رؤسائها .

- إسمها صوفيا زوجة رئيس المافيا السيد مارشال الذي قُتل .

- سوف أصل إليهم بسهولة, وأُوضح لهم سوء الفهم الذي حصل بينك وبينهم, وغداً وقبل كل شيئ سوف أحول أسهم من سوق بغداد للأوراق المالية بقيمة خمسة مليون دولار بإسم نبراس, سوف أتصل بالمحامي ويعمل عقد بيع وشراء, أنا أخذت من والدك مليوني دولار وهذه ثلاثه زائده إعتبرها فوائد..قالها لنبراس ساخراً .

- ومن أين لك كل هذا المال سيادة النائب؟

- صراحةً أنا أمتلك مال يضاعف مئات المرات ما أخذته من جابر النجار, لكن لا أنكر أنى قمت على رجليا وبنيت نفسي- بماله, لكن بجهدي وتفكيري وتعبي وعرقي صنعت هذه الثروة .

- أي جهد وأي تفكير.. هذه أموال الشعب؟ قالها نزار منفعلاً .

- الشعب هو الذي وضعني بهذا المنصب وكرر إنتخابي ثلاث مرات متتالية, إذن هم راضين بما أفعل بهم !

- أنت على حق فنحن الذي جعلناكم تصعدون على أكتافنا .

- لا علينا, غداً بعد أن تتم تحويل الأسهم, رتبوا لنا موعد مع ناصر لكي نقبض عليه .

عند خروجه دون كلمة سلام, فقط قام وإنصرف, نظروا جميعاً إلى أم فارس التى لم تنطق بكلمه واحدة طوال فترة وجوده, وبعد السؤال عن موقفها, ضحكت وقالت أنها من ضمن الناس الذين إنخبوه, وكانت تؤمن بأنه نزيه ويدافع عن حقوق المظلومين .

إنفجر الجميع ضاحكاً فقد رأوا أنفسهم مجانين يقودهم مجانين !!!

الفصل الخامس عشر

(خارج بغداد ..للمرة الأخيرة)

1

تقدمت أم فارس نحو الباب لتعرف من الطارق فى هذه الساعة المبكرة, وجدت الثلاثة أمامها مبتسمين يطلبون منها أن تأتي معهم في السيارة دون إخبارها السبب, ألحوا عليها كأطفال صغار يلعبون على الشاطىء يريدون من أبيهم رؤية قلعتهم التى صنعوها من الرمل, أقنعوها وأخذوها معهم إلى دارها القديم في منطقة الإسكان. تعجبت من توجههم بها نحو دارها القديم, حتى وصلت ورأت تجمع كبير من أهالى الإسكان, طاولات ممتلأة بالطعام قد ملأت الشارع أمام دارها, لمحت لافته قد خُط عليها عنوان "مأتم لفارس" , تعجبت وسألت عما يجري, أخبروها أن تنتظر وسوف تعرف كل شئ بعد قليل, نزلوا جميعاً من السيارة لترى جيرانها القدماء وبعض الأقارب الذين لم ترهم منذ زمن بعيد . وقف نبراس وتوسط الجموع وبدأ في كلامه :

- السلام عليكم أيها الأخوان و الأخوات, لقد دعوناكم اليوم على وجبة غداء ثواب على روح فارس رحمة الله, بعضكم يتساءل من هو الشخص الذي يخاطبكم الآن وبأى صفة أحدثكم, أنا نبراس إبن جابر النجار صاحب محل المجوهرات الذي كان يعمل لديه فارس, كلكم يعتقد أن فارس في عام 1994 قام بسرقة رب عمله, والدى جابر النجار, واليوم والحمد لله وبعد عشرون سنة قد ثبت لدينا أن فارس برئ وقد قُتل على يد الشخص الذي سرقه, وها أنا أمام الجميع أقدم أعتذاري و أسفي إلى أم فارس وأرجوها أن تغفر لى ولأبى رحمه الله.

تعجب جميع الموجودين وهم يشاهدون نبراس يتقدم ويقبل يد أم فارس ويعتذر منها , واحد تلو الآخر بدأ بالتوجه إلى أم فارس يسلم عليها ويعزيها للمرة الأولى منذ عشرون

عاماً, فيما طأطأ بعض الحضور خصوصاً الأقارب رأسهم إلى الأرض متمنين أن تنشق الأرض وتبلعهم خجلاً من مواجهة تلك العجوز التي هجروها ظلماً عقدين من الزمن .

فور أن انتهوا من التعزيات والتأسفت وعودتهم للسيارة, لم تستطع العجوز أن تتمالك نفسها حتى إنفجرت في بكاء شديد شاكرةً هؤلاء الثلاثة على رد إعتبار إبنها وكرامتها بعد هدر دام كل هذا الزمن. هدأت العجوز بعد دقائق وقامت بفتح حقيبتها وأخرجت منها بعض المستندات وسلمتها إلى نزار .

- لقد ذهبت بدون أن يعلم أحد بي وعملت لك وكالة عامة في جميع ممتلكاتي حتى أستطيع أن أوفي بعهدي معك .

خجل نزار مما فعلته العجوز ورفض معتذراً , فإظهار الحقيقة بدا أثمن من كل ممتلكات الدنيا .

إتصل النائب بنبراس يخبره أن يذهب فوراً إلى سوق بغداد للأوراق المالية ليأخذ ماله, توجهوا جميعاً إلى البورصة بعد إيصال أم فارس إلى منزلها ودعوتها لهم بالتوفيق من عند الله, دخلوا إلى البورصة وكان نبراس يسير بسرعة ملفتةً مدهوشاً غير مصدقاً, ولم يصدق أنه قد يسترد ماله بعد كل هذه السنوات, وصل إلى المحامي الخاص بالسيد النائب الذى سلمه عقود أسهم بقيمة خمسة مليون دولار. فأخبر نبراس المحامي أنه يريد أن يحول أسهم بقيمة مليون دولار إلى نزار, فوجئ نزار ومريم وهم يتبادلان النظرات الغير مصدقة .

- لولاك يا نزار لما تمكنت طوال حياتي من إعادة سنت واحد.. قالها نبراس بصدق.. هذا قليل بحقك وأشكرك كثيراً وأتمنى لك كل التوفيق في القبض على ناصر وإثبات براءتك, لقد أخبرني السيد النائب في المكالمة الهاتفية أن أنفصل عنكما فور إستلامي سندات الأسهم .

تعانقا وسلما على بعض وأخذ كل منهم نصيبه من الأسهم وخرجا لينادى عليه نزار فجأة .

- تعال أوصلك ألى دارك على الأقل .

- لا تخف.. أجاب نبراس ضاحكاً مشيراً إلى شنطة المستندات.. لدي من النقود مايكفيني.

ضحكا وذهب كل منهم في طريقه. ركب نزار ومريم وظل صامتاً ساهياً دون أن يدير محرك السيارة.

- ماذا بك يا نزار لماذا لا تتحرك ؟ سألته مريم مستغربة .

- هل رأيتي ماذا يحصل معي وكيف تغيرت أحوالي خلال ساعات؟ لقد قضيت فترة إحدى عشر عاماً في الغربة ولم أجني شيئ سوى التعب وتراكم الديون! والآن وخلال ساعات حصلت على منزلين تمليك في قلب العاصمة بغداد ومليون دولار مبلغ لم أكن أتصور فى أجمل أحلامى أن أمتلكه,حقاً.. ضاقت ولما استحكمت حلقاتها فرجتُ .. وكنت أظنها لا تفرج!

- الحمد لله.. أجابت مريم.. إنها نعمه من عند الله, يجب أن نفكر الآن بناصر وكيف سنتخلص منه .

- أنا الآن أنتظر مكالمة من السيد النائب, بعدها سأتصل بناصر .

دعاها إلى وجبة عشاء فدخلا سوياً إلى أحد المطاعم الراقية, ظلت ناظرة إليه والمشاعر تملأ قلبها تتمنى أن تقول له ما بداخلها, لكن لاتجرؤ أي فتاة على أن تقولها أمام حبيبها خشية فقدان شخصيتها أمامه, لحسن حظها فقد كان هو أيضا يفكر بنفس الأحساس لكن لا يعرف من أين يبدأ وكيف سينتهي, هو ليس خبيراً في العلاقات النسائية الصادقه بعد أن تعود على العلاقات الرخيصة في أوربا مع أرخص الفتيات, لم يستمر الأمر طويلا حتى تجرأ وتكلم بدون أي تلميحات .

- مريم أنا أحبك ولا أستطيع الإستغناء عنك أو العيش بدونك .

- أنا أعلم ذلك جيداً.. قالتها بخجل.. لكن ما الفائدة؟

- مريم متى سوف نتزوج ؟

- نزار, لى شهر كامل أتجول معك حتى ألمتنى قدماي وأنت لا تحس !

- كلا يامريم أنا مستعد أن أتزوجك حالاً .

- نزار دعك من هذه الأمور فأنا لست مغفلة .

- كلا كلا أنا لم أقصد مايدور في ذهنك.. قالها مدافعاً .

قطع حديثهم رنين هاتفه من السيد النائب.. ها هو يتصل من جديد, لكن هـذه المـرة على هاتف مريم - أنا قد أكملت كل شيئ اليوم, فقد أعدت إلى نبراس حقه و أتصلت بأحد المعارف لديه علاقات بالمافيات حتى جلب لي رقم صوفيا زوجة مارشـال, وقـد تكلمت معها بخصوص نزار حتى أقنعتها وقد أوقفت أجراءات البحث عنه, لكن تريد أن نسلمها ناصر , هذا الأمر بيدكم, إقنعوا ناصر وأنصبوا له فخ وأنا وصوفيا سوف نقوم باللازم .

أخبرت مريم نزار بكل ما قاله السيد النائب فلم يتردد أبداً بالأتصال بناصر لكي يرد له خدعته !

2

جلست هند مع طفلتيها تنتظر ناصر في صالة الفندق الرئيسية بعد أن إتصل بها ليخبرها بأنه يريدها في موضوع مهم, أمسكت طفلتيها بقوة واحتضنتهما خشية أن يطلب ناصر منها طلب من طلباته المستحيلة مقابل طفلتيها.

وصل ناصر وملامح الغضب ترتسم على وجهه, جلس أمامها بدون أن يتكلم وطلب من أحد العاملين في الفندق كوب من الشاي,

لم تود هند أن تبدأ كلامها معه فظلت صامته تنتظره أن يبدأ في الكلام, بدأ يرتشف شايه ببطء وصمت لم تستطع هند تحمله.

- تكلم ماذا تريد مني ؟

- لماذا لم يتصل عشيقك إلى هذه اللحظة ؟

زاد الحقد الذي تحمله عليه بعد هذه الكلمة .

- حتى لو كان عشيقي, يجب أن لا تتكلم بمثل هذا الكلام أمام أطفالي .

- أتكلم أمامها هذا الكلام حتى يتذكروه طيلة حياتهم لأني أعرف أنهم عندما يكبرون سوف تشوهين صورتي أمامهم .

– لقد رأيت كثير من الحقراء في حياتي, لكن مثلك لم أرى, لقد حطمت جميع الأرقام القياسيه في الحقارة! قالتها بغضب شديد .

ضحك ضحكةً عالية كاسراً الهدوء الشديد بالفندق ومثيراً إنتباه الموجودين في الصالة, بدأ يستهزأ بها و هي تتجاهل كلامه حتى رن هاتفه أخيراً, هناك إتصال من بغداد, لابد أنه نزار .

- نعم, من معي ؟

- أنا نزار, هل جهزت دليل برائتي ؟

- نعم جهزت لك قرص مضغوط عليه تسجيل كامل لمقتل السيد مارشال وسرقته, ماذا عنك؟ هل جهزت الجوهرة ؟

- نعم, سوف أقطع تذكرة سفر إلى اسطنبول وأعلمك بموعد الرحلة .

توجه نزار وبصحبته مريم سوياً إلى شارع السعدون قاصدين مكتب الخطوط الجوية العراقية كي يحجز تذكرة سفر إلى اسطنبول, كانت مريم غير راضية عن سفرة وعن ضرورة المجازفة .

- سوف تسافر وتتركني مرة أخرى؟ سألته بحزن شديد .

- أنها مسالة أيام لا أكثر وسوف أعود , لا تقلقي.

- لماذا لا أذهب معك؟ سوف أكون قلقة عليك إن بقيت في بغداد وأنت سافرت.

- كلا يا مريم, فالموقف خطر ولا أريد أن أعرضك للخطر بسببي, حتى لو جرى لي مكروه سيكون بسببي لأني أنا الذي وضعت نفسي في مثل هذا الوضع .

نزلا من السيارة ودخلا مكتب الخطوط وتوجه نحو احدى الموظفات .

- السلام عليكم .   - وعليكم السلام .

- أريد أقرب موعد رحلة إلى أسطنبول .

- أنتظر لحظة كي أتفقد الحجوزات , أقرب موعد رحلة هو غداً في الحادية عشر ليلاً.. ردت عليه بعد تفقد بسيط للحاسب أمامها .

- نعم أنه وقت مناسب, تذكرة واحدة من فضلك .

غادرا سوياً بعد أن أستلم ألتذكرة وطلب منها أن يراها غداً قبل السفر.

- لا أعلم,قالت بتردد, قد لا أستطيع الخروج غداً فلدي موعد مهم مع إحدى صديقاتي

- أذن سوف أتصل بك غداً, ربما تتمكنين من لقائي .

- نعم أترك هذا الأمر في حينه, علي الذهاب الآن فلقد تأخرت.. قالتها بطريقة غير معتادة من مريم المرحة في أحلك الظروف .

- أذن هيا سوف أوصلك .

- كلا أذهب أنت سوف أذهب لوحدي, لدي مشوار أريد أن أقضيه ومن بعدها أذهب إلى المنزل .

ذهب نزار وهو على يقين بأن مريم غاضبة منه لعدم سماحه لها بالسفر معه,

لكن هو على قناعه تامة أنها سوف تعذره , فأحياناً نضطر إلى أن نتخذ مواقف تغضب أحبائنا منا بسبب خوفنا عليهم .

الفصل السادس عشر

(نهاية)

1

إتصل نزار بمريم قبل أن يعد حقيبته حتى يقابلها قبل سفره إلى اسطنبول , حزن كثيراً عندما أخبرته أنها لا تستطيع أن تقابله بسبب موعدها مع صديقتها, وأعد حقيبته وخرج مهموماً فقد كان يتمنى لقاءها خشية أن يحدث له مكروه فتكون تلك آخر مرة يراها فيها. أتصل بالسيد النائب وأكد عليه أنه مسافر إلى اسطنبول كما اتفقا لإنهاء أمر ناصر الذي يقلق الجميع مسبباً لهم أرباك تام في حياتهم كقطعة معدنية ليست بموضعها المخصص فى الآلة, أخبر النائب نزار أن يرسل عنوان الفندق الذي يقيم به نزار بمجرد وصوله اسطنبول وسوف يتصرف هو في باقي الأمور, ذهب إلى المطار ليلاً وبدأ في أجراءات تسليم الحقائب وختم الجواز. إتجه نحو صالة المغادرة وجلس ينتظر موعد أقلاع الطائرة بعد ساعة مفكراً بحبيبته التي تركها في بغداد غاضبة منه. يفكر تارةً فى كيفية إرضائها بعد عودته إن قُدر له العودة, و تارةً أخرى فى المصير المجهول الذي سيلاقيه في أسطنبول, هل سيعود سالماً إلى بغداد ويحظى بفرصة حياة جديدة مع مريم تعوضه عن الأيام التي أهدرها من حياته في فرانكفورت؟ أعلنت مكبرات الصوت بالمطار قرب إقلاع رحلة اسطنبول, بدأت الجموع الغفيرة من المسافرين يتجهون نحو البوابة فقرر أن يذهب أولاً إلى الحمامات حتى تخف زحمة البوابة, قضى حاجته فى الحمامات وأتجه نحو البوابة بعد أن خفت الزحمة, بدأ يتمشى في الممر الزجاجي لمدخل الطائرة ,كان يعز عليه مغادرة بغداد مره أخرى كمفارقة جزء من جسده ,كان حلم حياته يعود إليها وها هو الآن يغادرها من جديد بسبب الظروف التي تحيط به وتمنعه من ممارسة حياته بشكل طبيعي. دخل الطائرة مخرجاً بطاقة صعود الطائرة للمضيفة على بابها كي يستدل على مكانه فوجد مقعدة رقم (14A)

بجانب النافذة, أتجه نحو المقعد فتفاجأ بمريم تجلس في مقعده! وقف مذهولا كمن رأى شبحاً, لم يتمكن من نطق حرف واحد بعد أن عقدت الصدمة لسانة كحبل رُبط بعقدة غير قابلة للحل, لم يعرف ماذا يتكلم أو ماذا يفعل فكأنما توقف الزمن لوهلة. دفعه شخص من خلفه حتى يجلس بمقعده ويفسح له الطريق, أراد أن يقول لها بصوت عالي ما الذي جاء بك إلى هنا؟ غمزت له ووضعت أصبعها أمام فمها مشيرة له بأن يسكت, جلس بجانبها مدهوشاً دون أن ينبث ببنت شفة .

- (أشبيك فضحتنا كل العالم كامت أتباوع علينا) قالتها بلهجة عراقية خالصة.

- ماذا تفعلين؟ هل أنت مجنونة؟ كيف فعلتي كل هذا؟ سألها بغضب .

- لقد حجزت تذكرة سفر على نفس الرحلة بعد أن تركتني, أنسيت أني لم أذهب معك؟

- وكيف عرفتي مقعدي بالطائرة ؟

- هذا سهل, كنت أنتظرك وأنظر أليك من على بعد وبعد أن سلمت حقيبتك, تقدمت فوراً إلى الموظف وأفهمته أني أريد أن أعمل لك مفاجئة كي يعطيني المقعد المجاور واستجاب لي وتعاطف معي ولم يمانع .

- يا لكي من متهورة! تتصرفين كطفلة, كيف تمكنتي من الصعود قبلي إلى الطائرة؟

- أنسيت أنك ذهبت إلى الحمامات قبل أن تتوجه إلى بوابات المغادرة؟ إستغليت الفرصة وصعدت قبلك .

- هذا جيد فقد كدت أن أنفجر من شدة التفكير والوحدة, صراحةً لقد إعتدت على مرافقتك ولا أستطيع أن أعمل أي شيئ بدونك .

- أنا أعلم ذلك وأعرف كل شئ عنك ولن تستطيع أن تخبئ أي شيئ عني .

- مريم بما أنكي فتحتي هذا الموضوع.. قالها بعد أن وبخه ضميره.. أنتي تضحين بكل شيئ وتضحين من أجلي, أريد أن أعترف لكي بشئ قد خبأته عنك, لكن صدقيني غصباً عني, فأنتي التي أجبرتيني أن أخبئه عنك .

- ما هو هذا لشئ الذي خبأته عني؟

- لكن قبل أن أتكلم يجب أن تقسمي لي أنكي سوف تسامحيني وأقسم لكي أني لن أعيد خطأى مرة أخرى .

- هيا قل لي لقد أقلقتني .

- إنتظري دقائق حتى تقلع الطائرة فقد تغيري رأيك وتغضبي وتنزلي من الطائرة .

- وحتى لو أقلعت الطائرة قد أتمكن من تغيير مقعدي!

- لكنك لن تستطيعين أن تهربي مني, سوف أستطيع أن أقنعك طالماً نحن في الجو سوياً.

أقلعت الطائرة بعد دقائق متجهةً الى اسطنبول, كان نزار متردد يخبرها أم لا بخصوص ما وعدها أن يخبرها به, لكنه إتخذ قراره وقرر أخبارها, فليجرب كيف ستكون حياته إن تخلى فيها على غير عادته عن الكذب .

- نعم يا نزار لقد أقلعت الطائرة..قالت مريم.. هل لديك نية أن تتكلم أم غيرت رأيك؟

- سوف أخبرك كل شيئ, أعلمي يا مريم أني لم أخبئ عنك أي أمر وأتمنى أن تتفهمي موقفى ولا تتعصبي, أتذكرين عندما تخاصمتي معي بشأن نوال؟ عندما شكيتي بأني قضيت معها الليلة, كانت شكوكك في محلها فأنا فعلاً قضيت الليلة معها, وطلبنا أنا وأم فارس من نوال تغيير صيغة الرسالة التى أرسلتها لى حتى تقتنعي بأني برئ .

صمتت مريم قليلاً ثم قالت بضحكة عالية (أشكد غشيم أنته ,جنت متوقع هاي تعبر عليه؟)

- ماذا تقصدين يا مريم هل كنتي تعلمين؟

- نعم يا نزار كنت أعلم, فقد تفحصت هاتفك ورأيت الرسائل ووجدت أنك قد نسيت أن تمسح الرسالة الأولى التي بعثتها نوال عندما أعطيتني الهاتف, كانت العجوز تجلس أمامي غير مركزة فاستغليت الفرصة وقمت بقراءة جميع الرسائل, لكنى إكتشف بتلك اللحظة أنك لا تستطيع أن تستغني عني, فتظاهرت بأني صدقت الموضوع وعند ما صارحتني ألآن في الأمر فرحت كثيراً وثقتي بك قد إزدادت, شكراً لك يا نزار على هذه الصراحة ونيتك السليمة لنبدأ حياة جديدة بصدق .

- شكراً لكي على تفهم الموضوع ولن أنسى هذا طوال حياتي, وأعدك بأن أُكون صادقاً معك طالما بقيت على قيد الحياة .

- أنظر يا نزار .. كل منا في هذه الدنيا يترك الباب الذي فتحه الله له ويبحث عن ثقب تسبب به مسمار في الباب, يترك الطريق الصحيح ويبحث عن طريق يتصور

بأن هذا هو الحل الوحيد لمشاكله بل هو العكس تماماً, فأنت يا نزار عندما تركت جامعتك وتركتني وتركت بلدك لكي تذهب تتغرب كنت متصوراً أنك سوف تحل جميع مشاكلك ,لكنك أدخلت نفسك بوحل لم تستطيع أن تخرج منه إلا حين جمعتك ألصدفة بناصر,

حتى جابر النجار كان لديه باب رزق وفير ويتمتع بثروة كبيرة, رغم المستوى المعيشي- المتدنى في سنة 1994 بسبب الحصار المفروض على البلد, ورغم ذلك ترك رزقه الوفير هذا وذهب يبحث عن ثغرة في الباب لكي يربح أضعاف ثروته خلال أيام ففقد كل شيء!,

وحتى أنا كنت أرفض كل شخص يتقدم لي وأنتظر شخص غائب ولا أعرف أي أخبار عنه, أترك الشباب الذين وضعهم الله أمامى وأنتظرك, هذا أيضا يثبت بأني كنت تاركه الباب الحقيقي فكلنا يا نزار كنا مخطئين .

أنهت كلامها وكل واحد منهم بدأ يفكر في ماضيه المملوء بالقرارات الغير صحيحة حتى هبطت الطائرة في مطار اسطنبول 0

.

2

أستلما الحقائب بعد أن أنهيا جميع الإجراءات الروتينية في مطار اسطنبول ومن ثم توجها الى الكراج الخاص بسيارات الأجرة كي يستقلا سيارة توصلهم إلى الفندق, وقبل أن يتكلم مع صاحب السيارة أمسكت مريم بيده وطلبت أن يكون الفندق بعيداً على الأماكن الذي يتواجد بها السياح العرب وخصوصاً العراقيين .

- ولماذا تريدينا أن نبتعد عن مركز المدينة؟ سالها متعجباً .

- نزار أنا لا يعلم أي أحد من أقاربي وأصدقائي أني قد سافرت معك سوى أمي, وأخشى أن يراني أحد من المعارف ويتعرف علي وقد يفهم الأمر خطأ ويسبب لي الأحراج .

- لقد فهمتك, أذن سوف نتجه إلى مكان بعيد في الجانب ألآسيوي هناك فندق بشارع بغداد .

- أنا أقول لك مكان لا يوجد به عراقيين تريد تأخذني الى شارع إسمه بغداد ؟

- عزيزتي شارع بغداد في الجانب الأسيوي من أسطنبول.. قالها نزار مبتسماً.. أسمه شارع بغداد لأن منه أنطلقت القوات العثمانية إلى بغداد, أنه شارع جميل وسوف يعجبك ويتواجد به السياح الأجانب كثيراً أما أكثر العرب والعراقيين فلا يفضلوه كونه يقع في الجانب الأسيوي .

توجها إلى شارع بغداد بعد أن أقتنعت بنظريته وكانت رحلة جميله أستغرقت خمسون دقيقه حتى وصلا إلى أحد الفنادق ,كانت الساعة قد وصلت الثالثة صباحاً حين دخلا إلى الفندق وتوجها إلى موظف الإستعلامات .

- مساء الخير, قالها نزار بإنجليزية غير فصيحة .

- مساء الخير .

- أريد جناح لفردين .

- ماذا تقصد بهذا أنا لست نوال, قالتها مريم مشيرة لموظف الإستقبال أن ينتظر.

- مابكي يا مريم ألا تثقين بي لنسكن تحت سقف واحد؟

- ليس الموضوع موضوع ثقة يا نزار, لكن أنا حتى هذه اللحظه زميلتك ولست زوجتك, وأنا أريد أن أكون على راحتي في غرفه لوحدي. أحجز لي غرفة لوحدي ولا تجادل كثيراً .

- سمعاً وطاعة يا مولاتي.. رد نزار ساخراً.. نفذ أوامرها وسكن كل واحد منهم في جناح بمفرده .

جلسا يتناولان الإفطار في مطعم الفندق وقبل أن ينتهيا رن هاتفه من السيد النائب .

- ألو السلام عليكم .   - وعليكم السلام .

- السيدة صوفيا تنتظرك اليوم في تمام الساعة الثانية ظهراً في وسط حديقة جامع السلطان أحمد في وسط زحمة السياح لتتكلم معك .

- وكيف سأتعرف عليها؟

- فقط قف هناك وهم سوف يتعرفون عليك وإذهب بمفردك ولا تأخذ أي شخص معك .

لم يتكلم نزار بعد أن أنهى المكالمة متعجباً كيف عرف النائب أن أحد بمرافقتي في السفر رغم إنه هو نفسه لم يكن يعرف بسفر مريم حتى تفاجأ بها في الطائرة .

- بماذا تفكر؟ سألته مريم

- لا شئ, لكن يجب أن أذهب اليوم لمقابلة السيدة صوفيا بمفردى.

أكمل فطوره وخرج من الفندق, إستقل سيارة أجرة إلى سلطان أحمد بينما تاركاً مريم فى الفندق. قررت مريم أن تعود إلى غرفتها لكنها أحست بأن الجلوس لوحدها سيكون مملاً فالساعة لم تتجاوز الحادية عشر صباحاً ونزار موعده في الثانية, أمامه خمس ساعات حتى يعود فقررت أن تقوم بجولة في شارع بغداد, خرجت من الفندق وبدأت تلتقط بعض الصور للتماثيل الأثريه الموجودة في الشارع وتصور بعض الإستعراضات الحية التي يقومون بها بعض المؤدين الشباب في الشوارع أمام المارة, شعرت ببعض التعب فقررت لأن تستريح في أحد المقاهي التراثيه, جلست وطلبت فنجان قهوة وأخرجت هاتفها لكي تتصفحه, بدأت تشرب فنجانها حتى جلست فتاة في الطاولة المجاورة لم تعير لها أنتباهاً حتى تكلمت الفتاة التي تجلس على الطاولة المجاورة وقالت لها : الأخت من أين؟

- أنا من العراق .

- أهلاً وسهلاً, أنا حنان من بغداد .

- أهلاً وسهلاً أنا مريم أيضا من بغداد .

- قولي لي يا مريم هل أنتي هنا في عمل أم سياحة؟

- يعني تقدرين أن تقولي الإثنين .. عمل وسياحة .

- أنا أقيم هنا في شارع بغداد بعيداً عن زحمة السياح والعرب والعراقيين, فأنا أحب العزلة أنا هنا في دراسة الماجستير .

- فعلاً أنا تفاجأت بك عندما رأيتك تتحدثين العربية فأنا هنا من الصباح لم أرى أي شخص عربي هنا - مريم, أنا اليوم لدي أجازة وأريد أن أذهب إلى رحلة ترفيهية ما رأيك أن تأتي معي؟

- لا لن أستطيع.. ردت مريم معتذرة.. فأنا هنا في إنتظار شخص سوف يكون هنا في غضون الرابعة مساءاً .

- سوف نكون هنا قبل الساعة الرابعة, أرجوكي تعالي معي سوف تكون رحلة ممتعة وهذه أول مرة أطلب طلب منك .

ترددت مريم كثيراً قبل أن توافق بعد أن خجلت أن ترفض دعوتها, ذهبت معها بعد أن أقنعتها.

3

ظل نزار واقفاً لمدة عشر دقائق دون أن يقابل أحداً يرشده إلى المكان الذي تجلس به السيدة صوفيا, أخرج هاتفه لكي يتصل بمريم لكنها لم ترد عليه, كرر الإتصال لكن دون جدوى. أصابه القلق عليها حتى تذكر بأنها قد تكون متعبه من سفر ليلة البارحة فهم لم يأخذا كفايتهم من النوم. فاجأه أحد ألأشخاص بوضع يده على كتفه وبدأ يتكلم باللغه التركية التى لم يفهم نزار منها شيئاً سوى كلمة صوفيا, فهم فوراً أنه من أتباع السيدة صوفيا, إتجه معه وهو ينظر إلى ذلك الكائن الضخم الأصلع صاحب اللحيه المصبوغة يمشي معه ورأسه لا يتجاوز كتفه , قلق كثيراً وهو يرافقه مفكراً بداخله إن كان هذا واحداً من أتباع صوفيا ويتمتع بكل تلك القوه الجسمانيه فمن الأفضل ألا تغضب السيدة صوفيا منه حتى لا تطلق عليه كلابها تنهش لحمه. توقف الرجل الضخم وأشار بيده نحو إمرأه تجلس على مقاعد الإستراحة في الحديقة العمومية, تقدم نزار نحوها ووقف أمام تلك الفتاة العشرينية ذات الشعر الأحمر, تفاجأ نزار فهى مخالفة تماماً لما تصوره فى مخيلته, كيف إستطاع السيد مارشال وهو في عمر الخمسين عاماً أن يتزوج من فتاة تصغره بثلاثين عاماً على الأقل؟!

نعم كل شئ جائز.. فكر نزار.. فالمال الوفير يعمل المستحيل. نظرت إليه و هي ترفع عينيها وحاجبيها نحوه دون أن ترفع رأسها, سألته إن كان يتكلم الأنكليزية أم لا فأجابها بنعم وبدأت حديثها

- هل أنت قاتل زوجي؟

- كلا يا سيدتي أنا لم أفعلها أبدا, من فعلها هو ناصر ولديه قرص مثبت عليه الجريمة كاملة كما أخبرني

- أذن المطلوب منك أن تحضر لي ناصر أو ترتب موعد معه حتى أستطيع القبض عليه وأتحقق من صحة كلامك , فلا تظن أني قد صدقت كل ما قلته, فلا بد أن أسمع من الطرفين حتى أنتقم من قاتل زوجي.

- إذن كيف أستطيع أن ألتقي بك مرة أخرى أو أتصل بكي حتى أوافيكم بالتفاصيل الجديدة؟

- لا تحتاج أن توافينا بشيء, فقط رتب وضعك ونحن سوف نقوم باللازم, ستكون تحت مراقبتنا أربعة وعشرون ساعة هيا أنصرف وفكر جيداً قبل أن تعمل أي شئ..أشارت إليه محذرة .

أنصرف نزار قلقاً بشدة بعد أن أخبرته السيدة صوفيا أنه مراقب من هذه اللحظه, أخرج هاتفه إتصل بمريم فلم ترد. نظر إلى ساعته فوجدها الثالثة, ليس معقول أنها نائمة إلى هذا الوقت فليس من طبيعتها الكسل والنوم المتأخر.

نزل مسرعاً من سيارة الأجرة متجهاً نحو الفندق, كان المصعد مشغول فأتجه نحو السلم مسرعاً نحو الطابق الرابع وبدأ يلهث من التعب حتى وصل إلى باب غرفتها, بدأ يطرق الباب دون رد حتى مرت أحدى العاملات بجواره وأخبرته أن الغرفة فارغة, نزل ببطء متعباً حتى وصل صالة الفندق الرئيسية متوجهاً نحو موظف الإستعلامات وسأله عن وقت خروجها فأجابه أنه حضر للتو فقد غادر الموظف الذي كان موجود

مكانه في الصباح, أخرج هاتفه وأعاد الإتصال بها فلم ترد خرج وبدأ يبحث عنها في شارع بغداد خشى من أنها خرجت وقد تاهت في عنوان الفندق ولم تعرف طريق العودة, بدأت الشكوك تراوده بسبب عدم ردها على مكالماته, هل ممكن أن يكون في وضع صامت ولم تسمعه؟ أم في مكان مزدحم ولم تسمعه؟ يا ألله أين ذهبت؟ أخشى أن يكون قد جرى لها مكروه! لم يبقى شبر في شارع بغداد ولم تخطي عليه قدمه ولا مطعم ولا دخله, دخل جميع المقاهي والمحلات والحدائق فلم يجد لها أثراً فقرر أن يعود إلى الفندق فقد تكون عادت اليه, دخل إلى الفندق وسأل موظف الإستعلامات فأخبره أنها لم تعود, نظر إلى ساعته فوجدها قد قاربت التاسعة, جلس في الصالة مكرراً الإتصال لكن هذه المرة كان هاتفها مغلقا أو خارج نطاق التغطية, في هذه اللحظة وضع يده على جبينه وتيقن تماماً أنها قد جرى لها مكروه لا محالة.

- أين أنتي ألآن يا مريم سامحيني أذا جرى لك شيئا بسببي؟ قالها والهم والحزن يملأ قلبه. رن هاتفه فأخرجه مسرعاً أملاً أن تكون هي من يتصل, لكن وجده ناصر .

- ألو ماذا تريد الآن يا ناصر؟ سأله بغضب .

- اسمعني جيداً, لدي أمانة تهمك, أسرع وأجلب لي الجوهرة .

- نعم يا ناصر أنا أعلم أن لديك دليل براءتي, لكن أنا ألان لدي عمل سأنهيه وأتصل بك .

- كلا يا عزيزي, أنا لا أقصد دليل براءتك, أنا أقصد حبيبتك التي جلبتها معك إلى اسطنبول. إنها لدي في الحفظ والصون .

- كيف تجرؤ؟ لقد إخترقت جميع العهود و الإتفاقات بيننا!

- كلا يا نزار, هذه المرة أنت من خلف بعهده بعد أن أجريت أتفاقك مع صوفيا زوجة مارشال, أسمعني جيداً.. هذه المرة سوف أكون صادقاً معك, أنا لا أملك أي دليل على براءتك ومريم ألان مقابل الجوهرة, وإعلم جيداً هذه المرة أنا لن أستلم الجوهرة في يدي, سوف أرسل مندوب عني يستلمها وبعد أن أتأكد منها تماماً سوف أطلق صراح مريم وإن لم تفعل فانتظر حبيبتك فى مجموعة من أكياس البلاستيك السوداء مقسمة إلى قطع متفرقة. وقم بتجميعها بنفسك حتى تعتذر لها عما أوقعتها فيه . لديك فرصة حتى الساعة الحادية عشر صباحاً حتى تسلمنى الجوهرة.

- أنا موافق أين أسلم الجوهرة لمندوبك غداً؟

- سوف أحدد لك المكان غداً صباحاً , والآن إذهب ونام جيداً لكي تستيقظ مبكراً.

أغلق الهاتف وبدأ يفكر في الوحل الذي وقعت به قدماه , كيف يسلم الجوهرة إليه وهو أساساً لا يملك أي جوهرة؟ زادت حيرته بعد أن إعترف ناصر لا يوجد أي دليل على براءته لديه, لقد كان يراوغه ويخادعه, ماذا يفعل غداً في تلك الورطة الكبيرة وكيف سينقذ مريم وينقذ نفسه من ذلك الوحل الكبير؟

4

تستغرق الرحلة خمسون لفة من عقرب الدقائق حتى تصل الساعة الحادية عشرة صباحا بتوقيت اسطنبول, قلب نزار يغلي كقدر مليء بالماء تم إغفاله على النار, لم يجد أي فكرة طوال الليل تخرجه من ذلك الوحل القذر الذي وضع نفسه ووضع أحب أنسانه إلى قلبه فيه, ما هي يا ترى الشفرة التي يخرج بها منه وكيف يقنع ناصر؟ أسئلة لم يجد لها حل طوال ليلته الماضية التى لم يغفل له فيها جفن, أخرج هاتفه وقرر أن يتصل بالسيد النائب حتى يساعده, لكن هاتف النائب مغلق, وهو لا يمتلك أي وسيلة للإتصال بالسيدة صوفيا, لم يتوصل إلى أي حل حتى إتصل به ناصر, تردد في الرد على هاتف ناصر ,لكن بدون جدوى ماذا سوف يقول له وهو يحتجز لديه أغلى أنسانه على قلبه؟

- ألو.. رد نزار بعد تردد .

- ألو لماذا لم تتصل بي حتى هذه اللحظة؟

- كنت مشغول في إحضار الجوهرة .

- هذا جيد, هل أنت مستعد أن تسلمها للمندوب الذي سوف أبعثه لك؟

- وكم هي الفترة التي تحتاجها لتتأكد من سلامة الجوهرة حتى تطلق صراح مريم؟

- ليس بالوقت الطويل إذا سلمت لي الجوهرة بعد ساعة سوف أطلق صراحها في العاشرة ليلاً .

- هذا جيد, لكن أنا أريد أن أتكلم مع مريم حتى أتأكد من سلامتها .

- نزار, صدقني مريم بخير لكن أنا في مكان وهي في مكان آخر, ليس من مصلحتي أن أؤذيها .

- أنا متأكد أنك لم تؤذيها, لكن لكي يطمئن قلبي .

- إذن إنتظر نصف ساعة حتى أذهب للمكان الذي هي فيه .

لم يقصد نزار أي شيئ مما طلبه من ناصر لكنه لم يعرف كيف يتصرف وإحتاج أن يؤخره حتى يجد حل مناسب. بدأت أفكاره تتشتت دون أن يدرى ماذا سيفعل بعد أن يكلمها, وماذا سيقول لناصر؟ عاد إلى غرفته وأغلق عليه الباب وجلس على السرير ووضع الهاتف أمامه يريد أن يسمع صوتها بهدوء حتى يتلذذ بصوتها بعيدا عن ضوضاء العالم ,بعد نصف ساعة أعاد ناصر الأتصال, رد عليه بسرعة وفتح سماعة الهاتف الخارجية حتى ينتشر صوتها في جميع أرجاء الغرفة ليشعر بوجودها وكأنها تقف أمامه .

– ألو..قالها متلهفاً .

- سوف أعطي الهاتف لمريم, لا تحاول أن تسألها أين هي أو كيف تم أختطافها, تأكد من سلامتها فقط فأنها متعبة .

- نعم تأكد بأنى لن أسألها في هذه الأمور .

– الو, كيف حالك يا نزار؟ردت مريم منهكة بصوت متعب وحزين وأصوات الضوضاء بجانبها كأنها في قطار يصدر صافرات التنبيه .

- ماذا بكي يا مريم لماذا أنتي متعبه إلى هذا الحد؟

- لا أعرف, لكن وضعي الصحي متدهور ولا أستطيع أن أكل الطعام فأنا أتقيأ منذ ليلة الب...

أخذ ناصر الهاتف من يدها دون أن تكمل جملتها .

- هيا يا نزار لقد تأكد من سلامة مريم, هل أنت مستعد الأن؟

- نعم مستعد, لكن سوف أسلمها لك الساعة الرابعة عصراً .

- ولماذا الرابعة بالذات؟

- لأني أمنت الجوهرة في أحد الأماكن, سوف أذهب لجلبها وأتصل بك, هيا أتركني الآن لكي أذهب.

أنهى المكالمة وبدأ يضرب الجدار بقوة لا يعرف كيفية التصرف منهاراً من البكاء, بعد أن هدأ أعاد التفكير مرة فيما تفعله مريم في القطار؟ وكيف يستطيع ناصر أن يركبها القطار وهي مخطوفة دون أن تحدث ضجه امام الناس؟

- كلا, هي ليست بالقطار إذن.. فكر نزار.. لكنى سمعت صوت منبه القطار! ولماذا هي متعبة إلى هذه الدرجة وتتقيأ بإستمرار؟ أنا لم أرها من قبل متعبه بهذه الحالة أبداً؟ فقط عندما ذهبنا في رحلة جامعية إلى نهر دجلة وركبنا في اليخت تقيأت.

أذن مريم تعاني من دوار البحر .. قالها نزار بصوت مسموع كمن وجد كنزاً. هي الآن ليست بالقطار ولكنها محتجزه في يخت والصوت كان صوت البحر, وأصوات الصافرة كانت أصوات السفن, نعم هي أذن في البحر وناصر ليس لديه الإمكانيات المادية حتى يشتري يخت, أذن لا بد من أن اليخت مستأجر من محطات الخفر.

نهض نزار متجهاً نحو موظف الإستعلامات .

- صباح الخير .

- صباح النور سيدى .

- أريد أن أستأجر يخت هل تعرف من أي مكان أستأجره؟

- أنتظر لحظه يا سيدي سوف أتصل بالدليل السياحي .

إتصل الموظف بخدمة الدليل السياحي الخاصة بالفنادق وهو متلهف لكي يعرف العنوان .

- سيدي أن اليخوت التي تؤجر ثمنها غالي ومبالغ به.. قالها الموظف وهو يهم بوضع سماعة الهاتف.. إذا أردت فنحن لدينا رحلات نهرية وعروض ممتازة .

- كلا أنا أريد أن أعرف في أي مكان تؤجر اليخوت .

- ليس هناك مكان ثابت لتأجير اليخوت فهذا العمل تقوم به مكاتب السياحة والسفر, يعملون بنظام الوسيط بين المالكين والمستأجرين, لكن إذا كنت مصر على تأجير يخت يجب أن أعطيك نسخة من جواز سفرك لانك ستحتاج أن تسجل أسمك

وعنوان الفندق الذي تقيم به في مكتب خفر السواحل في منطقة كبتاش قبل أن يوافقوا على تأجيرك اليخت .

- هل تقصد بأنه المركب لا يغادر إلا بعد تسجيل إسم المستأجر فى خفر السواحل؟

- نعم بالتأكيد فمستحيل أن يغادر مركب بدون علم المكتب .

- أين يقع إذن مكتب خفر السواحل؟

- في منطقة كبتاش, تستطيع أن تذهب إليها في العبارة بدون أن تستقل سيارة .

خرج نزار مسرعاً بعد أن زود نفسه في تلك المعلومات التي يعتبرها مهمة واستقل العبارة إلى منطقة كبتاش, إستغرقت الرحلة النهرية عشرون دقيقة حتى نزل وسأل أحد رجال البحرية الذي كان يقف في المرسى عن المكتب, أرشده إليه وكان قريب جداً عن مرسى العبارة, دخل نزار إلى المكتب فوجد شرطيين يجلسان وأمامهم جهاز كمبيوتر.

- لدي صديق كان قد أستأجر يخت وقد دعاني إلى أن أقضي السهرة معه, لكنى نسيت رقم اليخت والآن أتصل به وهاتفه مغلق , يبدو أنه قد نسي أن يشحنه, أريد أن تزودوني برقم اليخت .

- ما إسم صديقك؟ سأله الضابط متجهاً إلى جهاز الكمبيوتر.

- إسمه ناصر وجواز سفره ألماني .

بدأ الشرطي بتدقيق الإسم في جهاز الكمبيوتر, كان نزار يخشى أن يكون الإسم غير موجود وتفشل محاولته الأخيرة لإنقاذ مريم من ذلك الحيوان المفترس .

- لكن صديقك يستقل يخت صغير يسمى يخت شهر العسل! أجاب الضابط , كيف يدعوك إليه وهو صغير يتسع لعدد قليل فقط من الأشخاص؟

- نعم أنه دعاني أنا فقط, سنكون ثلاث أشخاص فقط على متن المركب قالها نزار مبتسماً فخوراً فتحليلاته كانت في محلها ولم يذهب الوقت الذي هدره على شئ وهمي

- إذن .. هويستقل المركب رقم 56 .

- كيف يمكنني أن أذهب إليه؟

- يجب عليك أن تستأجر مركب صغير لوحدك حتى تبحث عنه, ستجد مراكب في المرسى أمام المكتب .

خرج نزار وتوجه إلى المرسى وبعد محاولات إستطاع أن يقنع صاحب المركب أن يستقله بمفرده وأنه متمكن من قيادة المراكب الصغيرة .

وافق صاحب المركب بعد أن أخذ ضمانات تعادل سعر مركبه .

5

رن هاتف نزار وهو في وسط المراكب والسفن والموج يهز المركب يميناً ويساراً كالمهد حتى كاد أن يفقد السيطرة عليه, لم يرد على ناصر خشية أن يسمع صوت الأمواج ويعرف أنه كشف أمره,

تجاهل المكالمة وأكمل بحثه عن المركب 56 كطفله التائه, تلفت يميناً ويساراً وبعد بحث دام نصف ساعة, لمح ذلك اليخت الصغير الحامل لرقم 56, حاول أن يلتف من خلف المركب حتى لا يراه أحد من داخل المركب,

إلتف من خلف المركب وأطفأ محرك مركبه حتى لا يُسمع صوته وينكشف أمره وترك أمر أقتراب مركبه من اليخت للموج كقطعة خشب لا حول لها ولا قوة, دقائق حتى لامس مركبه اليخت, تشبث باليخت وتسلقه بسرعة فقد كان اليخت صغيراً, وقف على اليخت وتوجه نحو نافذته فلم يرى أحداً,

إلتف نحو باب اليخت فوجد مريم جالسة بدون قيود ولا يوجد بجانبها أحد, سمع صوت ناصر وهند في قمرة القيادة فتح الباب وتقدم نحو مريم التى نظرت إليه مذهولةً , تعانقا وقبل أن يسحبها الى الخارج فوجئ بمريم تصرخ لاااا لاااا ,

إلتفت خلفه بسرعة ليرى ذلك الشيء المعدنى الصلب يصطدم برأسه.

 فقد نزار الوعي وبعد دقائق إستفاق ليجد نفسه مقيداً بحبل وبجانبه مريم وهند وناصر وطفلتين جميعهم مقيدين. تجلس أمامهم السيدة صوفيا لكن هذه المرة بشعر أشقر فأتضح أنها تستعمل شعر أصطناعي تغيره كلما إدعت الحاجة,

على يمينها ويسارها رجلين ضخمين يبدوان ككلبين مفترسين. إستغرب الجميع من تمكنها من معرفة مكان اليخت ووقت اللقاء بين الجميع .

- ألم أقلك يا نزار أنك سوف تكون تحت المراقبة وعندما تصل إلى ناصر نصل نحن أيضاً؟ يجب أن تكون سعيداً اننا وصلنا , فقد وصلنا في الوقت المناسب فناصر بعد أن ضربك في رأسك لم يكن لديه الوقت الكافي لتوجيه الضربة الثانية القاضية بسبب وصولنا في الوقت المناسب. والآن وبعد أن إجتمع الجميع أريد أن أعرف من هو الذي قتل زوجي منكما؟ نزار أم ناصر؟ ستكون هذه أسرع محاكمة فى التاريخ, سيطلق صراح البريء فوراً والجاني سوف ينفذ به الإعدام فوراً. هيا يا نزار هل لديك شيئ تضيفه أم ما زلت مصراً على كلامك؟

-كلا, لا شيء لأضيفه, لقد قلت كل ما عندي لكي في المقابلة السابقة .

- جيد, وأنت يا ناصر, نزار يتهمك بأنك أنت من قام بقتل زوجي السيد مارشال, فماذا تقول؟

- سيدتي أنا لم ألتقي بك سابقاً.. أجاب ناصر.. ولا يوجد لدي أي تعامل مع السيد مارشال, لا دائن ولا مدين, وأعرفه من مده قصيرة فقط, إلتقيت به مرتان فقط مرة في مطعم بيلكان ومرة في الشركة لعقد صفقة لم تكتمل بسبب وفاته, أما نزار فلديه تعامل قديم مع زوجك ومدين له بمال كثير ولم يستطيع تسديده, وأكبر دليل على قتله لزوجك هو سفره مباشرة بعد موت السيد مارشال, رغم إحتفاظ زوجك بجواز سفره من بين مئات الجوازات , فكيف إذن حصل على جواز سفره دون قتل زوجك؟

سمع الجميع كلام ناصر وتوجهت أنظارهم إلى نزار,الجميع ينظر إليه نفس النظرة لكن مريم نظرتها مختلفة, كثير ما تستطيع أن تخبره عيون الأحبه دون كلمات. طلبت منه عينيها أن يدافع عن نفسه أن يطعن في كلام ناصر أن يقدم الدليل الذى سيفدى حياته وحياتها,لكن نزار لم يكن لديه أى دليل ولم يكن لديه أى كلام يقوله.

– نزار.. نبهته صوفيا.. الكلام الذي قاله ناصر أغلبه بأدله , لكن القصة التي تكلمت أنت بها لا يوجد بها أي دليل, هل لديك دليل على كلامك؟

صمت نزار وأخفض رأسه ولم ينطق بكلمة .

- إذن لو كنت مكاني لصدقت ناصر لأن كلامه مبني على أدله أما كلامك مبني على أوهام, أعذريني أيتها العاشقة الولهانة سوف يبقى نزار وأنتم مسموح لكم أن تغادرو اليخت, قالتها صوفيا موجهة عيناها نحو مريم . بدأت مريم بالصراخ والتوسل إلى السيدة صوفيا لكي تترك نزار لكن دون جدوى, أمسك بها حراس صوفيا الشخصين ووضعاها في المركب الصغير, معها هند وناصر الذي إستطاع إثبات براءته, والطفلتين. نظر نزار نظرة أخيرة مودعاً مريم ودموعه تسيل على خديه لهزيمته وضياع مهمته وحبيبته وحياته.

رفعت صوفيا مسدسها موجهة إياه إلى رأس نزار.. قامت بتعميره وهمت بإطلاق النار.

- توقفي يا سيدة صوفيا.. صرخت هند بكل ما أوتى لها من قوة.. أنا طليقة ناصر ولدي أقوال جديدة تفيدك كي تتضح الحقيقة أمامك .

صمت الجميع وبدأ وجه ناصر يصفر كمريض السل. أمرت السيدة صوفيا بأعادتهم جميعاً إلى اليخت

- هيا يا هند قولي ما عندك ..أمرتها ولا تزال مصوبة مسدسها إلى رأس نزار.

– سيدتي, الكلام الذي قاله نزار هو الحقيقة فكل هذه الأمور قد قام ناصر بتدبيرها في فرانكفورت, وأكبر دليل على هذا هو سفري في نفس اليوم الذي سافر فيه نزار وعلى نفس الرحلة كي أسرق الجوهرة من نزار, والذي دبر كل شيء وقتل وسرق الجواز وسلم الصكوك إلى نزار هو ناصر لا أحد غيره . هو الجانى وهو من يستحق العقاب .

بدأ ناصر بالصراخ فى وجه هند يتهمها بالكذب فصرخت بوجهه أن يصمت. أبعدت صوفيا المسدس عن وجه نزار الذى كاد أن يفقد وعيه رعباً متوقعاً موته فى أى لحظة وأمرت الحراس بتقييد ناصر و إطلاق سراح نزار.

نزل نزار وهند ومريم والطفلتين على المركب تاركين ناصر وصوفيا والحراس على اليخت. طلب نزار من السيدة صوفيا أن يتكلم مع ناصر كلمه أخيرة فسمحت له .

- أسمعني جيداً يا ناصر إن الجوهرة التي وصلت إلى يديك ووجدتها مزيفة هي نفس الجوهرة التي أخرجتها من جثة فارس , أنا لم أخبئ الحقيقية فلقد خدعوك منذ عشرين عاما وبقيت طوال هذه المدة تنتظر وهماً مزيفاً , هذا ما تستحقه يا ناصر فالذي يقتل صديقه من أجل المادة يستحق أن يقتل ويُلقى فى البحرطعاماً للأسماك وإن كنت أشك أن تقبل الأسماك أن تأكل لحمك النتن .

- ومن قال لك أني سوف أقتله فوراً؟ إستنكرت صوفيا إستنتاج نزار.. الموت سيريحه ونجوم السماء الآن أقرب إليه منها. سوف أريه عذاباً قبل الموت لم يره الهنود الحمر على يد الأمريكان وبعدها سوف أقتله .

- (بالعافية عليك نصوري) قالها نزار بلهجة عراقية لناصر ساخراً وهو يهم بتشغيل المحرك .

تحرك المركب بنزار ورفقته, تعلو أصوات صراخ ناصر على صوت المحرك مسببة رعباً للطفلتين,

وصلوا جميعاً إلى المرسى وسلم المركب لصاحبه. تشابكت يده في يد مريم وتمسكت هند بطفلتيها اللتان كُتب لهما عمراً جديداً بعيداً عن الوحش المدعو والدهما

- سامحيني يا مريم عندما خدعتك و أستدرجتك إلى اليخت..قالتها هند معتذرة.. لقد كنت مضطرة لذلك, كان يهددني بأن يسفر أطفالي إلى المانيا .

- لا عليكي يا هند.. ردت مريم مربتة على كتفيها.. لن ننسى فضلك علينا اليوم في شهادتك ضد ناصر, لقد أنقذتي نزار من موت وشيك, لكن قولي لي, إلى أين ستذهبين ؟

- سوف أذهب إلى بغداد مع أطفالي أعيش بين عائلتى.

ذهبت هند مع طفلتيها وأمسك نزار بمريم من رأسها وقبلها من جبينها .

- نحن يجب أن نذهب الآن أيضاً فقد تأخرنا .

- إلى أين نذهب؟ وعلى ماذا تأخرنا.. سألت مريم متعجبة.

- الى الفندق وسوف أسمح لكي أن تقيمين معي في نفس الغرفة. أجاب نزار مداعباً.. سوف نقضي شهر عسل رائع ومختلف قبل أن نذهب إلى بغداد .

- أنا موافقة , لكن قبل الذهاب إلى الفندق يجب أن نذهب إلى ألقنصلية العراقية ويعقد لنا مأذون شرعي هناك حتى لا تهرب مرة أخرى.. قالتها ضاحكة .

– هذا أكثر عمل أردت فعله فى حياتى ..على بركة الله.....